

إِعْتِنَامُ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ  
إِصْحَاحَاتِ قَبْلِ هَجْرَتِهِ  
اللَّذَاتِ وَمَشَيْتِ الشَّمْلِ  
وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ

جَمَعَ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوَرَبِهِ

عَبْدُ الْعِزِّ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَانَ  
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

حقوق الطبع محفوظة

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

جوال ٠٥٠٥٢٦٥٥٠١

وقف لله تعالى

الطبعة الرابعة والعشرون

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

وقف لله تعالى

إِغْتِنَامَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ  
إِصْبَاحَاتِ قَبْلِ هُجُومِ هَامِ  
اللذاتِ وَمُشَيِّتِ الشَّمْلِ  
وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ

جفع الفقير إلى عفوره

عَبْدُ الْعِزِّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّلْمَانِيُّ  
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

حقوق الطبع محفوظة

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

جوال ٠٥٠٥٢٦٥٥٠١

الطبعة الرابعة والعشرون

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ،  
وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ  
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ ، السَّاعِي بِالنُّصْحِ  
لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، الْمُحَذِّرُ لِلْعُصَاةِ مِنْ نَارٍ تَلْطِئُ بِدَوَامِ الْوَقِيدِ ، الْمُبَشِّرُ  
لِلْمُؤْمِنِينَ بِدَارٍ لَا يَنْفَدُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ،  
صَلَاةً لَا تَزَالُ عَلَى كَرِّرِ الْحَدِّ يَدَيْنِ فِي تَجْدِيدِهِ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَخْشَوُهُ وَيَخَافُوهُ  
وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدَلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ  
الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ .

وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا شِدَّةَ عَذَابِهِ وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ نَبَذَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ  
لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .

وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ وَالْمُسَارَعَةَ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحِبُّهُ  
وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ .

وَبَعْدُ فَقَدْ عَزَمْتُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَجْمَعَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ كَلَامِ أَهْلِ  
الْعِلْمِ ، مَا يَحْتُجُّنِي وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا ، مِنْ  
الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالْأُمُورِ الْعَظِيمِ وَالْمُرْعِجَاتِ الْمُقْلِقَاتِ  
الصَّعَابِ .

وَسَمَّيْتَ هَذَا الْكِتَابَ «إِعْتِمَامَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ هُجُومِ  
هَادِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُشْتَتِ الشَّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ » .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ  
الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فِصْل )

تَكَلَّمَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَوَاهِيهِ وَأَسَامِيهِ فَقَالَ : فَاسْتَعَدَّ يَا  
مَسْكِينٍ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ شَأْنَهُ الْمَدِيدِ زَمَانُهُ الْقَاهِرِ سُلْطَانُهُ الْقَرِيبِ أَوَّانُهُ يَوْمٌ  
تُرَى السَّمَاءُ فِيهِ قَدْ انْفَطَرَتْ ، وَالْكَوَاكِبُ قَدْ انْتَثَرَتْ ، وَالْبِحَارُ قَدْ سُجِرَتْ ،  
وَالنُّجُومُ قَدْ انْكَدَرَتْ ، وَالشَّمْسُ قَدْ كَوَّرَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ سِيرَتْ ، وَالْعَشَارُ  
قَدْ عَطَلَتْ ، وَالْوُحُوشُ قَدْ حُشِرَتْ ، وَالنَّفُوسُ قَدْ زُوِّجَتْ ، وَالْجَحِيمُ قَدْ  
سُعِّرَتْ ، وَالْجَنَّةُ قَدْ أُزْلِفَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ نُسِفَتْ ، وَالْأَرْضُ قَدْ مُدَّتْ .

يَوْمٌ تَرَى الْأَرْضُ فِيهِ قَدْ زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا ، يَوْمٌ فِيهِ تُخْرِجُ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،  
وَتُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرُوا أَعْمَالَهُمْ ، يَوْمٌ تُحْمَلُ  
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلِكُ  
عَلَى أَرْجَائِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا  
تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

يَوْمٌ فِيهِ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، يَوْمٌ تُرْجُ فِيهِ الْأَرْضُ رَجًّا ،  
وَتُبَسُّ فِيهِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ، يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ فِيهِ كَالْفَرَاشِ  
الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ .

يَوْمٌ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ،  
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ  
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

يَوْمَ تَنْسَفُ الْجِبَالُ فِيهِ تَسْفًا فَتُشْرِكُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا  
أَمْتًا ، يَوْمَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ ثَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابُ ، يَوْمَ تُنَشَقُّ فِيهِ  
السَّمَاءُ فَتَكُونُ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ يَوْمَ  
فِيهِ يُعْرَفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهِمُ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ  
نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ ، يَوْمَ تُنطِقُ فِيهِ الْجَوَارِحُ .

يَوْمَ شَيَّبَ ذِكْرُهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ إِذَا قَالَ لَهُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَأَيْكَ قَدْ  
شَبَّتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخْوَاتُهَا » وَهِيَ  
الْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

وَتَحَدَّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي  
وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ  
وَتَقْيُءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالْأَصْطِوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ  
كُلُّ يَرَاهُ بَعَيْنِهِ وَعَيْانِهِ مَا لِإِمْرِيءٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ  
وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتُ فَتَأُ مُحْكَمًا فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ  
وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي الْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ  
وَتُبْسُ بَسًا مِثْلَ ذَلِكَ فَتَشْتَنِي مِثْلَ الْهَبَاءِ لِناظِرِ الْإِنْسَانِ  
وَكَذَا الْبِحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ قَدْ فَجَرَتْ تَفْجِيرَ ذِي السُّلْطَانِ  
وَكَذَا لِكَ الْقَمَرَانِ يَا ذُنُ رَبَّنَا لَهْمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ

هَذِي مُكَوَّرَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ      وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ  
 وَكَوَاكِبِ الْأَفْلَاقِ تُنْثَرُ كُلُّهَا      كَلَالِيءٌ نُثِرَتْ عَلَى مَيْدَانِ  
 وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا      وَتُمُورٌ أَيْضًا أَيْمًا مَوْرَانِ  
 وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ      هَذَا الْمَهْلِ أَوْ تَكْ وَرَدَةٌ كِدَهَانِ

وقال القحطاني رحمه الله :

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ      لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ أَوْطَانِ  
 يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلِهِ      وَتَشِيْبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ  
 يَوْمَ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ      فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ  
 يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ      وَفِدَاءً عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعِقْيَانِ  
 وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظِي      يَتَلَمَّظُونَ تَلْمَظَ الْعَطْشَانِ

### « موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْعَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِنَّكُمْ يُوجَّهُ الْحَطَابُ وَيَا أَيُّهَا  
 النَّائِمُونَ انْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ الذَّاتِ وَمُفْرِقِ  
 الْجَمَاعَاتِ وَمِذْلِ الرَّقَابِ ، وَمُشَّتِ الْأَحْبَابِ ، فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ عَائِقُ  
 وَلَا يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابِ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْجُ مِنْ  
 الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ أَلَا  
 وَإِنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ  
 وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإَزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ  
 وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسَيَحِ جِنَاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجْزَلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَضْلٌ )

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ الْمَوْتَ أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى شِدَائِدِهِ وَسَكَرَاتِهِ وَغُمُومِهِ هُوَ الْخَطْبُ الْأَفْطَحُ ، وَالْأَمْرُ الْأَشْتَعُ ، وَالْكَأْسُ الَّتِي طَعَّمَهَا أَكْرَهَ وَأَبْشَعَ .

وإِنَّهُ الْحَادِثُ الْهَائِلُ الْعَظِيمُ ، الْهَادِمُ لِلذَّاتِ ، وَالْأَفْطَحُ لِلرَّاحَاتِ ، وَالْأَجْلَبُ لِلْكَرِيهَاتِ ، وَإِنَّ أَمْرًا يَقَطُّعُ أَوْصَالَكَ ، وَيُفْرَقُ أَعْضَاءَكَ ، وَيُقَتِّلُ أَعْضَادَكَ ، وَيُهْدُدُ أَرْكَانَكَ ، لَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ ، وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ ، وَإِنَّ يَوْمَهُ لَهُوَ الْيَوْمُ الْعَقِيمُ .

وَمَا ظَنُّكَ رَحِمَكَ اللهُ بِنَازِلٍ يَنْزِلُ بِكَ ، فَيَذِيبُ رَوْتَكَ وَبَهَاءَكَ ، وَيُغَيِّرُ مَنْظِرَكَ وَحُسْنَكَ وَيَمْحُو صُورَةَ جَمَالِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ اجْتِمَاعِكَ وَاتِّصَالِكَ .

وَيُرْدُكَ بَعْدَ التُّعْمَةِ وَالنُّظْرَةِ وَالسُّطُورَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالنَّخْوَةِ وَالْعِزَّةِ إِلَى حَالَةٍ يُبَادِرُ أَحَبُّ النَّاسِ لَكَ وَأَرْحَمُهُمْ بِكَ وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْكَ فَيَقْدِفُكَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ قَرِيبَةٍ أَنْحَاؤُهَا مُظْلِمَةٌ أَرْجَاؤُهَا مُحْكَمٌ عَلَيْكَ طِينُهَا وَأَحْجَارُهَا مُتَحَكِّمٌ فِيكَ هَوَامُّهَا وَدَيْدَانُهَا .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَمَكَّنُ مِنْكَ الْإِعْدَامُ ، وَتَخْتَلِطُ بِالرُّغَامِ ، وَتَصِيرُ تُرَابًا تُوْطَأُ بِالْأَقْدَامِ ، وَرُبَّمَا ضُرِبَ مِنْكَ إِنَاءٌ فَخَارٍ أَوْ أَحْكَمٌ مِنْكَ بِنَاءٌ جِدَارٍ أَوْ طَلِيٌّ مِنْكَ مَحْبَسُ مَاءٍ أَوْ مَوْقِدُ نَارٍ .

أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

لَعَلَّ إِنَاءَ مِنْهُ يُصْنَعُ مِرَّةً فَيَكُلُّ مِنْ أَرَادَ وَيُشْرَبُ  
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَاءِ يَتَقَرَّبُ  
ثُمَّ يَعْلَمُ وَفَقِنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ  
وَالكُرُوبِ وَالْأُمُورِ الْمُزْعِجَاتِ .

أَنَّهُ جَدِيدٌ بِمَنْ الْمَوْتُ مَصْرَعُهُ ، وَالتُّرَابُ مَضْجَعُهُ ، وَالدُّوْدُ أُنَيْسُهُ وَمُنْكَرٌ  
وَتَكْبِيرٌ جَلِيسُهُ ، وَالْقَبْرُ مَقْرَهُ ، وَبَطْنُ الْأَرْضِ مُسْتَقْرَهُ ، وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُهُ ،  
وَالجَنَّةُ أَوْ النَّارُ مَوْرِدُهُ .

أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا فِي الْمَوْتِ ، وَلَا ذِكْرٌ إِلَّا لَهُ ، وَلَا اسْتِعْدَادٌ إِلَّا  
لِأَجَلِهِ ، وَلَا تَذْيِيرٌ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَطَّلَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَأْهَبُ إِلَّا لَهُ ، وَلَا تَعْرِجُ  
إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا اهْتِمَامٌ إِلَّا بِهِ ، وَلَا انْتِظَارٌ وَلَا تَرْبُصٌ إِلَّا لَهُ .

وَحَقِيقٌ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَيَرَاهَا مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ، فَإِنَّ  
كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي  
غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وَقَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ »  
الْحَدِيثُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْتِ إِلَّا الْإِعْدَامُ وَانْحِلَالُ الْأَجْسَامِ وَنِسْيَانُكَ  
أُخْرَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، لَكَانَ وَاللَّهِ لِأَهْلِ اللَّذَاتِ مُكْذِرًا ، وَلِأَصْحَابِ النَّعِيمِ  
مُنْعَصِبًا وَمُعِيرًا ، وَلِأَرْبَابِ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ زَاجِرًا  
وَمُنْفِرًا ، وَلِلْمُنْهَمِكِ فِي الدُّنْيَا وَزَخَّارِهَا مُنْذِرًا وَمُزْعِجًا وَمُحَدِّرًا .

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ نَعَّصَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ ،  
فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ ، فَكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يَوْمَ يُعَدُّ فِيهِ الْجَوَابُ وَتَلْدَهَشُ فِيهِ  
الْأَلْبَابُ ، وَتَفْنَى فِي شَرْحِهِ الْأَقْلَامُ وَالْكِتَابُ .



وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِ يَوْمَ فَطِيحٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْحِمَامِ  
 وَيَوْمِ الْحَشْرِ أَفْطَحُ مِنْهُ هَوْلًا إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ  
 فَكُمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشْمَرُ لِلْخِصَامِ  
 وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوًّا مَنَزِلَ الثُّجْبِ الْكِرَامِ  
 وَعَفْوُ اللَّهِ أَوْسَعُ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللَّهُ خَلَّاقَ الْأَنَامِ

ومن كلام بعضهم يا ابن آدم لو رأيت ما حل بك وما أحاط بأرجائك  
 لبقيت مصروعاً لما بك ، مذهولاً عن أهليك وأصحابك .

يا ابن آدم أما علمت أن بين يديك يوماً يصم سماعه الآذان ، ويشيب  
 لروعه الولدان ، ويترك فيه ما عز وما هان ، ويهجر له الأهلون والأوطان .

يا ابن آدم أما ترى مسير الأيام بجسمك ، وذهابها بعمرك ، وإخراجها  
 لك من سعة قصرك إلى مضيق قبرك ، وبعد ذلك ما لذكر بغضيه تصدع  
 القلوب ، وتنضج له الجوانح وتذوب ، ويفر المرء على وجهه فلا يرجع  
 ولا يؤوب ، ويود الرجعة وأنى له المطلوب .

قال الله جلّ وعلا وتقدس : ﴿ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ  
 فِي غَفْلَةٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَقُولُ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي  
 حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ  
 أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال تبارك  
 وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ اقْتَرَبَ  
 لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ  
 لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ  
 الْكِبَرُ وَهُوَ ذَرِيَّةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
 الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا لَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿ ، وقال تبارك وتعالى :  
 ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ ، وقال تعالى :  
 ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا وَمَاعْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا  
 وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ  
 شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ، وقال جل  
 وعلا : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا  
 أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، وقال تبارك وتعالى :  
 ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرًا :

لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ	وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعَ سَكِيبُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارُ ذِكْرِي	لَهَا مِنْ خَارِجِ أَثْرِ عَجِيبُ
وَمَا خَفَّ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ	وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لِأَيْمَاهُ فَلَا تَلُومًا	فَرَبَّتْ لِأَيْمٍ فِيهِ يَحُوبُ
رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ	مُرُورَ الرِّيحِ يَدْفَعُهَا الْهَبُوبُ
وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا	وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامَ	بِهِ الْوِلْدَانِ مِنْ رَوْعِ تَشِيبُ
وَهَذَا الْمَوْتُ يَدِينُهُ إِلَيْهِ	كَمَا يُدْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشِيبُ
مَقَامَ تُسْتَلَدُ بِهِ الْمَسَايَا	وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيبُ
وَمَاذَا الْوَصْفُ بِالْبَالِغَةِ وَلَكِنْ	هِيَ الْأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّيْبُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ  
 وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي

الْحَاجَاتِ وَمُجِيبِ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ  
يَمْلِكُ خَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ  
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### موعظة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَسْتَحَقُّ لِغَايَةِ التَّحْمِيدِ ، الْمُتَوَحِّدِ فِي كِبَرِيَّائِهِ وَعَظَمَتِهِ الْوَلِيِّ  
الْحَمِيدِ ، الْعَنِيِّ الْمُغْنِي الْمُبْدِيءُ الْمُعِيدِ ، الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ  
وَلَا يَبِيدُ ، الْمَانِعِ فَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَلَا رَادًّا لِمَا يُرِيدُ .

خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَحْسَنَ طَرِيقٍ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ ،  
وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ ، وَبَشَّرَ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالتَّخْلِيدِ ،  
وَخَذَرَ مَنْ عَصَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ .

وَخَتَّمَهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَوَعَدَهُمْ بِالْمَزِيدِ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ  
أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ  
عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

وَحَكَّمَ عَلَى خَلْقِهِ بِالْفَنَاءِ فَمَا لِأَحَدٍ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَجِيدٌ ، فَكَمْ أَبْكِي  
الْمَوْتَ خَلِيلًا بِفِرَاقِ خَلِيلِهِ ، وَكَمْ أَيْتَمَ طِفْلًا فَشَعَلَهُ بُيُكَائِهِ وَعَوِيلُهُ .

أَوْحَشَ الْمَنَازِلَ مِنْ أَقْمَارِهَا ، وَنَفَّرَ الطُّيُورَ مِنْ أَوْكَارِهَا ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْ  
لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ .

فَالْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ وَالْعَنِيُّ وَالصُّعْلُوكُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، تَسَاوَتْ قُبُورُهُمْ  
فِي الْقَفْرِ وَالْبَيْدِ .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ أَدَلَّ بِالْمَوْتِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَكَسَرَ بِهِ مِنَ الْأَكَاسِرَةِ  
كُلَّ جَبَّارٍ صَنِيدٍ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ ، وَقُطِعَ حَبْلُ  
أَمْدِهِمُ الْمَدِيدِ .

أَخَذَ بِهِ الْأَبَاءَ وَالْجُدُودَ وَالْأَطْفَالَ مِنَ الْمُهُودِ ، وَأَسَكَنَهُمْ بَعْدَ اللَّيْلِ وَالسَّعَةِ  
وَالرَّفَاهِيَّةِ مَضِيقَ اللَّحُودِ ، وَعَفَّرَ وَجُوهَهُمْ فِي التَّرَابِ بَعْدَ لَيْلِ الْوَسَائِدِ وَالْفَرَشِ  
النَّاعِمَةِ وَالتَّمْهِيدِ وَبَقُوا فِي تَحْتِ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ .

فَيَا بُؤْسَ لِلدُّنْيَا شَدَّ مَا عَنِ نَدِيهَا فَطَمَتَهُمْ وَمِنْ سُمَّهَا أَطَعَمَتَهُمْ وَبِيَدِهَا  
الْبَاطِشَةَ لَطَمَتَهُمْ ، وَفِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَغِيَابَاتِ الثَّرَى طَرَحَتَهُمْ ، فَقَلَبْتَ قَائِمَ  
تِلْكَ الْأَعْيَانَ ، وَطَمَسْتَ تِلْكَ الْوُجُوهَ الْحِسَانَ .

وَأَعَمَّتْ تِلْكَ الْأَبْصَارَ ، وَأَصَمَّتْ تِلْكَ الْأَذَانَ وَأَسَالَتْ الْحَدَقَ عَلَى  
الْحُدُودِ وَالْوَجَنَاتِ ، وَغَسَلَتْ بِالصِّدِيدِ جَمِيلَ الْقَسَمَاتِ ، وَمَلَأَتْ بِالتَّرَابِ  
اللَّهَازِمَ وَاللَّهَوَاتِ .

وَكَسَّرْتَ تِلْكَ الضَّوَاجِكَ وَالرَّبِيعَاتِ ، وَعَبَّثْتَ الدِّيدَانَ بِجُسُومِ أَوْلِيكَ  
الْفِتْيَانِ وَالْفَتَيَاتِ ، لَطَالَمَا اغْرَبُوا ضَاكِحِينَ ، وَتَقَلَّبُوا فَاكِهِينَ ، وَبَاتُوا عَلَى  
سُرْرِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ آمِنِينَ .

فَكَمْ بِهَا مِنْ لِسَانٍ فَصِيحٍ ، طَالَمَا مَا أُنْشَدَ وَحَطَبَ ، وَأَرْهَبَ وَأَرْغَبَ ،  
وَمَدَحَ وَأَطَبَ ، وَكَمْ مِنْ فَصِيحِ لِسَانٍ وَعَظِيمِ بَيَانِ أُخْرَسَهُ الْحَدَثَانُ ،  
وَتَحَكَّمَتْ فِي جَسَدِهِ الْهَوَامُ وَالذِّيدَانُ .

وَلَوْ كَشَفَ الْأَجْدَاثَ مُعْتَبِرًا لَهُمْ لَيَنْظُرَ آثَارَ الْبَلَاءِ كَيْفَ يَصْنَعُ  
لشَاهِدَ أَحَدًا قَدْ تَسِيلَ وَأَوْجَهَا

مُعَفَّرَةٌ فِي التُّرْبِ شُوهُهَا تُفْرَعُ  
غَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ التَّرَى مُكْفَهَّرَةٌ  
عَبُوساً وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبَشْرِ تَلْمَعُ  
فَلَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ فِيهِمْ  
وَلَا خَامِلاً مِنْ نَائِهِ يَتَرَفُّعُ  
وَأَنَّى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا  
تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ الْعَيْنُ تَدْمَعُ  
رَأَى مَا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا  
رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيُتَمَعُ  
رَأَى أَعْظَمًا لَا تَسْتَطِيعُ تَمَاسُكًا  
تَهَافَتْ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطُّعُ  
مُجَرَّدَةٌ مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ  
لِذِي فِكْرَةٍ فِيمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ  
تَخَوَّنَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَأَصْبَحَتْ  
أَنَابِيْبٌ مِنْ أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تُسْمَعُ  
أَزِيلَتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ فَهِيَ تَوَاكُسُ  
عَلَى التُّرْبِ مِنْ بَعْدِ الْوَسَائِدِ تُرْفَعُ  
عَلَاهَا ظِلَامٌ لِلَّيْلِ وَلَطَالَمَا  
غَدَا نُورُهَا فِي حِنْدِسِ الظُّلْمِ يَلْمَعُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا عَلَا مَفْرَقًا لَهَا  
نَفَائِسُ تَيْجَانٍ وَدُرٌّ مُرْصَعُ  
تَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَحِشَّةٌ كُلُّ وَامِقِ  
وَعَافَهُمُ الْأَهْلُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ

وَقَاطَعُهُمْ مَنْ كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ  
 يُوَصِّلُهُمْ وَجِدًا بِهِمْ لَيْسَ يَطْمَعُ  
 يُكَيِّبُهُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ سُوءِ حَالِهِمْ  
 وَيَرْحَمُهُمْ مَنْ كَانَ ضِدًّا وَيَجْزَعُ  
 فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ  
 وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَحَارِفٍ تَحْدَعُ  
 أَفْقًا وَانظُرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ  
 تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَائِعَ تَرْجِعُ  
 فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ قَدَمًا وَمَنْ حَوَى  
 مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ  
 حَوَاهُ ضَرِيحٌ مِنْ فِضَاءٍ بَسِيطِهَا  
 يُقَصِّرُ عَنْ جُثْمَانِهِ حِينَ يُذْرَعُ  
 فَكَمْ مَلِكٌ أَضْحَى بِهَذَا مَذَلَّةً  
 وَقَدْ كَانَ حَيًّا لِلْمَهَابَةِ يُتْبَعُ  
 يُقَوِّدُ عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ فَوَارِسًا  
 يَسُدُّ بِهَا رَحْبَ الْفِيَا فِي وَيُتْرَعُ  
 فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّنْعُمِ فِي ثَرَى  
 تُورِي عِظَامًا مِنْهُ بِهِمَاءُ بَلْقَعُ  
 بَعِيدًا عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ إِيَابُهُ  
 فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ مَرْجِعُ  
 غَرِيبًا عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأَهْلِ نَاوِيًا  
 بِأَفْصَى فَلَاقَ حَرْقُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ

تُلُحُّ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ بِمَنْزِلِ  
 جَدِيْبٍ وَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْرِغُ  
 رَهِيْنًا بِهِ لَا يَمْلِكُ الدَّهْرُ رَجْعَةً  
 وَلَا يَسْتَطِيْعُنَ الْكَلَامُ فَيَسْمَعُ  
 تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبُ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى  
 زَمَانًا عَلَي فُرْشٍ مِنْ الْحَزِّ يُرْفَعُ  
 كَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَنْ تَرَى  
 مِنَ النَّاسِ حَيًّا شَمْلُهُ لَيْسَ يُصَدَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خَلَعَ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ ، وَخَصَّنَا  
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيْقِ الْمُبِيْنِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ  
 وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُوَيَّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا  
 وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا  
 ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ  
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَي آلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِيْنَ .

### ( فصل )

وقال رحمه الله :  
 إَعْلَمْ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ  
 الْمَوْتِ تُرَدِّعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَتَلَيِّنُ الْقَلْبَ الْقَاسِي ، وَتُذْهِبُ الْفَرَحَ بِالْدُنْيَا وَزِيْنَتَهَا  
 وَزَخَارِفَهَا وَلَذَاتَهَا .

وَتَحُنُّكَ عَلَي الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُؤْنِكَ

والتَّسْخُحِ مِنَ حُقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ خَلْقِهِ ، وَتَنْفِيذِ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ  
وَالدِّيُونِ .

قال بعضهم فَصَحَّ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هَذَا الْمَوْتُ فَلَمْ يَتْرِكْ فِيهَا لِذِي عَقْلٍ فَرَحًا .

وقال آخَرُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلًا قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَذِرًا مِنَ الْمَوْتِ حَزِينًا مِنْ  
أَجَلِهِ .

وقال آخَرُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .

وقال آخَرُ : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّاؤُهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .

وقال آخَرُ يُوصِي أَحَا لَهُ : يَا أَخِي إِحْذِرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوجَدُ .

وقال آخَرُ : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُقَدَّرًا  
مَفْرُوعًا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادِ  
وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّنَظُّرِ فِيمَا تَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرًا  
إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ مَوْتِكَ  
سَهْلًا وَأَمْرُهُ قَرِيبًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى كُنْتَ مَأْجُورًا مَعَ النِّيَّةِ  
الصَّالِحَةِ فِيمَا تُقَاسِمِيهِ ، مُثَابًا عَلَى مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْمَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَى مَا  
تَذَكَّرُهُ . قال الله جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ  
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي  
تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ .



وإنما مثل الذكر الذي يعقب التنبه ، ويكون معه النفع والإيقاظ من الغفلة والنوم أن تُحضِرَ المذكورَ قلبك وتجمع له ذهنك وتجعل له نصب عينيك ومثالاً خاضراً بين يديك ، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو مال أو غير ذلك ، فتعلم علماً لا يشوبه شك أنك مفارقة إما في الحياة أو في الممات ، وهذه سنة الله الجارية في خلقه وحكمه المطرد .

وتشعر هذا قلبك وتفرغ له نفسك فتمنعها بذلك عن الميل إلى ذلك المحبوب والتعلق به والهلكة بسببه .

فَعَقِبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ  
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ  
وَفِي مَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمْ بِفِلْسٍ وَقِيَمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ  
وَتَسَانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بِأَلْيَاتِ  
كَأَنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ خِلٌّ مُوَاتٍ

واعلم رحك الله أن مما يعينك على الفكرة في الموت ويُفرغك له ويُكثر اشتغال فكرك به تذكر من مضى من إخوانك وخلانك وأصحابك وأقربائك وزملائك وأساتذتك ومشايختك الذين مضوا قبلك وتقدموا أمامك .

كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيتك ، ويأملون أملاك ، ويعملون في هذه الدنيا عملاً وقصت المنون أعناقهم وقصمت ظهورهم وأصلابهم ، وفجعت فيهم أهليهم وأجباؤهم وأقرباءهم وجيرانهم فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين .

ويتذكر أيضاً ما كانوا عليه من الاعتناء بالملاسي ونضافتها ونصرة بشرتهم ، وما كانوا يسحبونه من أرذية الشباب وأنهم كانوا في نعيم يتقلّبون ، وعلى الأسيرة يتكبون ، وبما شاؤا من محابهم يتنعمون .

وفي أمانِيهِمْ يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ ، لا يُفَكِّرُونَ بِالزَّوَالِ ، ولا يَهْمُونَ  
بانتقال ، ولا يَخْطُرُ الموتُ لَهُمْ على بال ، قد خَدَعَتْهُمُ الدُّنْيَا بِرِخَائِفِهَا ،  
وَحَلَبَتْهُمُ وَخَدَعَتْهُمُ بِرَوْتِهَا ، وَحَدَّثَتْهُمُ بِأَحَادِيثِهَا الكاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمُ  
بموايِدِهَا المُخْلِفةَ العَرارةَ .

فَلَمْ تَزَلْ تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيدَهَا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ مَشِيدَهَا ، وَتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا  
وَجَدِيدَهَا ، حتى إذا تَمَكَّنْتَ مِنْهُمُ علائِقُهَا ، وَتَحَكَّمْتَ فِيهِمْ رَوَاشِقُهَا ،  
وَتَكشَفْتَ لَهُمْ حَقَائِقُهَا ، وَرَمَقْتَهُمْ مِنَ المنيَّةِ رَوَامِقُهَا .

فَوَثِبَتْ عَلَيْهِمُ وَثْبَةَ الحَنِيقِ وَأَغصَّتْهُمُ غُصَّةَ الشَّرِقِ ، وَقَتَلَتْهُمُ قَتْلَةَ  
المُحْتَنِقِ ، فَكَمْ عَلَيْهِمُ مِنْ عُيُونِ بَاكِيةٍ ، وَدُمُوعِ جَارِيَةٍ ، وَخُدُودِ دَامِيَةٍ ،  
وَقُلُوبِ مِنَ الفَرَحِ والسُّرُورِ لِفَقْدِهِمُ خَالِيَةٍ . وَأَنْشُدُوا فِي هَذَا المَعْنَى :

وَرِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَى  
يَمِينُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَمِينُ  
تَعَلَّقَ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ  
خَلُوبًا لِلآبَابِ الرِّجَالِ تَصِيدُ  
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدِ وَقَائِمِ  
وَلِلْمَرءِ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ  
خَلَا بِالْأَمَانِيِ وَاسْتَطَابَ حَدِيثُهَا  
فَيَنْقُصُ مِنَ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ  
وَأَذَنْتَ لَهُ الْأَشْيَاءَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ  
وَتَفْعَلُ تُدْنِي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ  
أَتِيحَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ المَوْتِ رَمِيَّةٌ  
فَرَّاحَ بِهَا المَعْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ

وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا  
 وَعَادَ حَدِيثًا يَقْضِي وَيَيْبِدُ  
 كَانَ لَمْ يَتَلْ يَوْمًا مِّنَ الدُّمْرِ لَذَّةً  
 وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ  
 تَبَارَكَ مَن يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ  
 فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَهْ مَجِيدُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ  
 الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وَاَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ عَلَى أَقْسَامٍ فَمِنْهُمْ الْمُتَهَمِكُ  
 فِي لَذَائِهِ الْمُتَابِرِ عَلَى شَهَوَاتِهِ ، الْمُضِيعُ فِيهَا مَا لَا يَرْجِعُ مِنْ أَوْقَاتِهِ ، لَا يَخْطُرُ  
 الْمَوْتُ لَهُ عَلَى بَالٍ ، وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِزَوَالِ ، وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، فَأَصَمَّهُ  
 وَأَعَمَّهُ وَأَهْلَكَهُ وَأَزْدَاهُ .

فَإِنَّ ذِكْرَ لَهُ الْمَوْتُ تَفَرَّ وَشَرَّدَ ، وَإِنْ وُعِظَ أَنْفَ وَبُعِدَ ، وَقَامَ فِي أَمْرِهِ الْأَوَّلِ  
 وَقَعَدَ ، قَدْ حَادَ عَنْ سِوَاهِ نَهْجِهِ ، وَنَكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى  
 بَطْنِهِ وَفَرَجِهِ ، تَبَّتْ يَدَاهُ وَخَابَ مَسْعَاهُ .

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَوْلَهُ  
 تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ .

وهذا وأمثاله إن ذُكِرَ لَهُ الموتُ تَصَامَمَ عن ذِكْرِهِ كَأَنَّهُ لم يَسْمَعْ ولم يُمَكِّنْهُ  
من فِكْرِهِ رَجَاءً أَن يَبْلُغَ ما أَمَلَ أو يُدْرِكَ بعض ما تَخَيَّلَ فَعَمْرُهُ يَنْقُصُ ،  
وِحِرْصُهُ يَزِيدُ ، وَجِسْمُهُ يَخْلُقُ وَيَضْعِفُ ، وَأَمَلُهُ جَدِيدٌ ، وَحَتْفُهُ قَرِيبٌ .

يَخْرُصُ حِرْصَ مُقِيمٍ وَيَسِيرُ إلى الآخِرَةِ سَيْرَ مُجِدِّ كَأَنَّهُ الدُّنْيَا عنده حَقٌّ  
الْيَقِينِ وَالْآخِرَةَ ظَنٌّ مِنَ الظُّنُونِ .

أَتَحْرِصُ يَا ابْنَ آدَمَ حِرْصَ بَاقِي وَأَنْتَ تَسِيرُ وَيَحْكُ كُلُّ حِينٍ  
وَتَعْمَلُ طَوَّلَ دَهْرِكَ فِي ظُنُونٍ وَأَنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَقِينٍ  
وَقِسْمٌ آخَرٌ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ مَنْ أُزِيلَ عن عَيْنَيْهِ قَدَاها ، وَكُشِفَ عن بَصِيرَتِهِ  
عَمَاها ، وَغُرِضَتْ عَلَيْهِ الْحَقِيقَةُ فَرَأَاها ، وَأَبْصَرَ نَفْسَهُ وَهَوَاها ، فَزَجَرَهَا  
وَنَهَاها ، وَأَبْغَضَهَا وَقَلَاها .

فَلَبَّى الْمُنَادِي ، وَأَجَابَ الدَّاعِي ، وَشَمَّرَ لِتَلَافِي مَا فَاتَ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا هُوَ  
آتٍ ، وَتَاهَبَ لِهُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ ، وَاسْتَعَدَّ لِحُلُولِ  
الشُّتَاتِ وَالانْتِقَالِ إلى مَحَلَّةِ الْأَمْواتِ .

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَكْرَهُ أَن يَشْهَدَ وَقَائِعَهُ أو يَرَى طَلَائِعَهُ وَلَيْسَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ  
لِذَاتِهِ وَلَا لِأَنَّهُ هَادِمٌ لِلذَّاتِ ، وَلَكِنَّهُ يَخَافُ أَن يَقْطَعَهُ عن الاستعداد لِیَوْمِ  
المَعَادِ ، وَالاكتسابِ لِیَوْمِ الحِسَابِ .

وَيَكْرَهُ أَن تُطَوَّى صَحِيفَةُ عَمَلِهِ قَبْلَ بُلُوغِ أَمَلِهِ ، وَأَن يُبَادَرَ بِأَجَلِهِ قَبْلَ  
إِصْلَاحِ حَلَلِهِ ، وَتَدَارِكِ زَلَلِهِ ، فَهُوَ يُرِيدُ البَقَاءَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِقِضَاءِ هَذِهِ  
الأَوْطَارِ وَالإقامةَ بِهِذِهِ المَحَلَّةِ بسببِ هَذِهِ العِلَّةِ .

شِعْرًا :

أَهْوَنُ بَدَارِكِ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا واضربَ بِهَا صَفَحَاتٍ مِنْ مُجِيبِهَا

اللَّهُ يَعْلَمُ أَيُّ لَسْتُ أُعْشِقُهَا      وَلَا أُرِيدُ بَقَاءَ سَاعَةٍ فِيهَا  
 لَكِنْ تَمَرَّغْتُ فِي أَدْنَسِهَا حُقْبًا      وَبِئْسَ أَنْشُرُهَا حِينًا وَأَطْوِيهَا  
 أَيَّامَ أَسْحَبِ ذَنَلِي فِي مَلَاعِبِهَا      جَهْلًا وَأَهْدِمُ مِنْ دِينِي وَأَبْنِيهَا  
 وَكَمْ تَحَمَلْتُ فِيهَا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ      مِنْ شَامِخَاتِ ذُنُوبِ لَسْتُ أَحْصِيهَا  
 فَقُلْتُ أَبْقَى لَعَلِّي أَهْدِمُ مَا      بَنَيْتُ مِنْهَا وَأَدْنَسِي أَنْقِيهَا  
 وَمِنْ وَرَاءِ عِقَابِ لَسْتُ أَقْطَعُهَا      حَتَّى أُخَفِّفَ أَحْمَالِي وَالْقِيَهَا  
 يَا وَيْلَتِي وَبِحَارِ الْعَفْوِ زَاخِرَةٌ      إِنْ لَمْ تُصَيِّنِي بِرَشٍ فِي تَشْنِيهَا .

هَذَا لِلَّهِ دَرُهُ يُرْجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ وَالسُّرُورِ وَالْحُبُورِ لِتَوْبِيخِهِ نَفْسَهُ  
 وَاسْتِعْظَامِهِ لِذُنُوبِهِ وَرَجَائِهِ الْمَغْفِرَةَ .

وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ إِنَّ الْمَوْتَى لَمْ يَبْكُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنَّهُمْ يَبْكُونَ مِنَ  
 حَسْرَةِ الْفَوَاتِ فَاتَتْهُمْ وَاللَّهُ دَارٌ لَمْ يَتْرُودُوا مِنْهَا ، وَدَخَلُوا دَارًا لَمْ يَتْرُودُوا لَهَا .

فَأَيَّةُ سَاعَةٍ مَرَّتْ عَلَى مَنْ مَضَى وَأَيَّةُ سَاعَةٍ بَقِيَتْ عَلَيْنَا وَاللَّهُ إِنْ الْمُتَفَكَّرِ فِي  
 هَذَا لَجِدِيئِرٌ أَنْ يَتْرَكَ الْأَوْطَانَ ، وَيَهْجُرَ الْخِلَانَ ، وَيَدْعَ مَا عَزَّ وَمَا هَانَ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّحْعِي كَانُوا يَشْهَدُونَ الْجَنَازَةَ فَيَرَى فِيهِمْ ذَلِكَ أَيَّامًا كَأَنَّ  
 فِيهِمْ الْفِكْرَةَ فِي الْمَوْتِ ، وَفِي حَالِ الْمَيْتِ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الشُّخَيْرِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ مِنْ  
 حَاصِبَةِ إِخْوَانِهِ قَدْ بَعْدَ عَهْدِهِ بِهِ فَلَا يَزِيدُهُ عَلَى السَّلَامِ حَتَّى يَظُنُّ الرَّجُلُ فِي  
 صَدْرِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةً ، أَيُّ غَضَبٍ كُلِّ ذَلِكَ لِأَنْشِغَالِ فِكْرِهِ بِالْجَنَازَةِ وَتَفَكُّرِهِ  
 فِيهَا وَفِي مَصِيرِهَا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا لَقِيَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَلَا طَفَهُ وَكَانَ مِنْهُ  
 عَلَى أَحْسَنِ مَا عَهَدَ وَقَالَ الْأَعْمَشُ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ وَلَا نَدْرِي مِنَ الْمُعْزَى  
 فِيهَا لِكَثْرَةِ الْبَاكِينَ وَإِنَّمَا بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى الْمَيْتِ .

شِعْرًا :

مَازَا تُؤْمَلُ وَالْأَيَّامُ ذَاهِبَةٌ      وَمِنْ وَرَائِكَ لِلْأَيَّامِ قُطَاعٌ  
وَصِيحَةٌ لِهَجُومِ الْمَوْتِ مُنْكَرَةٌ      صَمَّتْ لَوْقَعَتِهَا الشَّنْعَاءِ أَسْمَاعٌ  
وَعُصْبَةٌ بِكُؤُوسٍ أَنْتَ شَارِبُهَا      لَهَا بِقَلْبِكَ الْآمُ وَأَوْجَاعٌ  
يَا غَافِلًا وَهُوَ مَطْلُوبٌ وَمُتَّبَعٌ      أَنْتَاكَ سَيْلٌ مِّنَ الْفُرْسَانِ دَفَاعٌ  
خُذْهَا إِلَيْكَ طِعَانًا فِيكَ نَافِذَةٌ      تَعْدِي الْجَلِيسَ وَأَمْرٌ لَيْسَ يُسْطَاعُ  
إِنَّ الْمِنِيَّةَ لَوْ تُلْقَى عَلَى جَبَلٍ      لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِنْهُ وَهُوَ مِيَاغُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ يُقْظَنُ مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ  
وَتَبَّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا  
تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ  
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ  
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

### فصل في ذكر كلام بعض المرضى والمحتضرين

وَلَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَتْهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ تَمَثَّلَتْ بِهَذَا الْبَيْتِ .

لَعَمْرِكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى      إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فَكَشَفَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ قَوْلِي : ﴿ وَجَاءَتْ  
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ فِي كَمِّ كَفْنِ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يُبِضُّ سَحُورِيَّةٌ . فَقَالَ : خُذُوا  
هَذَا الثَّوْبَ لِثَوْبٍ كَانَ عَلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ مِسْكٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ فَاغْسِلُوهُ ثُمَّ كَفِّنُونِي فِيهِ

مَعَ ثَوْبَيْنِ آخَرَيْنِ وَكَانَ ثَوْبًا خَلِيقًا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا هَذَا تُرِيدُ  
أَنَّهُ خَلَقَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْحَيُّ أَحْوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ إِنَّمَا هَذَا لِلْمُهَلِّ  
« أَيِّ لِلصَّدِيدِ وَالْقَيْحِ » .

وَيُرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا أُخْتُصِرَ أَبُو بَكْرٍ  
الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ إِنَّا نَرَاكَ أَلَمَ بِكَ فَأَوْصِنَا بِوَصِيَّةٍ وَزَوَّدْنَا مِنْكَ بِمَوْعِظَةٍ .

فَقَالَ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ مَاتَ جَعَلَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي الْأَفْقِ الْمُبِينِ فَقَالُوا  
وَمَا الْأَفْقُ الْمُبِينُ قَالَ قَاعٌ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ فِيهِ رِيَاضٌ وَأَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ فَمَنْ قَالَ  
هَذَا الْقَوْلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَدَأْتَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِكَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ جَعَلْتَهُمْ فَرِيقًا لِلنَّعِيمِ  
وَفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ فَاجْعَلْنِي لِلنَّعِيمِ وَلَا تَجْعَلْنِي لِلسَّعِيرِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَيَّزْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَهُمْ فَجَعَلْتَ مِنْهُ شَقِيئًا وَسَعِيدًا  
وَعُيُوبًا وَرَشِيدًا فَلَا تُشَقِّنِي بِمَعَاصِيكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَهَا وَلَا مَحْصِيَ لَهُمْ  
مِمَّا عَلِمْتَ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَسْتَعْمِلُهُ بِطَاعَتِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَشَاءُ فَاجْعَلْ مَشِيئَتِي أَنْ أَشَاءَ مَا يُقْرِبُنِي  
إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ فَلَا يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ فَاجْعَلْ  
حَرَكَتِي فِي تَقْوَاكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَجَعَلْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
عَامِلًا يَعْمَلُ بِهِ فَاجْعَلْنِي مِنْ خَيْرِ الْقَسَمِينَ .

اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني  
من ساكني جنتك .

اللهم إنك أردت الضلال بقوم وضيقت به صدورهم فاشرخ صدري  
للإيمان وزينه في قلبي .

اللهم إنك دبّرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني حياة طيبة وقربي  
إليك زلفى .

اللهم من أصبح ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة  
إلا بك قال أبو بكر وهذا كله في كتاب الله عز وجل له .

وقال الشعبي رحمه الله لما طعن عمر رضي الله عنه أتني بلبن فشرب منه  
فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر وجعل جلساؤه يشنون عليه خيراً .

فقال وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً كما دخلت لا علي ولا لي والله لو  
كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لا فتديت به من هول المطلاع .

ولما احتضر غشي عليه ورأسه في الأرض فوضع ابنه عبد الله رأسه في حجره  
فلما أفاق من العشي قال لابن عبد الله ضع رأسي على الأرض كما أمرتك  
فقال له ابنه يا أبتى وهل الأرض وحجري إلا سواء قال ضع رأسي على  
الأرض كما أمرتك فوضعه .

قال فمسح خديه بالتراب ثم قال ويل لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم  
يعفر الله لعمر فإذا قضيت فأسرعوا بي إلى حفرتي ، فإنما هو خير تقدموني  
إليه أو شر تضعونه عن رقابكم .

ولما احتضر عثمان رضي الله عنه جعل يقول ودمه يسيل : ﴿ لا إله إلا



أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى أُمُورِي  
وَأَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عَلَى بَلَائِي .

وَيُرَوَّى أَنَّ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا  
يُبْكِيكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِدَنْبٍ أَعْلَمُ أَنِّي أَتَيْتُهُ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ  
أَذْنَبْتُ ذَنْبًا حَسِبْتُهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ .

وَقَالَ سَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِنَا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَرَأَيْتُ مِنْ  
جَزَعِهِ مَا سَاءَنِي فَقُلْتُ هَذَا الْجَزَعُ كُلُّهُ لِمَاذَا وَقَدْ كُنْتَ تَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كَذَا  
يَعْنِي عَلَى حَالَةِ صَالِحَةٍ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجْزَعُ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِالْجَزَعِ وَاللَّهِ لَوْ  
أُتِنِي الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْمَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ فِيمَا أَفْضَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لِغُلَامِهِ وَقَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ يَا غُلَامُ شُدِّ كِتَافِي وَعَفِّرْ  
بِالتُّرَابِ حَدِّي فَفَعَلَ الْغُلَامُ ثُمَّ قَالَ دَنَا الرَّحِيلُ اللَّهُمَّ لَا بَرَاءَةَ لِي مِنْ ذَنْبٍ وَلَا  
عُذْرَ لِي فَأَعْتَدِرُ بِهِ وَلَا قُوَّةَ فَأَنْتَصِرُ بِهَا ثُمَّ قَالَ أَنْتَ لِي « ثَلَاثًا » ثُمَّ صَبَّحَ  
صَيْحَةً وَمَاتَ فَسَمِعُوا صَوْتًا فِي الْبَيْتِ يَقُولُ اسْتَكَانَ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ فَقَبْلَهُ وَأَذْنَاهُ «  
وَمَعْنَى اسْتَكَانَ ذَلٌّ وَخَضَعٌ .

وَقَالَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ صَبَّاحٍ إِلَّا وَيُنَادِي مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ  
الرَّحِيلُ الرَّحِيلُ .

رَأَيْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا كَوْفَدَيْنِ كُلَّمَا تَرَحَّلَ وَفَدَّ جَاءَ فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ  
وَقَالَ آخِرُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّمَا أَنْتَ نَازِلٌ مِنَ الدُّنْيَا فِي مَنْزِلِ تَعْمُرِهِ أَيَّامَ  
عُمْرِكَ ، ثُمَّ تُحْلِيهِ عِنْدَ مَوْتِكَ لِمَنْ يَنْزِلُهُ بَعْدَكَ .

أَخْلَ لِمَنْ يَنْزِلُ ذَا الْمَنْزِلِ وَارْحَلَ فَقَدْ آنَ أَنْ تَرَحَّلَ

وَأَرْحَلُ بِمَا قَدْ كُنْتُ جَمَعْتُهُ  
 هَيْهَاتَ لَا تَخْرُجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ  
 وَأَقْعُدُ مِنَ الْعَيْضِ وَالْأَقْعَمِ  
 فَلَسْتُ بِالخَارِجِ إِلَّا بِمَا  
 وَخَلُّ هَذَا الْأَمَانِيِّ فَمَا  
 كَمْ مِنْ قَتَى طَوَّلَ أَمَالِهِ  
 فَجَاءَهُ الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ  
 فِيَا إِلَهِي الَّذِي جُودُهُ  
 رَحْمَاكَ يَا رَحِيمُنْ فِي فِتْنَةٍ  
 قَدْ حَاجَبَتْهَا عَنْكَ آثَامُهَا  
 وَلَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمُرْتَجَى  
 وَاحْمِلْهُ إِنْ خُلِّيتَ أَنْ تُحْمِلَ  
 فَافْعَلَنْ مَا شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَ  
 وَأَطْلَعْ إِلَى الْكَوَاكِبِ أَوْ فَانزِلْ  
 جِئْتَ فَسَلِّمْ وَبِكَ وَاسْتَسْبِلْ  
 ثُمَّ رُ إِلَّا شَرًّا مَا يُؤَكَّلُ  
 فَقَصَّرَتْ ذُنْيَاهُ مَا طَوَّلُ  
 فَمَاتَ مِنْ قَبْلِ الَّذِي أَمَّلُ  
 قَدْ غَمَّرَ الْآخِرَ وَالْأَوَّلُ  
 لَيْسَ لَهُمْ ذُنُوكَ مِنْ مُؤَمَّلُ  
 وَأَنْزَلْتَهَا شَرًّا مَا مَنْزِلُ  
 فَدَلَّهَا مَاذَا الَّذِي تَعْمَلُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى  
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ  
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ  
 وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

مرض أبو الدرداء فقالوا ندعوا لك طيباً قال الطيبُ أمرَضَنِي . فقال له رَجُلٌ  
 مِنْ أَصْحَابِهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ اشْتَهَيْتَ أَنْ أَسْأِرُكَ اللَّيْلَةَ « أَيُّ أُنْعَلُّ مَعَكَ  
 وَأَوْنِسُكَ .

فقال أبو الدرداء أنت مُعَافَى وَأَنَا مُبْتَلَى فَالْعَافِيَةُ لَا تَدْعُكَ أَنْ تَسْهَرَ ،

والبلا لا يدعيني أن أنام أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية  
الشكر ولأهل البلا الصبر .

ولما اشتد المرضُ على عمر بن عبدالعزيز جأؤوه بطبيب فلما دخل عليه  
ورآه قال : إنه قد سقي السم ولا آمن عليه الموت .

فرفع عمرُ بصره وقال لا يؤمن أيضاً الموت على من لم يسق السم فقال  
الطبيب وهل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين فقال نعم عرفت ذلك حين وقع  
في بطني .

قال تعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك فقال عمرُ ربي  
تبارك وتعالى خير مذهبٍ إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمت أذني ما  
رفعت إليه يدي اللهم خر « أي اختر » لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياماً قليلاً  
حتى مات رضى الله عنه .

ومرض الربيع بن خيثم فقالوا له ندعوا لك طبيباً فتفكر وقال أين عاد  
وتمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً قد كانت فيه الأدوى والأطباء  
فلا أرى المداوي ولا المداوي كل قضي ومضى والله لا أدعو طبيباً أبداً .

ذهب المداوي والمداوي والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترا  
وقال بعضُ الصالحين دخلنا على مُغيرة الخزاز وهو مريض فقلنا له كيف  
تجدك فقال أجذني مؤقراً « أي مثقلاً » بالآثام فقلنا له فما تشتهي .

قال الحسرة على طول العفلة قلنا له فما تشتهي قال الإجابة إلى ما عند الله  
والثقلة عما يكرهه الله قال فبكى القوم جميعاً .

ودخل الحسنُ البصري على عطاء السلمي وهو مريض فوجده قد علاه

العُبار والصفار فقال يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فكان يضربك الهواء  
فتجد له راحة .

قال يا أبا سعيد وبهذا تأمرني إني لاستحيي من الله عز وجل أن أخطو  
خطوة في راحة بدني .

وقال منصور دخلت على عطاء السلمي بعد هذا أعوده وهو مريض فرأيت  
يتسّم فعجبت من ذلك فكانه فهم عني .

فقال أتعجب يا ابن أخي فقلت وكيف لا أعجب فقال وكيف لا أضحك  
وقد دنى فراقي ممن كنت أخافه واحذر .

ودنى قلومي على خالي كنت أرجوه وأمله أتجعل مقامي مع مخلوق  
أخافه كقلومي على خالي أرجوه ، قال هذا قيل أن يحضره وينزل به الموت .

وقال أحمد بن أبي الحواري دخلت على أحد المتعبدين وهو مريض  
فقلت كيف تجدك ، فقال بحال شريفة أسير كريم حيس جواد مع أعوان  
صديق .

والله لو لم يكن لي مما ترون عوضاً إلا ما أودع قلبي من محبته لكنت  
خليقاً أن أذوم على الرضى عنه وما الدنيا وما غاية البلاء فيها هل هو إلا ما  
ترون من هذه العلة .

ويوشك إن اشتد بي الأمر أن يدخلني إلى سيدي ولتعمه العلة رحلت  
بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التحلف عنه .

كأنك قد رحلت عن المباني ووارثك الجادل والصعيد  
وناداك الحبيب فلم تجبه وقربك منه في الدنيا بعيد

وَأَصْبَحَ مَالِكُ الْمَجْمُوعُ نَهْبًا وَعُطِّلَ بَعْدَكَ الْقَصْرُ الْمَشِيدُ  
وَصَارَ بَنُوكَ أَيَّتَامًا صِغَارًا وَعَانَقَ عِرْسَكَ الْبَعْلُ الْجَدِيدُ  
وَأَكْبَرُ مِنْهُ أَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي شَقِيَّيَ أَنْتَ وَيَحَكَ أُمُّ سَعِيدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا  
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالِإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى  
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ  
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِتَعَمَّاتِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ  
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

رَوَى أَنَّ مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ دَخَلَ عَلَى شَابٍ يُعَوِّدُهُ فَوَجَدَهُ حَيَالًا  
عَلَى فِرَاشِهِ كَالشَّنِّ ( الْمَعْنَى يَابِسَ عَلَيْهِ جِلْدُهُ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ ) .

فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْجَوَابَ بِلِسَانِهِ فَأَشَارَ بِطَرْفِهِ وَإِذَا بِصَوْتِ  
الْمَوْذِنِ فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمَوْذِنُ وَيُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ عِنْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ وَلَدَهُ  
فَوَضَاهُ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ لِيُصَلِّيَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بِالْإِيمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ يَا مَالِكُ الْبَلَاءُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ رَاحَةٌ مَعَ بَقَاءِ الْإِيمَانِ يَا مَالِكُ نِعْمَةٌ لَا  
تُعَدُّ وَبَلَاؤُهُ وَاحِدٌ .

قَالَ مَالِكٌ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ يَقِينِهِ وَصَبْرِهِ وَصِدْقِ وَفَائِهِ وَخَالِصِ مَحَبَّتِهِ ، فَلَمْ  
يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ عَدْتُ رَجُلًا مَرِيضًا  
فَلَمَّا قَعَدْتُ عِنْدَهُ قُلْتُ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ فَقَالَ :

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَامَتْ قِيَامَتِي غَدَاتٍ أَقَلِّ الْحَامِلُونَ جَنَازَتِي

وَعَجَّلْ أَهْلِي حَفَرَ قَبْرِي وَصَيَّرُوا  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا قَطُّ صُورَتِي  
خُرُوجِي وَتَعْجِيلِي أَجَلَ كَرَامَتِي  
غَدَاةَ أَتَى يَوْمِي عَلَيَّ وَسَاعَتِي

ويروى عن بعض السلف قال كنتُ آتِي قَبْرَ أَبِي المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ فَشَهِدْتُ  
يَوْمًا جَنَازَةً فِي المَقْبَرَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا فَتَعَجَّلْتُ بِحَاجَتِي وَلَمْ أَتِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ  
رَأَيْتُهُ فِي المَنَامِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَأْتِينِي فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي إِذَا  
أَتَيْتُكَ قَالَ أَيُّ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ وَإِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَطْلُعَ مِنَ  
القَنْطَرَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَيَّ وَتَقْعُدَ عِنْدِي ثُمَّ تَقُومُ فَلَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَجَاوِزَ  
القَنْطَرَةَ .

شِعْرًا :

وَلَمَّا حَلَلْنَا مِنْ بَجَايَةِ جَانِبًا  
وَجَدْتُ لَهَا طِيبًا وَرَوْحًا وَرَاحَةً  
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا الَّذِي أَمْرَجْتَ لَهُ  
فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جَهِلْتُ وَإِنِّي  
فَقَالُوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ  
تَضَوَّعَ بَطْنِ الأَرْضِ مِنْهَا كَأَنَّمَا  
فَقَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا  
حَلِيلِي مَا بَالِي وَبَالُ مَصَائِبِ  
وَمِمَّا شَجَانِي وَهُوَ أَعْظَمُ أَنِّي  
وَلَمْ أَدْرِ مَا كَانَتْ تَحِيَّةُ حَاصِبِهِ  
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعًا وَأَشَدُّهُ  
بَانِي فِي تِلْكَ المَسَالِكِ سَالِكٌ  
نُصَانُ بِهِ تِلْكَ الجُسُومُ وَتُكْرَمُ  
كَأَنِّي لِأَنْفَاسِ الصَّبَا أَنَسَمُ  
مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ وَمُسْنَمُ  
لَأَذْرِي بِذَلِكَ الأَمْرِ مِنْهُمْ وَأَفْهَمُ  
سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وَتُعْظِمُ  
تَفْتَقُ مِنْ دَارَيْنِ مِسْكَ مُحْتَمُ  
تَشْهَرُ بِالدَّمْعِ السَّرَّاءِ المُكْتَمِ  
يُرَاعُ لِذِكْرِهَا فُوَادِي وَيُكَلِّمُ  
قَدَفْتُ بِهَا مُسَوِّدَةَ الجَوْفِ تَلْطِمُ  
لَهُ هَلْ يَبْشُرِي أَمْ بِشَلْعَاءِ تَقْصِمُ  
وَمَا حَصْنِي أَذْهَى عَلَيَّ وَأَعْظَمُ  
أَسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أَيْتُ وَأَرْغَمُ

وما أنا أذري ما آلي وما الذي عليه إذا ما كان ذلك أقدم  
فهل من دم أبكيه صرفاً فإنما يُبكي على هذا من المقلّة اللّم

اللّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا  
نَحْذَرُ . اللّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللّهُمَّ إِنَّكَ  
تَعْلَمُ غُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا  
رَبُّ الْعَالَمِينَ اللّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى  
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وقال رَحِمَهُ اللهُ تعالى :

واعلم رحمك الله أن أمر الخاتمة وما يُحذر من سُوئه أمر إذا ذكِرَ حَقِيقَةً  
ذِكْرَهُ انْفَطَرَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَصَدَّعَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ وَتَقَطَّعَتْ .

ولولا أن الله جل وعلا حَدَدَ الْأَجَالَ لَزَهَقَتِ الْأَنْفُسُ عِنْدَ أَوَّلِ ذِكْرِهِ  
وَلَكِنَّهَا مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ مَقْهُورَةٌ مُصْرَفَةٌ تُخْرَجُ إِذَا أُذِنَ لَهَا فِي الْخُرُوجِ وَتَلْجُ إِذَا  
أُذِنَ لَهَا فِي الْوُلُوجِ .

وما يَمْنَعُ الْقُلُوبَ مِنَ الْإِنْشِقَاقِ وَالْإِنْصِدَاعِ وَالْإِنْفِطَارِ وَالْإِنْقِطَاعِ وَالَّذِي  
يَلْقَى الْمُخْتَوِّمَ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ عَذَابٌ لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِشِدَّتِهِ وَلَا  
آخِرَ لِمُدَّتِهِ .

وما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحْتَمُّ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ ، وما الذي

أَمْنَهُ مِنْهُ ، وَالْخَاتِمَةُ مُغَيَّبَةٌ ، وَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالنَّفْسُ كَمَا تَرَى ، وَالشَّيْطَانُ مِنْهَا بِحَيْثُ تُدْرِي .

وهي مُصْغِيَةٌ وَمُسْتَمَعَّةٌ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ فَهِيَ مُلْتَفِتَةٌ نَحْوَ الشَّيْطَانِ وَمُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ .

هِيَ النَّفْسُ إِنْ تَنْظُرُ إِلَى الْحَقِّ نَظْرَةً فَإِنَّ لَهَا فِي غَيْرِهِ نَظَرَاتٍ وَإِنْ نَهَضَتْ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ نَهْضَةً فَإِنَّ لَهَا عَنْهُ غَدًّا نَهْضَاتٍ إِلَى اللَّهِ أَشْكُوهَا فَبِاللَّهِ حَوْلُهَا وَبِاللَّهِ تَمْضِي فِي الْأُمُورِ وَتَأْتِي

وَرَدَ فِي الْحَبْرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْنُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْنُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

قَدْ جَرَّتِ الْأَقْلَامُ فِي ذَا الْوَرَى بِالْخَتْمِ مِنْ أَمْرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ  
وَحَطَّتِ الشَّيْءَ عَلَى حُكْمِهِ فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ مِنْهُ الْقَدِيمِ  
فَمِنْ عَزِيزِ رَأْسِهِ فِي السُّهَى وَمِنْ ذَلِيلِ وَجْهِهِ فِي التُّخُومِ  
وَمِنْ صَاحِبِ شُدَّتْ أَرْكَائِهِ وَآخِرُ وَاهِي الْمَبَانِي سَقِيمِ  
كُلُّ عَلَى مِنْهَا جِهَ سَالِكُ كُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ رَبِّ عَلِيمِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَانظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ كَيْفَ تَقْرُ عَيْنُ عَاقِلٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَكَيْفَ يَسْتَقِرُّ بِهِ فِيهَا قَرَارٌ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ وَتَوَقُّعُ هَذَا الْمَالِ وَاشْتِغَالُ هَذَا الْحَاظِرِ وَتَقْسِيمُ هَذَا الْبَالِ .



كَلَّا لَا حُلُولَ لَهُ وَلَا قَرَارَ وَلَا رَبْعَ وَلَا دَارَ وَلَا قَلْبَ إِلَّا مُسْتَطَارَ ، وَلَا نَوْمَ  
يَنَامُهُ إِلَّا غِرَارَ حَتَّى يَنْدِرِي أَيْنَ مَسْقَطُ رَأْسِهِ وَمَحَطُّ رِجْلِهِ وَمَوْضِعُ رِجْلِهِ ، وَمَا  
الْمَوْرِدُ وَالْمَنْهَلُ فِي أَيِّ الْمَحَالِّ يَجِلُّ فِي أَيِّ الْمَنَازِلِ يَنْزِلُ :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَائِنِ تَنْزِلُ  
لَكِنَّ حِجَابَ الْعَقْلَةِ الَّذِي غَطَّى الْقُلُوبَ كَثِيفٌ فَلَا يَرَى مَا وَرَاءَهُ وَالْوَقْرُ  
الَّذِي فِي الْأَذَانِ عَظِيمٌ فَلَا يَسْمَعُ مِنْ نَاصِحٍ دُعَاءَهُ .

روى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

فَيَقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا  
الْمَوْتُ .

ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا  
الْمَوْتُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا  
مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ  
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » .

فَانظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى عَظِيمِ هَذِهِ الْعَقْلَةِ وَكَثَافَةِ حِجَابِهَا وَكَيْفَ مَنَعَتْ  
مِنَ النَّظَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَالْفِكْرَةِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .

شِعْرًا :

حَاسِبِ النَّفْسَ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ      وَأَذِقْهَا الْعَذَابَ قَبْلَ الْعَذَابِ  
وَأَصِيبْهَا مِنَ الْأَسَى بِشَوَاطِئِ      يُنْضِجُ اللَّحْمَ قَبْلَ نَضِجِ الْإِهَابِ  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ يَوْمًا بِدَمْعٍ      فَبَدِّمْعِ مِنَ الْفُؤَادِ مُشَابِ

وَحَذَارِ حَذَارٍ أَنْ تَتَهَنَّا بِطَعَامٍ تَنَالُهُ أَوْ شَرَابٍ  
أَوْ مَنَامٍ تَنَامُ بِاللَّيْلِ حَتَّى تَسْتَيْبِينَ الْمَالَ يَوْمَ الْمَأْتِ

وَقِيلَ يَا ابْنَ آدَمَ الْأَقْلَامُ تُجْرِي وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ لَا تَدْرِي ، يَا ابْنَ آدَمَ دَعِ  
الْمَعَانِي وَالْأَوْطَانَ وَالْمَنَازِلَ وَالْدِيَارَ ، وَالتَّنَافُسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، حَتَّى تَرَى مَا  
فَعَلْتَ فِي أَمْرِكَ الْأَقْدَارَ ، وَقَدْ بَكَى أُولُو الْأَلْبَابِ عَلَى هَذَا فَاكْثُرُوا وَاسْهَرُوا مِنْ  
أَجْلِهِ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةَ وَاسْهَرُوا وَحَاوَلْ عَاذِلُوهُمْ كَفْهَمَ عَمَاهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا  
وَكَلَّمُوهُمْ فِي الْأَقْصَارِ فَلَمْ يُقْصِرُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُبْصِرُوا .

وَذَلِكَ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَاحَ لَهُمْ وَالتَّائِيْدِ الَّذِي سَمَلَهُمْ وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي قَطَعَ  
عَنْهُمْ مَا صَدَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشَغَلَهُمْ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ نَفْحَاتُ  
الرَّجَاءِ فَاسْتَبَشَرُوا وَسَكَنُوا مِنْ ذَلِكَ الْهَيْجَانِ وَفَتَرُوا .

ثُمَّ ذَكَرُوا مَا هُمْ مُعْرَضُونَ لَهُ فَعَاذُوا لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاجْتِهَادِ ، وَرُبَّمَا  
زَادُوا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُوا ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَكَثْرَةِ جَزَعِهِمْ  
يَظُنُّونَ كُلَّ إِشَارَةٍ إِنَّمَا يُشَارُ بِهَا إِلَيْهِمْ .

كَمَا رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ  
لَوَاقِعٌ ﴾ قَالَ هَذَا قَسَمُ حَقِّ فَظَنَّ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ وَقَعَ بِهِ فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَسَمِعَ آخَرَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوه ﴾ أَوْ آيَةَ نَحْوَهَا فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَمَرَّ آخَرُ عَلَى رَجُلٍ يَبِيعُ الْخِيَارَ ، وَيَقُولُ عَشْرَةَ بَدَانِقٍ « الدَانِقُ سُدْسُ  
دِرْهَمٍ » فَعُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ مِمَّ غَشِيَ عَلَيْكَ . فَقَالَ أَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ  
الْخِيَارَ الْعَشْرَةَ بَدَانِقٍ ، وَإِذَا كَانَتْ قِيَمَةُ الْخِيَارِ هَذِهِ فَكَمْ تَكُونُ قِيَمَتِي وَقِيَمَةُ  
أَمْثَالِي .

ظَنَّ الْمِسْكِينُ أَنَّ الْمُرَادَ خِيَارَ النَّاسِ وَأَفْاضِلُهُمْ فَانظُرْ إِلَى هَذَا الْمِسْكِينِ لَمْ

يُلْتَقِ بِآلِهِ إِلَى أَنَّهُ الْخِيَارَ الْمَأْكُولَ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ وَسُوءِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ .

وَإِحْتِمَاءً فَاسْتَلَّكَ عَلَى مَنَاجِرِ هَوْلَاءِ الْعُقَلَاءِ ، وَالتَّمَسُّ عَلَى آثَارِ هَوْلَاءِ الْفَضْلَاءِ ، وَأَدِمَّ حَسْرَتَكَ ، وَأَطْلَ زَفَرَتَكَ ، وَأَمْرَجَ بَدَمِ الْفَوَادِ عِبْرَتَكَ ، وَصَلَّ الْبُكَاءَ بِالْبُكَاءِ ، وَالْأَسَى بِالْأَسَى حَتَّى تَتَكَشَّفَ لَكَ هَذِهِ الْغِشَاوَةُ وَتَنْجَلِيَ عَنْكَ هَذِهِ الْعِمَامَةُ .

بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيَّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ فَقِيلَ لَهُ أُبْكَأُكَ هَذَا عَلَى الذُّنُوبِ فَأَخَذَ تَبَنَةً مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ الذُّنُوبُ أَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ إِنَّمَا أَبْكَى خَوْفَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ « لِأَنَّهَا الْأَمْرَ الَّذِي يُبْكَى عَلَيْهِ ، وَيُصْرَفُ الْإِهْتِمَامُ لَهُ .

وَلِذَلِكَ قِيلَ لَا تَكْفُ دَمْعَكَ حَتَّى تَرَى فِي الْمَعَادِ رَبَّكَ ، وَقِيلَ لَا تَكْحَلْ عَيْنَكَ بِنَوْمٍ حَتَّى تَرَى حَالَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَقِيلَ لَا تَيْتْ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ حَتَّى تَعْلَمَ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ .

وَسَمِعَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجُلًا يُنْشِدُ شَطْرَ بَيْتِ شِعْرٍ . أَيَا رَاهِبِي نَجْرَانِ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ فَبَكَى لَيْلَتَهُ كُلَّهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ مَا كَانَ شَأْنُكَ الْبَارِحَةَ وَمَا الَّذِي أُبْكَأَكَ فَقَالَ : سَمِعْتُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ الشَّطْرَ السَّابِقَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَاذَا قُدِّرَ عَلَيَّ وَمَا الَّذِي يَجْرِي عَلَيَّ فَاَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْشِدِ الْبَيْتِ . هـ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ صِنْفَانِ صِنْفٌ مُقَرَّبٌ مُصَانٌ ، وَصِنْفٌ مُبَعَّدٌ مُهَانَ ، صِنْفٌ نُصِبَتْ لَهُ الْأَسِيرَةُ وَالْحِجَالُ وَجُمِعَتْ لَهُ الرِّغَائِبُ وَالْأَمَالُ وَالْأَرَائِكُ وَالْكَلالُ .

وَصِنْفٌ أُعِدَّتْ لَهُ الْأَرْاقِمُ وَالصَّلَالُ وَالْمَقَامِعُ وَالْأَغْلَالُ وَضُرُوبُ الْأَهْوَالِ

وَالْأُنْكَالَ وَالسَّلَاسِلَ وَالغِسْلِينَ وَالزُّقُومَ وَالضَّرِيعَ وَالْحَمِيمَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مِنْ  
أَيِّ الصَّنْفَيْنِ أَنْتَ وَلَا فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُتِبْتَ .

وَكَيْفَ بِالنُّومِ عَلَى زَارَةٍ مِنْ أَسَدٍ تَكْشُرُ أُنْيَابَهُ  
وَأَنْتَ فِي ذَاغِيرٍ مُسْتَعْتَبٍ فِي مَنْزِلٍ قَدْ كَسَرْتَ أَبْوَابَهُ  
وَتَلَّمْتَ بِالرُّوعِ حَيْطَانَهُ وَفُرَّقْتَ بِالْخَوْفِ حُجَابَهُ

آخر :

وَالَّذِي أَبْكَى الْجُفُونَ دَمًا فَعَدَّتْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمْعَ عُذْرُ  
سَابِقٍ لَمْ تَدْرِهِ كَيْفَ جَرَى فِي الْقَضَاءِ الْحَتْمُ فِيهِ وَالْقَدْرُ  
وَأُمُورٍ فِي الْوَرَى قَدْ أُخْفِيَتْ عَنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَصْحَابِ النَّظَرِ  
فَدَعِ الْأَنْفَاسَ فِيهَا صَاعِدَةً وَدُمُوعَ الْعَيْنِ مِنْهَا تَنْحَدِرُ  
وَأَبْكَ لَا جَفَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ أَيَّامَ الْعَرْرِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ  
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْفَى وَيَا  
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأِنلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا  
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وقال رحمه الله واعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباباً ولها طرقٌ  
وأبوابٌ أعظمها الإقبال والاكتاب على الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ،  
والإقدام بالمعصية على الله جل وعلا وتقدس .

وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَنَوْعٌ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَجَانِبٌ  
مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، وَنَصِيبٌ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ ، فَمَلَكَ قَلْبَهُ وَسَيَّ  
عَقْلَهُ ، وَأَطْفَأَ نُورَهُ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حُجْبَهُ .

فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ تَذَكُّرَةٌ ، وَلَا نَجَعَتْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الْمَوْتُ عَلَى ذَلِكَ  
فَسَمِعَ النَّدَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَلَمْ يَتَيَّنِ الْمَرَادُ وَلَا عَلِمَ مَا أَرَادَ ، وَإِنْ أَعَادَ عَلَيْهِ  
وَأَعَادَ .

وَيُرْوَى أَنَّ أَحَدَ رِجَالِ النَّاصِرِ بْنِ عَلِنَاسٍ ، نَزَلَ بِهِ الْمَوْتَ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ  
لَهُ : ( قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) فَقَالَ النَّاصِرُ يَا مَوْلَايَ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فَأَعَادَ ثُمَّ أَصَابَتْهُ  
عَشْيَةٌ فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْهَا قَالَ النَّاصِرُ أَمَوْلَايَ ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ يَا فَلَانَ النَّاصِرُ إِنَّمَا  
يَعْرِفُكَ بِسَيْفِكَ فَالْقَتْلُ ثُمَّ الْقَتْلُ ثُمَّ مَاتَ .

وَقِيلَ لِأَخَرَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقَالَ الدَّارُ الْفُلَانِيَّةُ  
أَصْلِحُوا فِيهَا كَذَا ، وَالْجَنَانُ الْفُلَانِيَّةُ أَفْعَلُوا فِيهَا كَذَا ، وَقِيلَ لِرَجُلٍ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ  
( قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) فَجَعَلَ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ دِهْ يَا اَزْدِهْ دَوَازْدِهْ تَفْسِيرُ عَشْرَةِ  
أَحَدِ عَشْرٍ إِثْنَا عَشَرَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ وَالِدِيَّانِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ  
الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ .

وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَقُولُ :  
يَا رَبُّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مَنْجَابٍ  
وهذا الكلام فيه قصة وذلك أن رجلاً كان واقفاً على باب داره وكان  
باب داره يشبه باب الحمام فمرت امرأة لها رونق ومنظر خلّاب وهي تسأل  
عن طريق حمام منجباب .

فَقَالَ لَهَا هَذَا حَمَامٌ مَنجَابٌ وَأَشَارَ إِلَى دَارِهِ فَدَخَلَتْ دَارَهُ وَدَخَلَ وَرَائِهَا  
فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا مَعَهُ فِي دَارِهِ ، وَلَيْسَتْ بِحَمَامٍ عَلِمَتْ أَنَّهُ خَدَعَهَا فَاحْتَالَتْ  
عَلَيْهِ بِأَن أَظْهَرَتْ لَهُ الْفَرَحَ وَالْبِشْرَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ عَلَى تِلْكَ الْخَلْوَةِ فِي تِلْكَ  
الِدَارِ .

وَقَالَتْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ الْاجْتِمَاعُ وَتَقَرَّبِهِ عِيُونُنَا فَفَرَّحَ  
وَقَالَ السَّاعَةَ آتِيكَ بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَمَا تَشْتَهِينَ .

وَنَحَرَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَعْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ ، وَمَضَى وَأَتَى بِمَا  
يَصْلَحُ لَهُمَا وَرَجَعَ وَدَخَلَ الدَّارَ فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ وَلَمْ يَجِدْ لَهَا  
أَثَرَ .

فَهَامَ الرَّجُلُ بِهَا وَذَهَبَتْ بِلُبِّهِ فَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا وَالْحُزْنَ وَالْجَزَعَ عَلَيْهَا  
وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَيَقُولُ :

يَا رَبِّ قَائِلِيهِ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مَنجَابٍ  
وَمَرٌّ مِنْ عِنْدِ بَيْتِهَا وَهُوَ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ وَإِذَا بِهَا تُجَاوِبُهُ مِنْ دَاخِلِ دَارِهَا  
وَتَقُولُ بِصَوْتٍ سَمِعَهُ :

هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ  
إِنْ يَنْفَذَ الرُّزْقُ فَالرُّزْقُ يَخْلِفُهُ وَالْعِرْضُ مِنْ أَيْنَ يَا مَعْرُورُ يُنْجَابُ  
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ جَعَلَ يُرَدِّدُ ذَلِكَ وَمَاتَ .

وَقِيلَ لآخر قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَهْدِي بِالْغِنَاءِ وَقَالَ وَمَا يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ  
وَلَمْ أَدْعُ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا ثُمَّ مَاتَ .

وَقِيلَ لآخر قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ وَمَا يَغْنِي عَنِّي وَمَا أَعْلَمُ أَنِّي صَلَيْتُ لِلَّهِ  
صَلَاةً ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يَقْلُهَا .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال هو كافر بما تقول ومات .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال كلما أردت أن أقولها فليساني يمسك عنها .

وقال ابن القيم رحمه الله أخبرني من حضر بعض الشحاذيين عند الموت فجعل يقول لله فليس ، لله فليس فمات .

وأخبرني أحد التجار عن قريب له احتضر وهو عنده فجعلوا يلقيونهُ ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذا مشتري جيد .

وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبراً والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم .

وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريد من المعاصي .

وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه بما هو فيه من ألم التزعير .

وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه ليتألم منه غرضه فإن ذلك آخر العمل .

فأقوى ما يكون عليه الشيطان ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة « أي حالة نزع الروح » .

فمن ترى يسلم على ذلك فهناك ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

فَكَيْفَ يُوفِّقُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا .

فَبَعِيدٌ مِنْ قَلْبٍ بَعِيدٍ مِنَ اللَّهِ غَافِلٌ عَنْهُ مُتَعَبِّدٌ هَوَاهُ مُصَيِّرُهُ لَشَهَوَاتِهِ وَلِسَانُهُ يَابَسٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَجَوَارِحُهُ مُعْطَلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ مُشْتَغَلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ فَبَعِيدٌ أَنْ يُوفِّقَ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ . انتهى كلامه رحمه الله .

وَقِيلَ عَنْ شَارِبِ الدِّخَانِ أَنَّهُ كَلِمَا قِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ تَتْنُ حَارِ تَتْنُ حَارِ .

وَقِيلَ عَنْ بَقَالٍ أَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَتِي الشَّهَادَتَيْنِ فَيَقُولُ حَمْسَةً سِتَّةَ أَرْبَعَةٍ فَكَانَ مَشْغُولًا بِالحِسَابِ الَّذِي طَالَ لَهُ الْإِفْهُ فَغَلَبَ عَلَى لِسَانِهِ وَلَمْ يُوفِّقْ لِلشَّهَادَتَيْنِ .

وَيُخَشَى عَلَى صَاحِبِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ وَالمُتَخَدِي الْآتِ اللّهُ مِنْ شَطْرِنَجٍ وَأَعْوَادٍ وَأُورَاقٍ لَعِبٍ وَبِكَمَاتٍ وَاصْطُوانَاتٍ وَكُرَّةٍ وَمَذْيَاعٍ وَتَلْفِزِيُونَ وَفَيْدِيُو وَسِينَا وَصُورِ ذَوَاتِ الأرواحِ .

أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا بِهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيَكُونُ خَتَامُ صَحِيفَتِهِ وَالعِبَادُ بِاللّهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ مِنْ مَا يَأْتِي فِيهَا مِنَ المُنْكَرَاتِ مِنْ أَغَانِي وَصُورٍ وَتَمَثُّلِيَّاتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ نَسَأَلُ اللّهُ أَنْ يَعْصِمَنَا وَاخْوَانَنَا المَسْلِمِينَ مِنْهَا وَقَالَ رَحِمَهُ اللّهُ وَاعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الخَاتِمَةِ أَعَادَتَا اللّهِ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ المَسْلِمِينَ مِنْهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَصَلَحَ بَاطِنُهُ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَسَادٌ فِي العَقْلِ وَإِصْرَارٌ عَلَى الكِبَائِرِ وَإِقْدَامٌ عَلَى العِظَائِمِ .

فَرَبَّمَا غَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزَلَ بِهِ الْمَوْتُ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَيَثْبُ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِنَائَةِ وَيَأْخُذُهُ الْمَوْتُ قَبْلَ إِصْلَاحِ الطَّوْبَةِ فَيَحْتَضِفُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ



وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ثُمَّ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمًا لَمْ يَتَّعِبْ عَنْ حَالِهِ وَلَمْ  
يَخْرُجْ عَنْ سُنَّتِهِ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية  
وقد سَمِعْتُ بَقِصَةَ بِلْعَامِ بْنِ بَاعُورَاءَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ  
بَيْنَاتِهِ « أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ » فَسَلَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ مَا أُعْطَاهُ وَتَرَكَه  
مَعَ مَنْ اسْتَمَالَهُ وَأَعْوَاهُ .

شِعْرًا :

إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي بِالذَّسَائِسِ وَأَنْتَ بِحِمَاةِ الْبُهْتَانِ غَاطِسٌ  
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَامٍ بِإِفْكِ وَتُغْتَالُ الْأَكَارِمَ وَالْأَوَائِسِ  
تُسَابِقُ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ فِتَنِ الْوَسَاوِسِ  
أَضَعْتَ الْعُمَرَ فِي زُورٍ وَوِزْرِ وَلَهُوَ مَعَ ذَوِي الْقَدْرِ الْأَبَالِسِ  
فَعَجَّلَ بِالْمَتَابِ لثِيْلٍ عَفْوٍ لِتُحْبِي مِنْ جَنَا مَا أَنْتَ غَارِسُ

اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعَلَّمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى  
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ  
تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَتُقِيمَ عِلْمَ  
الْجِهَادِ وَتَقْمَعَ أَهْلَ الزُّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

## ( فَصْل )

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَاتَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَالَ كَسَّفُوهُ جُعَلَ فِي النَّارِ ثُمَّ أُدْخِلَ فِي صُوفٍ رَطْبٍ ثُمَّ جُدِبَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَا إِنَّا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ .

وَيُرَوَّى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ فَقَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْمُصْفُورِ حِينَ يُلْقَى فِي الْمَقْلَى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ .

وَيُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ الْقَصَابِ تُسْلَخُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ حَدِّثْنَا عَنِ الْمَوْتِ فَقَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَعُصْنِ كَثِيرِ الشُّوكِ أُدْخِلَ فِي جَوْفِ رَجُلٍ فَأَخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ ثُمَّ جَذَبَتْهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ لِتَشْدِيدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا تَكْمِيلُ فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَقْصاً وَلَا عَذَاباً بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

وَالثَّانِيَةُ أَنَّ تَعْرِفَ الْخَلْقِ مِقْدَارَ أَلَمِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ عَلَى بَعْضِ الْمَوْتَى فَلَا يَرَى عَلَيْهِ حَرَكَةً وَلَا قَلْقَافاً وَيَرَى سُهولةَ خُرُوجِ رُوحِهِ فَيُظَنُّ سُهولةَ أَمْرِ الْمَوْتِ وَلَا يَعْرِفُ مَا الْمَيِّتُ فِيهِ .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبَرِهِمْ شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَطَعَ الْخَلْقُ بِشِدَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي يُقَاسِيهِ الْمَيِّتُ مُطْلَقاً لِأَخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا خَلَا الشَّهِيدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ انْتَهَى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
« الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ مَسِّ الْقَرْصَةِ . »

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَرْضِ وَالْكَفَارَاتِ وَابْنُ مَيْنِعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرِ حَقٍّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ  
مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ . »

قُلْتُ بَلَى قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ  
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ عَلَى كُلِّ  
حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً كَبِيراً وَجَلَّالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ . »

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضَ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي  
أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى وَأَعِزَّنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ  
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى . »

فَإِنْ مِتُّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فَإِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ  
أَقْتَرْتُ ذُنُوباً تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مَرْفُوعاً « مَنْ قَالَ عِنْدَ  
مَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا تَطْعَمُهُ  
النَّارُ . »

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ دُعَاءُ يُونُسَ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فَإِذَا مُسْلِمٌ دَعَا بِهَا فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ  
أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيءٌ بَرِيءٌ مَغْفُوراً لَهُ .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وأخرج سعيد بن منصور عن أم الحسن قالت : كُنْتُ عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال فلان بالموت .

فَقَالَتْ انطلق فإذا رأيته أحتضِرْ فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

شِعْرًا :

هَلْ وَجَدْتَ الْيَوْمَ فِيهِ مِنْ مَزِيدٍ	لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ
هُوَ فِي الظَّاهِرِ تَزْوِيْقًا وَشِيدِ	وَهَلِ الْبَاطِنُ فِيهِ مِثْلَ مَا
أَوْ سَعِيرٌ مَالَهَا فِيهِ حُمُودُ	وَهَلِ الْمَضْجَعُ فِيهِ لَيْنٌ
نِيرَاتٌ أَوْ بِأَعْمَالِكَ السُّودُ	وَهَلِ الْأَرْكَانُ فِيهِ بِالتَّقَى
أَشَقِيَّ أَنْتَ فِيهِ أُمُّ سَعِيدِ	لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ
وَسِعَ الْعَالَمَ إِحْسَانًا وَجُودُ	أَقْرَبُ أَنْتَ مِنْ رَحْمَةٍ مَنْ
طُرِقَتْ دَارُكَ بِالْوَيْلِ الْبَعِيدِ	أَمْ بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْهَا فَلَقَدْ
ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا فِي ذَا الْوُجُودِ	وَلَقَدْ حَلَّ بِأَرْجَائِكَ مَا
كَمْ تَعَامِي وَتَلَوِي وَتَعِيدِ	أَيُّهَا الْغَافِلُ مِثْلِي وَإِلَى
خَرَجْتَ وَيَحَكَ مِنْ قَلْبِ عَمِيدِ	أُذُنٌ فَاقْرَأْ فَوْقَ رَأْسِي أَحْرُفًا
وَهُمُومٌ كُلَّمَا تَمْضِي تَعُودُ	صَرَغَتْهُ فِكْرَةٌ صَادِقَةٌ
هُوَ مِنْهَا فِي قِيَامٍ وَقُعُودِ	وَنَدَامَاتٍ لِأَيَّامٍ مَضَتْ
بِي وَإِلَّا فَاْمَضْ وَأَعْمَلْ مَا تُرِيدُ	وَعَدَا تَرْجِعْ مِثْلِي فَاتَّعِظْ
سَيْرَاهُ بَصَرٌ مِنْكَ حَدِيدُ	فَدُ نَصَحْنَاكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ

اللَّهُمَّ انظِمْنا في سِلْكِ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجعلنا مِنْ عِبادِكَ الْمُخْلِصِينَ  
وَأَمَّا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرنا معَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ  
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعلى آلهِ  
وصحبه أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

أُخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ يَسْتَحَبُّ إِذَا حُضِرَ  
الْمَيِّتُ (أَيَّ حَضْرَهُ الْمَوْتِ) أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ سُورَةُ الرَّعْدِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ عَنْ  
الْمَيِّتِ وَأَنَّهُ أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وَأَيْسَرُ لِشَأْنِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْمَيِّتُ بِسَاعَةٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، وَبِرِّدْ عَلَيْهِ مَضْجَعَهُ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِ قَبْرَهُ ،  
وَأَعْطِهِ الرَّاحَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْحَقَّةُ بِنَبِيِّهِ .

وَتَوَلَّ نَفْسَهُ ، وَصَعَّدَ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ ، وَأَجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي  
دَارِ تَبَقَى فِيهَا الصِّحَّةُ ، وَيَذْهَبُ عَنَّا فِيهَا النَّصَبُ وَاللُّغُوبُ ، وَيُصَلِّيَ عَلَيَّ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُكْرِرُ ذَلِكَ حَتَّى يُقْبَضَ .

وَعَنْ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَقْرَأُونَ عِنْدَ  
الْمَيِّتِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ .

وَأُخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ  
مَخْرَجًا ﴾ قَالَ مَخْرَجًا مِنْ شُبُهَاتِ الدُّنْيَا وَمِنَ الْكُرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمِنْ مَوَاقِفِ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّهُ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَرَأَى لَهُ مَلَكَاةَ اللَّذَّانِ كَانَا يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا .

فَإِنْ كَانَ صَحِبَهُمَا بِطَاعَةِ اللَّهِ قَالَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا فَرُبَّ مَجْلِسٍ صَدِيقٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ وَعَمِلَ صَالِحًا قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ وَكَلَامٍ حَسَنٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

وَإِنْ كَانَ صَحِبَهُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ رِضَاهُ قَلَبَا عَلَيْهِ التَّنَاءَ فَقَالَا لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

فَرُبَّ مَجْلِسٍ سُوءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ ، وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ ، وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ .

فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا قَالَ فَذَلِكَ شُحُوصُ بَصَرِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِمَا وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ عَنْ سَفِيَانَ قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ قَالَ مَلَكَاةُ اللَّذَّانِ كَانَا مَعَهُ يَحْفَظَانِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ أَهْلِهِ دَعَوْنَا فَلْتُنْ عَلَي صَاحِبِنَا بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ .

فَيَقُولَانِ رَحِمَكَ اللَّهُ وَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ خَيْرًا إِنْ كُنْتَ لَسْرِيْعًا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيْئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَمَّنْ نَأْمَنُ غَيْبِكَ فَتَنْعَرُجُ فَلَا تَشْغَلُنَا عَنْ الذِّكْرِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ .

وَإِذَا احْتَضَرَ الْعَبْدُ السُّوءَ قَرَنَ أَهْلُهُ وَضَجُّوا قَامَ الْمَلَكَانِ فَقَالَا دَعَوْنَا فَلْتُنْ بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ فَيَقُولَانِ جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ شَرًّا .

إِنْ كُنْتُ بَطِيئاً عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيحاً إِلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ غَيْبَكَ ،  
ثُمَّ يُعْرَجَانِ إِلَى السَّمَاءِ .

يَابَا كَيْيَا مِنْ خِيفَةِ الْمَوْتِ أَصَبْتَ فَارْفَعْ مِنْ مَدَى الصَّوْتِ  
وَنَادِ يَا لَهْفِي عَلَى فَسْحَةِ فِي الْعُمْرِ فَاتَتْ أَيَّمَا فَوْتِ  
ضَبِعْتُهَا ظَالِمٌ نَفْسِي وَلَمْ أُصْغِرْ إِلَى مَوْتٍ وَلَا مَيِّتِ  
يَا لَيْتَهَا عَادَتْ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُعُودَ مَا قَدْ فَاتَ يَا لَيْتِ  
فَحَلَّ عَنِ هَذِي الْأَمَانِي وَدَعَّ خَوْضَكَ فِي هَاتِ وَفِي هَيْتِ  
وَبَادِرِ الْأَمْرِ فَمَا غَائِبٌ أَسْرَعُ إِثْبَاناً مِنَ الْمَوْتِ  
كَمْ شَأْنٌ يُدَبِّتُنَا لِيَعْنَى بِهِ مَاتَ وَلَمْ يُفْرَغْ مِنَ الْيَتِّ

اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلِ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ،  
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَمْنَعَهُ مِنْكَ مَانِعٌ وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْكَ دَافِعٌ وَإِنْ فِيهِ لَزَجْرٌ  
لِلْيَتِّ ، وَشُعْلًا لِلْأَرْيَبِ ، وَمَنْبَهَةً لِلنَّائِمِ وَتَنْشِيطاً لِلْمُسْتَيْقِظِ .

وَأَنَّهُ لَطَالِبُ الْمُدْرِكِ ، وَالْمُتَّبِعُ اللَّاحِقُ ، وَالْمُغِيرُ الَّذِي يَبْعَثُ الطَّلِبَةَ ،  
وَيُعْجِلُ الرَّجْعَةَ ، وَيَسْبِقُ النَّذِيرَ الْعَرِيَانَ ، لَا يَرُدُّهُ بَابُ الْحَدِيدِ الشَّدِيدِ ،  
وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ الْبُرْجُ الْعَالِي الْمَشِيدِ ، وَلَا الْجَيْشُ اللَّجِبُ الْعَرْمَرُمُ ، وَلَا الْبَلَدُ  
الْبَعِيدُ .

هُوَ الْمَوْتُ مُثْرٌ عِنْدَهُ مِثْلُ مُعْدِمٍ وَقَاصِدٌ نَهَجٌ مِثْلُ آخَرَ نَاكِبٍ  
وِدْرَعُ الْفَتَى فِي حُكْمِهِ دِرْعُ غَادَةٍ وَأَيَّاتُ كِسْرَى مِنْ بِيُوتِ الْعَنَاكِبِ

قِيلَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَدَخَلَ دَاخِلًا فَجَعَلَ يَنْظُرُ  
إِلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ مَعَ سُلَيْمَانَ وَيُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ يَا نَبِيَّ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الدَّاخِلُ عَلَيْكَ قَالَ مَلَكُ  
الْمَوْتِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيَّ وَيُشَحِّصُ فِيَّ وَإِنِّي لِأُظَنُّهُ  
يُرِيدُنِي قَالَ فَمَا تُرِيدُ .

قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أُرِيدُ أَنْ تَأْمَرَ الرِّيحَ فَتَأْخُذُنِي فَتُلْقِيَنِي فِي أْبْعَدِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَإِنَّهُ  
قَدْ أَطَاشَ عَقْلِي وَأَذْهَبَ لُبِّي وَتَقَضَّ كُلُّ عَضْوٍ فِي بَدْنِي .

فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَوْ أَلْقَى فِي نَفْسِ سُلَيْمَانَ أَنْ  
يَفْعَلَ ذَلِكَ فَأَمَرَ الرِّيحَ فَأَخَذَتْهُ فَالْقَتْهُ حَيْثُ أَرَادَ فَحِينَ اسْتَقَرَّ بِالْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ  
مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ .

ثُمَّ رَجَعَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ سُلَيْمَانَ رَأَيْتَكَ تُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى  
جَلِيسِي قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْهُ لِأَنِّي أَمَرْتُ بِقَبْضِ رُوحِهِ فِي أْبْعَدِ بِلَادِ الْهِنْدِ  
فِي سَاعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ خَرَجْتُ قِيلَ لِي أَنْزِلْ  
عَلَيْهِ فَإِنَّهُ بِهَا فَنَزَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ بِهَا فَقَبَضْتُ رُوحَهُ .

وَذَكَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَالِسٌ فِي  
مَنْزِلِهِ قَدْ خَلَا بِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذْ نَظَرَ إِلَى شَخْصٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ .

فَنَارَ إِلَيْهِ فَرِعَا مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَمَنْ أَدْخَلَكَ عَلَيَّ دَارِي فَقَالَ أَمَّا



الذي أَدْخَلَنِي عَلَيْكَ الدارَ فَرُبُّهَا وَأَمَّا أَنَا فَأَنَا الَّذِي لَا يَمْنَعُ مِنِّي الْحِجَابُ وَلَا  
أَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا أَخَافُ صَوْلَةَ السَّلَاطِينِ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي كُلُّ جَبَّارٍ عِنْدَ  
وَلَا شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

قال فَسَقَطَ فِي يَدِ الْجَبَّارِ وَارْتَعَدَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُنْكَبًا عَلَى وَجْهِهِ  
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مُتَحِيرًا مُتَذَلِّلًا فَقَالَ لَهُ أَنْتَ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَالَ أَنَا هُوَ قَالَ  
فَهَلْ أَنْتَ مُمَهِّلِي حَتَّى آخُذَ عَهْدًا .

قال هَيْهَاتَ انْقَطَعَتْ مُدَّتُكَ وانْقَضَتْ أَنْفَاسُكَ وَتَفَدَّتْ سَاعَاتُكَ فَلَيْسَ إِلَيَّ  
تَأْخِيرُكَ سَبِيلٌ قال فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ يَا قَالِ إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ وَإِلَى بَيْتِكَ  
الَّذِي مَهَّدْتَهُ .

قال فَإِنِّي لَمْ أَقْدِمُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَمْ أُمَهِّدْ حَسَنًا . قال فَإِلَى ﴿ لَطَى نَزَاعَةً  
لِلشَّوَى تَدْعُو مِنْ أَذْرٍ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأُوْعَى ﴾ فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ ( يَا لَهَا  
مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ لَا تُقَالُ ) ا. هـ .

وماتَ أَحَدُ الشَّجْعَانِ فَجَاءَتْ فَجْأَةً بَسْكَتُهُ قَلْبِيَّةٌ فَأَنْشِدَتْ الْأَيَّاتِ الَّتِي تَلِي فِيهِ ،  
فِيهَا عِبْرَةٌ فَتَدَبَّرْهَا :

مُنْسَابَةٌ مِنْ خَلْفِهِ كَالْأَرْقَمِ	وَمُجَرَّرٌ خَطْبِيَّةٌ يَوْمَ الْوَعْدِ
وَتَبَيُّتُ مِنْهُ فِي إِبَاءَةٍ ضَيْعَمِ	تَنْضَائِلُ الْأَبْطَالِ سَاعَةً ذِكْرِهِ
وَمَتَّى يُحْسُ بِنَارِ حَرْبٍ يُقَدِّمِ	شَرِسُ الْمَقَادَةِ لَا يَزَالُ رِيئَةً
يُطْرَحُ بِهَا صُمُّ الْحِجَارَةِ يُحْطَمِ	تَفْعُ الْفَرِيْسَةُ مِنْهُ فِي فَوْهَاءٍ إِنْ
إِلَّا الْمُرُوقُ فِي الْجُسُومِ مِنَ الدَّمِ	ضَمَانَ لِلدَّمِ لَا يَقُومُ بِرِيهِ
فَهَوَى صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ	جَاءَتْهُ مِنْ قَبْلِ الْمَنُونِ إِشَارَةٌ
وَأَمْتَدَّ مُلْقَى كَالْبَعِيرِ الْأَعْظَمِ	وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وَبِرُمُجِهِ

لَا يَسْتَجِيبُ لِصَارِخٍ إِنْ يَدْعُهُ      أَبْدًا وَلَا يُرْجَى لِخَطْبٍ مُعْظَمٍ  
 ذَهَبَتْ بِسَالْتِهِ وَمَرَّ عَرَامُهُ      لَمَّا رَأَى خَيْلَ الْمَنِيَّةِ تَرْتَمِي  
 يَا وَيْحَهُ مِنْ فَارِسٍ مَا بَالُهُ      ذَهَبَتْ فُرُوسُهُ وَلَمَّا يُكَلِّمُ  
 هَذِي يَدَاهُ وَهَذِهِ أَعْضَاؤُهُ      مَا مِنْهُ مِنْ عَضْوٍ غَدَا بِمِثْلِهِ  
 هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ      لِلْمَشْرِفِيِّ وَلَا السَّنَانِ اللَّهْذِمِ  
 هِيَ وَيَحْكُمُ أَمْرَ الْإِلَهِ وَحُكْمُهُ      وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْقَضَاءِ الْمُحْكَمِ  
 يَا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقَدَّرُ قَدْرُهَا      وَمُصِيبَةٌ عَظُمَتْ وَلَمَّا تُعْظَمُ  
 خَبْرٌ عَلِمْنَا كُلَّنَا بِمَكَانِهِ      وَكَأَنَّا فِي حَالِنَا لَمْ نَعْلَمِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوقِنَنَا لِمَا فِيهِ  
 صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال رحمه الله واعلم أن الله تبارك وتعالى خلق للجنة أهلاً وللنار خلقاً  
 وهم مع الساعات راجلون ومع الأنفاس ظاعنون إلى دار البلى ومعتسكين الموتى  
 ومستقر الأرواح ، وكلُّ مُطَّلِعٍ على مكانه الذي سيصير إليه ، ومُشْرِفٍ على  
 منزله الذي ينزل به ، وبذلك يكون نعيم أو عذاب ، وهكذا يرحلون وينتقلون  
 إلى أن يفرغ العدد الذي قدره الله جلَّ وعلا .

وَعَلِمْنَا أَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ لَكِنَّا قِيَامَةُ صُغْرَى ، وَأَمَا  
 الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَهِيَ الَّتِي تُعْمُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَتَأْخُذُهُمْ أَحْذَةً وَاحِدَةً بَعْتَةً عَلَى  
 غَفْلَةٍ مِنَ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَةٌ ﴾ .

وذكر البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم

الساعة حتى تَقْتَبِلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ،  
وحتى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ،  
وحتى يُقْبَضُ الْعِلْمُ ، وتكثرُ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، وتظهرُ الفِتْنُ ، ويكثرُ  
الهِرْجُ وهو القتل .

وحتى يكثرُ فيهم المَالُ فَيَفِيضُ حَتَّى يَهْمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ،  
وحتى يَعْرِضُهُ فَيَقُولُ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي فِيهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ  
فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ .

وحتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ  
فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا  
خَيْرًا .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ ، وَلَا  
يَطْوِيَانِيهِ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلُوطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ .

وَلَتَقُومَنَّ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا .

وبعد ما تَمُوتُ الْخَلْقُ يُنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَطَرًا تَبَّتْ مِنْهُ الْأَجْسَامُ ،  
وَتَحْيَا بِهِ الرُّفَاتُ مِنَ الْعِظَامِ وَتَسْتَعِدُّ فِيهِ لِقَبُولِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ  
يَنْظُرُونَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

وقال عزّ من قائل: ﴿ ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾ .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي .

أَمَّا تَكْذِيبُهُ أَيَّي فَقَوْلُهُ لَا أُعِينُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَمَّا شَتْمُهُ أَيَّي فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا اللَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ .

شِعْرًا :

أَيَا ابْنَ آدَمَ وَالْآلَاءِ سَابِقَةً	وَمُزَنَةَ الْجُودِ لِأَتْفَكُ عَنْ دِيمِ
هَلْ أَنْتَ ذَاكِرٌ مَا أُؤَلِّتِ مِنْ حَسَنِ	وَشَاكِرٌ كُلَّ مَا أُخُولَتْ مِنْ نِعَمِ
بِرَّكَ بَارِيءُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ عَدَمِ	بَحْتِ وَلَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ
أُنْشَاكَ مِنْ حَمَاءٍ وَلَا حَرَكَ بِهِ	فَجَعَلْتَ مُنْتَصِبًا تَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُكَمَّلِ الْأَدْوَاتِ آيَةً عَجَبًا	مُوقِرِ الْعَقْلِ مَنْ حَظَّ وَمِنْ فِهِمِ
تَرَى وَتَسْمَعُ كَلًّا قَدْ حُيِّتَ بِهِ	فَضْلًا وَتَنْطِقُ بِالتَّبْيِينِ وَالْكَلِمِ
هَذَاكَ بِالْعِلْمِ سَبِيلَ الصَّالِحِينَ لَهُ	وَكُنْتَ مِنْ غَمْرَاتِ الْجَهْلِ فِي ظُلْمِ
مَاذَا عَلَيْكَ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ غَمَرْتَ	كُلَّ الْجِهَاتِ وَلَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تَرِمِ

غَرَاءُ كَالشَّمْسِ قَدْ أَلْقَتْ أَشْعَثَهَا حَتَّى لَبِئَصْرَهَا عَلَيْكَ كُلَّ عَمِي  
فَأَشْكُرُ وَلَسْتُ مُطِيفًا شُكْرَهَا أَبَدًا وَلَوْ جَهَدْتَ فَسَدُّ وَبِكَ وَالتَّزِيمِ  
رِزْقٍ وَأَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَعَافِيَةٍ مَتَى تَقُومُ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُتِقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ  
وَنَبْهِنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا  
تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ  
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ  
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْل )

وقال رحمه الله فيالله كم من مُجَرِّرٍ ذَيْلٍ إِعْجَابِهِ ، مُتَطَاوِلٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ،  
مُتَعَاظِمٍ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَثْرَابِهِ ، تُجْمَعُ لَهُ الْأَمَانِي وَتَرْتَاخُ لَهُ الْعَوَانِي إِنْ بُصِّرَ  
لَا يَسْتَبْصِرُ ، وَإِنْ أَمَرَ لَا يَأْتِمِرُ ، وَإِنْ زُجِرَ لَا يَنْزَجِرُ ، وَيَفْرَحُ ، وَيَمْرَحُ ،  
وَيَبِيتُ مِنْ دُنْيَاهُ مِثْلَ مَا أَصْبَحَ ، قَدْ أَبْدَأَ فِي أَمْرِهِ وَأَعَادَ ، وَأَحْكَمَ غِيَّهُ وَضَلَّالَهُ  
فَأَجَادَ وَأَشَادَ مِنْ أَمَلِهِ مَا أَشَادَ .

حَتَّى إِذَا نَالَ مُرَادَهُ أَوْ كَادَ ، صَاحَتْ بِهِ الْمَنِيَّةُ صَيِّحَةَ الْعَضْبَانِ وَصَدَمَتْهُ  
صَدْمَةُ اللَّهْفَانِ ، فَهَدَّتْ أَرْكَانَهُ ، وَكَسَرَتْ أَعْصَانَهُ ، وَفَرَّقَتْ أَنْصَارَهُ  
وَأَعْوَانَهُ ، فَأَصْبَحَ ، قَدْ بَاعَ النَّفْسَ بِالذُّونِ وَمَضَى يُعْضُ بِنَانِهِ الْمَعْبُودِ وَلَمْ يَرُخْ  
بِنَائِلٍ وَلَا حَصَلَ عَلَى طَائِلٍ .

فِيَاللَّهِ كَمْ هَبَالِكِ مِنْ مَلِكِ جَبَّارٍ طَوِيلِ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَادِ عَظِيمِ الْأَجْنَادِ  
كَثِيرِ الْأُمْدَادِ ، قَدْ مَلَكَ الْبِلَادَ ، وَفَهَرَ الْعِبَادَ ، وَوَصَلَ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا  
أَرَادَ .

قَعَدَ وَنَهَضَ وَأَبْرَمَ وَتَقَضَّ وَجَعَلَ أَمْرُهُ الْمُفْتَرَضَ ، وَطالما حَرَّقَ وَهَدَمَ  
وَكَسَرَ ، وَحَطَمَ وَزَلْزَلَ وَدَمَّمَهُ ، وَاسْتَرْجَمَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَمَضَى عَلَى مَا شَاءَ مِنْ  
رَأْيِهِ وَصَمَّمَ .

بَنَى الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونِ وَأَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ الْمُخْرُوجَ وَاسْتَعَدَّ فِي رَأْيِهِ لِمَا قَدْ  
يَكُونُ أَوْ لَا يَكُونُ حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ لَهُ الْأُمُورُ ، وَأَطَالَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ ،  
وَزَخَرَفَ الْفُلَّ وَالْقُصُورَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ سَاعَدَهُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَمَلِهِ الْمَقْدُورِ ،  
قَلْبَتْ لَهُ الدُّنْيَا ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَكَسَتْهُ مِنْ حَطْبِهَا وَمَصَائِبِهَا مَا أَجَنَّ وَأَذْهَلَ  
الْفِطْنَ ، وَسَقَّتَهُ مِنْ كُرْبِهَا مَا يَسْكُرُ بِهِ وَيُجَنِّ .

نَظَرْتُ بَعَيْنَهَا الشُّوسَاءَ إِلَيْهِ ، وَقَبِضَتْ مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ ، وَأَتَتْ بُنْيَانَهُ مِنْ  
قَوَاعِيدِهِ فَالْقَتَهُ عَلَيْهِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ هُدِمَ ذَلِكَ الْبُنْيَانُ ، وَسَقَطَ ذَلِكَ الْإِيْوَانُ ،  
وَتَبَدَّدَتْ تِلْكَ الْمُقَاتِلَةَ وَالْفُرْسَانَ ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَدَرٍ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ  
مَا كَانَ كَأَنَّهُ مَا كَانَ .

وَقِيلَ مَلِكٌ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ ، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى  
شَيْءٍ مِمَّا مَلَكَ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا مَا أَدَّخَرَ مِنَ الْمَالِ وَأَعَدَّ مِنَ الْعَتَادِ إِلَّا عَلَى حَنُوطٍ  
وَكَفَنِ ، وَحُفِرَ ضَيْقَةَ الْعَطَنِ يُحْتَبَسُ فِيهَا وَيُرْتَهَنُ ، بِكُلِّ مَا عَمِلَ مِنْ قَبِيحٍ أَوْ  
حَسَنٍ .

فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ      سِوَى حَنُوطٍ عَدَاةَ الْبَيْنِ فِي حِرْقٍ  
وَعَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ      وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ

آخر :

أَبَادَ ذَالْمَوْتِ أَمْلاكَأَ وَمَا مَلَكَوْا      وَدَارَ مُسْتَعْقِبًا عَلَيْهِمُ الْفَلَكَ  
رَمَى بِهِمْ حَيْثُ لَا قَيْعَانَ تُمْسِكُهُمْ      وَلَا مِرَارًا بِهَا الْمَرْمِيُّ يَمْتَسِكُ

هَوَتْ هُوَى ثَقِيلِ الصَّخْرِ أَثْمُهُمْ  
 غَدَتْ رُؤْسُهُمْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ  
 يَا بَطْشَةَ مِنْ حَكِيمٍ مَا بِهَا مَهَلٌ  
 جُرُّوا مِنَ اللَّهِوِ مَلَايَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ  
 حُطُّوا بِدَارِ الْبِلَى فِي مَنْزِلِ حَرْجٍ  
 لَطَالَمَا نَقَضُوا مُلْكَاً وَمَا هَدَمُوا  
 مَرُّوا وَمَا بَلَّغُوا كُلَّ الَّذِي طَلَبُوا  
 أَضْحَاهُمْ الْيَوْمَ صَرَفَ الدَّهْرِ إِذْ هَلَكُوا  
 فَلَاحِيسَ وَلَا رِكَزَ وَلَا حَسِيسَ  
 وَزُلْزَلَتْ بِهِمِ الْأَطْبَاقُ وَالذَّرَكُ  
 وَغَضِبَتْ مِنْ عَزِيزٍ مَا بِهَا دَرَكُ  
 حَتَّى إِذَا مَا رَأَوْا خَيْلَ الرَّدَى بَرَكُوا  
 وَلَيْتَهُمْ وَيَحَهُمُ فِيهِنَّ لَوْ ثَرَكُوا  
 عِزًّا وَمَا هَتَكُوا سِتْرًا وَمَا فَتَكُوا  
 وَلَا قَضَوْا وَطَرًا مِنْ كُلِّ مَا تَرَكَوا  
 كَمَا أَضَلَّهُمْ بِالْأَمْسِ إِذْ مَلَكَوا

اللهم اِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى  
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ  
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ  
 وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعُ أَهْلَ الرِّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وفي بعض الخطبِ المرويةِ أيها الناسُ إن الأملَ تُطوى والأعمارُ تُفنى  
 والأبدانُ تحثُّ الترابُ تبلى وإنَّ الليلَ والنهارَ يتراكمضانِ كترأكضِ البريدِ ،  
 ويُقربانِ كُلَّ بَعِيدٍ وَيُبليانِ كُلَّ جَدِيدٍ .

وفي ذلكَ عِبَادَ اللَّهِ ما يُلهي عن الشهواتِ ، وَيُسَلِّي عن اللذاتِ ، وَيُرغِبُ  
 في الباقياتِ الصَّالِحَاتِ .

وَخَطَبَ آخَرَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ وَعَلَى الْآخِرَةِ

البَقَاءَ ، فلا فَنَاءَ لِمَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ البَقَاءَ ، ولا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الفَنَاءَ ،  
فلا يَغْرُثُكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَن غَائِبِ الآخِرَةِ ، واقْفَرُوا طُولَ الأَمَلِ بِقِصْرِ  
الأَجَلِ .

وقال بَعْضُ العُلَمَاءِ : لا تَبَثَّ عَلَى غيرِ وَصِيَّةٍ ، وإن كُنْتَ مِنْ جِسْمِكَ فِي  
صِحَّةٍ ، وَمِنْ عُمُرِكَ فِي فُسْحَةٍ ، فلا تَأْمَنُ مِنْ هِجُومِ هَادِمِ اللِّذَاتِ وَمُفْرِقِ  
الجماعات .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما منكم من أحدٍ إلا وهو ضيفٌ ،  
وما له عاريةٌ ، فالضيفُ مُرْتَجِلٌ والعاريةُ مُرْدُودَةٌ .

وقال أحدُ الحُكَمَاءِ : لَيْسَ لِلدُّنْيَا مِنْ عَوَظٍ ، وَلَا مِنَ الإِيمَانِ بَدَلٌ ، وَلَا مِنَ  
الجَسَدِ خَلْفٍ ، وَمَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِيرْ .

وقال آخَرُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ سِهَامَ المَوْتِ قَدْ فُوقَتْ إِلَيْكُمْ فَانظُرُوا هَا ، وَجِبَالَةَ  
الأَمَلِ قَدْ نُصِبَتْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَاحذروها وَفِتْنُ الدُّنْيَا قَدْ أَحَاطَتْ بِكُمْ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ فَاتَّقوها .

ولا تَغْتَرُّوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ حَسَنِ الحَالِ فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ ، وَمُقِيمُهُ إِلَى  
ارْتِحَالٍ ، وَمُمْتَدُّهُ إِلَى تَقْلُصٍ وَاضْمِحْلَالٍ ، أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لِمَا  
تَوْعَظُونَ بِهِ ، أَمَا تَعْتَبِرُونَ بِمَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ ، أَمَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا عَنْهُ تَزُولُونَ وَفِيمَا  
إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وَعَلَيْهِ تَقْدَمُونَ .

أَيْنَ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ وَكَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ أَمَّلَ أَمْلَكُمْ وَسَعَى سَعْيَكُمْ وَعَمِلَ  
عَمَلَكُمْ ، أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا المَدَائِنَ وَمَلَأُوا الحِزَائِينَ وَاسْتَعَلُّوا لِمَا هُوَ عِنْدَهُمْ كَائِنًا ،  
أَيْنَ الَّذِينَ غَرَسُوا فِي رَوْضَةِ المُلْكِ وَنَظَّمُوا الأَمَالَ فِي سِلْكِ ، وَهَتَكُوا حُجْبَهَا  
أَيُّمَا هَتَكَ وَكَانُوا فِي ظَاهِرِ أَعْمَالِهِمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الزَّمَانِ وَفِي شَكِّ .



انظر إليهم كيف نُضِبت تلك المياه وذبلت منهم تلك الشيفاه وتكسرت  
 عند سُقوطهم تلك الوجنات وتكلمت تلك الجباه وتغيرت تلك الأحوال  
 وانكملت الآمال وبقيت شاهدة عليهم تلك الرسوم والأطلال .

رَفَعَتْ عَرْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَنُهِتَ بِهِ  
 وَبَتْ فِيهَا عَلَى فُرْشِ مُلْكِنَةٍ  
 وَظَلَّتْ تَسْعَى لِأَمَالٍ وَتَفْرَشُهَا  
 كَمْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ مَأْسُورٍ رَغْبَتِهِ  
 يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي حِلِّ فِي ظَعْنِ  
 عَطْشَانَ لِلْمَالِ مُحَمَّاةً جَوَانِحُهُ  
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ  
 مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَ لِلْمَوْتِ بَاطِشَةً  
 فَصَعَّتُهُ وَقَدَّمَكَ كَانَ ذَا حَيْدٍ  
 فَبَاتَ مُسْتَلَبًا وَبَاتَ وَارِثُهُ  
 أَمَا سَمِعْتَ بِأَمْلَاكٍ مَضَوْا قَدَمًا  
 إِنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أَوْ زُوجِمُوا زَحِمُوا  
 جَاءَتْهُمْ مَوْتُ وَجُنُودُ اللَّهِ غَالِبَةٌ  
 فَضَعُضَعَتْ جَنَابَاتِ عِزِّهِمْ وَرَمَتْ  
 لَطَالَمَا أَكَلُوا وَطَالَ مَا شَرِبُوا  
 مَرُّوا وَلَا أَثَرَ مِنْهُمْ بَدَارِهِمْ مَرُّوا  
 قَدْ كَانَ لِلْقَوْمِ آمَالٌ مَبْسُوطَةٌ

وما بها لليب تُرْفَعُ العُرشُ  
 ولو عَقَلْتَ لَمَا لَأَنْتَ لَكَ الفُرشُ  
 وللمواريث ما تسعى وتفرش  
 بالحرص تُلدغُ جنباه وتنتهش  
 يضمُّ هذا إلى هذا ويحتوش  
 ألقى على صدره لسانه العطش  
 وطاف من حوله أهله واحتوشوا  
 حشناء لا دهش فيها ولا رعش  
 وأجهشته ولما يدر ما الجهش  
 وقد تعطوا بذاك المال وافترشوا  
 شمو الأتوف بروض الملك قد عرشوا  
 أو غولبوا غلبوا أو بوطشوا بطشوا  
 كتائب للمنايا كلها حبش  
 منازهم بظلام ما به عبش  
 وطال ما رفعوا الآجام واعتشوا  
 ولا حسيس ولا ركز ولا وقش  
 فأصبحوا قبضوا الآمال وانكشمو

اللهم يا مَنْ لا تُضِرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعهُ الطاعةُ أيقظنا مِنْ نَوْمِ الغفلةِ وَنَبِّهنا  
 لِأَعْتِمَامِ أَوْقَاتِ المُهلةِ وَوَقِّفنا لِمَصَالِحِنَا وَأَعْصِمنا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدنا بِمَا

انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب التي تعلمها منا ، وامن علينا يامولانا بتوبة تمحوها عنا كل ذنب واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

## ( فِضْل )

دَخَلَ أَنَسٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ مَرَحِبًا بِكُمْ وَأَهْلًا وَحَيًّا كَمَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ ، وَأَحَلَّنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامِ هَذِهِ عِلَانِيَةٌ حَسَنَةٌ إِنْ صَدَقْتُمْ وَصَبِرْتُمْ فَلَا يَكُنْ حَظُّكُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تَسْمَعُوهُ بِهَذِهِ الْأَذَانِ ، وَتُخْرَجُوهُ مِنْ هَذِهِ الْأَفْوَاهِ .

فَإِنَّ مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَهُ غَادِيًا وَرَائِحًا لَمْ يَضَعْ لَبَنَةً وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ ، وَلَكِنْ رُفِعَ لَهُ عِلْمًا فَشَمَّرَ إِلَيْهِ الْوَحَى الْوَحَى « أَي بَادِرُوا » وَالنَّجَا النَّجَا عَلَامٌ تُعْرَجُونَ .

إِرْتَبْتُمْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ كَأَنَّكُمْ وَالْأَمْرَ مَعَا رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ الْعَيْشَ عَيْشًا وَاحِدًا ، فَأَكَلَ كِسْرَةً وَلَبَسَ خَلْقًا ، وَلَصِقَ بِالْأَرْضِ وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَبَكَى عَلَى الْخَطِيئَةِ ، وَفَرَّ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَطَلَبَ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّاهِدِيُّ خَرَجْنَا فِي جَنَازَةِ الْكُوفَةِ ، وَخَرَجَ فِيهَا دَاوُدُ الطَّائِي فَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَصُرَ عَلَيْهِ الْبَعِيدُ ، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

وَاعْلَمْ يَا أَحْيَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ شَعَلَكَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ عَلَيْكَ مُشْرُومٌ وَاعْلَمْ أَنَّ

أَهْلَ الْقُبُورِ إِنَّمَا يَنْدُمُونَ عَلَى مَا يَتْرَكُونَ ، وَيَفْرَحُونَ بِمَا يُقَدِّمُونَ فَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْقُبُورِ يَنْدُمُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ يَفْتَتِلُونَ ، وَفِيهِ يَتَنَافَسُونَ وَعَلَيْهِ يَتَزَاحِمُونَ .

وقال آخر ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء موت كرهه المذاق وناز أليمة العذاب وجنة عظيمة الثواب .

وقال علي بن أبي طالب التَّوَدُّةُ خَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالتَّوَدُّةُ التَّثَبُّتُ وَالتَّأْنِي وَالرِّفْقُ فِي الْأُمُورِ .

وكان الحسن رحمه الله يقول في موعظته المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حُبِسَتْ انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ وَبَكَى عَلَى ذَنْبِهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ يعني بالأنفاس آخر خروج نفسك وفراق أهلك .

وقال بعضهم اغتنيم تنفس الأجل وإمكان العمل واقتطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل مخلود ونفس معلود وعمر غير ممدود .

وقال آخر إعمل عمل المرتجل فإن حادي الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك فيطرحك في حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام والسلام .

وكتب محمد بن يوسف إلى أخ له سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني محدرك من دار منقلبك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في باطن الأرض بعد ظهرها .

فيا تيك منكر ونيك فيقعدانك فينتهرانك فإن يكن الله معك فلا فاقة ولا

حَاجَةٌ وَلَا بَأْسَ وَلَا وَحْشَةً وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَعَاذَنِي اللَّهُ وَأَيَّاكَ يَا أَخِي مِنْ  
سُوءِ الْمَصْرَعِ وَضَيْقِ الْمُضْجَعِ .

ثُمَّ تَبَلُّغِكَ صِيحَةَ النُّشُورِ وَتَفْحَةَ الصُّورِ وَقِيَامِ الْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ  
وَامْتِلَاتِ الْأَرْضَ بِأَهْلِهَا وَالسَّمَوَاتِ بِسُكَّانِهَا فَبَاحَتْ الْأَسْرَارُ ، وَسُعَّرَتِ النَّارُ  
وَوَضِعَتِ الْمَوَازِينَ وَنَشَرَتِ الدَّوَابِّ ﴿١﴾ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ  
بِالْحَقِّ ﴿٢﴾ .

فَكَمْ مِنْ مُفْتَضِّحٍ وَمَسْتَوِّرٍ وَمُعَذِّبٍ وَمَرْحُومٍ وَكَمْ مِنْ هَالِكٍ وَنَاجٍ فَيَأْتِيَتْ  
شِعْرِي مَا حَالِي وَحَالِكَ يَوْمَيْدٍ فَإِنَّ فِي هَذَا مَا هَدَمَ اللَّذَاتِ وَسَلَّى عَنْ  
الشَّهَوَاتِ وَقَصَّرَ مِنَ الْأَمَلِ وَأَيَقِظَ النَّائِمَ وَتُبَّهَ الْغَافِلَ .

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَأَوْقَعَ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ وَقَلْبِي مَوْقِعَهَا  
مِنْ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ وَالسَّلَامُ .

وَأَنشُدُ بَعْضَهُمْ :

مُرَادُكَ أَنْ يَتِمَّ لَكَ الْمُرَادُ	وَتَرْكُضٌ فِي مَطَالِبِكَ الْجِيَادُ
وَتَمْضِي فِي أَوْامِرِكَ اللَّيَالِي	فَلَا يُعْصَى هَوَاكَ وَلَا يَكَادُ
لَقَدْ مَلَكَتْ مُضْلَاتُ الْأَمَانِي	قِيَادَكَ فَاغْتَدَيْتِ بِهَا تُقَادُ
أَلَمْ تَسْمَعْ بِذِي أَمَلٍ بَعِيدٍ	وَأَمَالَ الْفَتَى مِنْهَا بَعَادُ
رَمَاهُ الْمَوْتُ فَانْقَبَضَتْ إِلَيْهِ	أَمَانِيهِ بِشَيْءٍ لَا يُرَادُ
وَيَلْقَاهُ بِإِثْرِ الْمَوْتِ يَوْمَ	تَمِيدُ لَهُوَلِهِ السَّبْعُ الشَّدَادُ
تُصَمُّ لَوْقِعِهِ الْأَذَانُ صَمًّا	وَيَنْطِقُ مِنْ زَلَازِلِهِ الْجَمَادُ
فَكَمْ سَأَلَتْ هُنَالِكَ مِنْ دُمُوعٍ	يُغَيِّرُهُنَّ مِنْ دَمِهِ الْقُؤَادُ
وَكَمْ شَاهَتْ هُنَالِكَ مِنْ وُجُوهِ	عَلَى صَفْحَاتِهَا طُلِي الْجِدَادُ

وَمَاذَا الْكَرْبِ يُشْبِهُ مَا عَهَدْنَا      وَأَتَى يُشْبِهُ الْبَحْرَ الثَّمَادُ  
 وَمَا الْأَسْمَاءُ تُعْطِيكَ أَتْفَاقاً      عَلَى مَعْنَى يَتَمُّ لَكَ الْمُرَادُ  
 وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانَ اشْتِيَاءُ      قَلِيلٌ لَا يُحَسُّ وَلَا يَكَادُ  
 يُسَمَّى الْبَحْرُ ذُو الْأَهْوَالِ بَحْرًا      وَبَحْرًا مِثْلُهُ الْفَرَسُ الْجَوَادُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ  
 وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ  
 الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ  
 يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ  
 مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وَيَلِّ لِمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أُمَّلَهُ ،  
 وَالْخَطَايَا عَمَلَهُ ، عَظِيمٌ بِطَنَّتِهِ ، قَلِيلٌ فِطْنَتِهِ ، عَالِمٌ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ ، جَاهِلٌ بِأَمْرِ  
 آخِرَتِهِ .

وقال العلاء بن زياد لِيُنزَلَ أَحَدُكُمْ نَفْسُهُ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَأَنَّهُ اسْتَقَالَ  
 رَبَّهُ فَأَقَالَهُ فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ .

وقال آخرُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ  
 عُمُرِهِ .

تُفَكِّرُ فِي نُقْصَانِ مَالِكَ دَائِمًا      وَتَعْفُلُ عَنِ نُقْصَانِ دِينِكَ وَالْعُمُرِ  
 وقال آخرُ :

تَرَاهُ يَشْفُقُ مِنْ تَضْيِيعِ دُرْهَمِهِ      وَلَيْسَ يَشْفُقُ مِنْ دِينِ يَضْيِيعِهِ

وقال اخر :

مَالِي أَرَى النَّاسَ وَالدُّنْيَا مُوَلَّيَّةٌ      وَكُلُّ جَمْعٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْتَبِرُ  
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِيْنُهُمْ نَقِصُوا      يَوْمًا وَإِنْ نَقِصَتْ دُنْيَاهُمْوَا شَعِرُوا

وقال بعضهم أيها الناس إن لكم معالم تستبقون إليها ، وأن لكم موارد تردون عليها ، وإن الجديدين يسيران بكم وإن لم تسيروا ، ويسرعان بكم وإن لم تسرعوا ، وإن قصاراكم الموت وإن بعد الأمد .

فَرَحِمَ اللهُ إِمْرًا أَضْمَرَ نَفْسَهُ لِلسَّبَاقِ ، وَسَاقَهَا إِلَى الْعَايَةِ أَشَدَّ مَسَاقٍ وَاسْتَعَدَّ  
لِلْمَوْتِ قَبْلَ هُجُومِهِ وَأَخَذَ حِذْرَهُ مِنْهُ قَبْلَ قُدُومِهِ وَأَنْفَدَ دُمُوعَهُ عَلَى الْأَوْقَاتِ  
الَّتِي أَضَاعَهَا قَبْلَ أَنْ تَزُلَّ بِهِ الْقَدَمُ وَيُؤْخَذَ بِمَا عِلْمٌ وَبِمَا لَمْ يَعْلَمْ .

وقال بعض الحكماء السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقي وقطعه عما يفنى وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء .

والويل الطويل والحسرة التي لا تزول لمن أعرض عن الكتاب والسنة ولم ينهى نفسه عن الهوى .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجِبْتُ لِثَلَاثَةِ لِعَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَعْفُوقٍ عَنْهُ  
وَمُؤْمِلٍ دُنْيَاهُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَبِأَنْ قَصْرًا وَالْقَبْرُ مَسْكُنُهُ .

رُوي أن رجلاً دَخَلَ عَلَى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فرآه قد تَغَيَّرَ لَوْنُهُ  
من كثرة العبادة والخوف واستحالت صفته فجعل يتعجب من تَغْيِيرِ لَوْنِهِ .

فقال له عمر يا ابن أخي وما يُعْجِبُكَ مِنِّي فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ دُخُولِ  
قَبْرِي بِثَلَاثِ لَيَالٍ وَقَدْ حَرَجَتِ الْحَدَقَتَانِ فَسَالَتَا عَلَى الْحَدِيدِ وَتَقَلَّصَتِ الشَّفَتَانِ  
عَنِ الْأَسْتَانِ وَخَرَجَ الصِّدِيدُ وَاللُّؤُودُ مِنَ الْمَنَاخِرِ وَالْفَمُ وَانْتَفَخَ الْبَطْنُ فَعَلَى الصَّدْرِ  
وَخَرَجَ الصَّلْبُ عَنِ الدُّبْرِ لَرَأَيْتَ إِذْ ذَاكَ مِنِّي أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ الْآنَ .

وأعلم رحمتنا الله وإياك وجميع المسلمين أنه من تصوّر هذا وأقام هذا الخيال  
نصب عينيه وتفكّر في الميت وما يؤول ويرجع إليه .

ثم نظر فيما يقدم عليه وعلم أن جسمه الناعم العَضُّ وبدنه اللين المتعافي  
سيطرح ويذّب في حفرة ضيقة الجوانب تقطع فيها أوصاله وتغير فيها أحواله  
ثم يتبين له بعد ذلك ماله ويطلب بعد ذلك بكل ما عمله وقاله لم يشتغل بميت  
بأله ولم يترك إلا على نفسه وأنشدوا في ذلك :

لِمَنْ جَدْتُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي      وَأرْسَلْ فِي شَجْوِ الْهُمُومِ عِنَانِي  
سَفَكْتُ عَلَيْهِ أَدْمَعِي فَسَقَيْتُهُ      كَمَا هُوَ مِنْ كَأْسِ الشُّجُونِ سَقَانِي  
وَقَفْتُ بِهِ حَيْرَانَ وَقَفَةَ هَائِمٍ      أَعَالِجُ قَلْبًا دَائِمَ الْخَفَقَانِ  
وَمَا بِي مَنْ فِي الْقَبْرِ لَكِنْ رَأَيْتُهُ      عَلَى حَالَةٍ فِيهَا وَشِيكَ أَرَانِي

آخر :

لِمَنْ الْأَقْبُرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي      مَلَأْتُ صَدْرِي شَجْوًا وَأَسَى  
لِمَنْ الْأَوْجُهُ فِيهَا كَسَفَتْ      بَعْدَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ وَضِيَا  
لِمَنْ الْأَجْسَامُ فِيهَا بَلِيَتْ      بَعْدَ زَهْوٍ وَشَبَابٍ وَانْتِشَا  
وَمِنْ الْفُرْسَانُ فِيهَا قَدْ نَسُوا      رَوْعَةَ الْحَرْبِ بِرَوْعَاتِ الثَّرَا  
وَرَمَوْا إِذْ هَتَفَ الْمَوْتُ بِهِمْ      بِسُيُوفِ الْهِنْدِ رَوْعًا وَالْقَنَا  
وَمِنْ الْخُرْدُ فِيهَا شَدَمَا      فَتَكَتْ قَبْلَ آسَادِ الشَّرَا  
نَظَرَ الْمَوْتُ إِلَيْهَا فَعَدَّتْ      تَنْفُرُ الْأَنْفُسُ مِنْهَا إِذْ تُرَى  
لِمَنْ الْأَقْبُرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي      أَلْبَسَتْ جِسْمِي أَثْوَابَ الضَّنَا  
يَا جُفُونًا أُرْسَلَتْ أَدْمَعُهَا      مَا بَدَأَ بَأْسٌ لَوْ أُرْسَلَتْ الدِّمَا  
صَاحِ يَا صَاحِ وَنِيرَانَ الْجَوَى      عَلَقْتُ مِنِّْي بِأَثْنَاءِ الْحَشَا  
لَا تَظُنَّنَّ بُكَائِي لَهُمُومًا      لَيْسَ وَاللَّهِ لَهُمْ هَذَا الْبُكََا

إِمَّا أَبْكِي لِنَفْسِي لَا لَهُمْ      فَكَأَنِّي الْيَوْمَ فِيهِمْ أَوْ غَدَا  
 هَامِدُ الْجَمْرَةَ مَوْهُونُ الْقَوَى      دَائِمُ الْحَسْرَةِ مَقْطُوعِ الْعُرَى  
 رَبُّ يَا رَبُّ وَيَا رَبَّ الْوَرَى      مَا تَرَى فِي عَبْدٍ سُوءٍ مَا تَرَى  
 كَفَرَ الْإِحْسَانَ قَدَمًا وَبَعَى      وَطَعَى ثُمَّ طَعَى ثُمَّ طَعَى  
 مَا تَرَى فِي أَمْرِهِ يَا مَنْ تَرَى      كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ رَبُّ لَا يُرَى  
 لَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمَرْجُو أَوْ      دَفْعَةٌ تُنْزِلُهُ قَعَرَ لَطَى  
 وَعِيَاذًا بِكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ      يَلْتَوِي فِي يَدِهِ حَبْلُ الرَّجَا  
 وَإِذَا أَسْلَمْتَهُ رَبُّ فَمَنْ      يَقْصِدُ الْيَوْمَ لَهُ أَوْ يُرْتَجَى

اللهم اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك واعف عن تقصيرنا في طاعتك  
 وشكرك وأدم لنا لزوم الطريق إليك وهب لنا نوراً تهتدي به إليك واسئلك بنا  
 سبيل أهل مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ويسر لنا ما يسرته  
 لأهل محبتك وأيقظنا من غفلاتنا وألهمنا رشدنا وحقق بكرمك قصدنا  
 واسترنا في ديانا وآخرتنا واحشرنا في زمرة المتقين وألحقنا بعبادك الصالحين  
 واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين  
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

## ( فَصْل )

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أن تقصير الأمل دليل على كمال العقل  
 فسبيل العاقل تقصير آماله في الدنيا والتقرب إلى الله جل وعلا بصالح  
 الأعمال .

ومعنى تقصير الأمل استشعار قرب الموت ولهذا قال بعضهم قصر الأمل  
 سبب للزهد لأن من قصر أمله زهد ، ويتولد من طول الأمل الكسل عن



الطاعة والتسوية بالتوبة والرغبة في الدنيا والتسبان للآخرة والتساهل بتأخير  
قضاء الديون والقسوة في القلب .

وقيل من قصر أمله قل همته وتور قلبه .

لأنه إذا استحضرت الموت اجتهد في الطاعة ورضى بالقليل وقال ابن الجوزي  
الأمل مذموم إلا للعلماء فلولا ما جعل الله فيهم من الأمل كما ألفوا  
ولا صنفوا .

وفي الأمل سر لطيف جعله الله لولاه كما تهنا أحد يعيش ولا طابت نفسه  
أن يشرع بعمل من أعمال الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم إنما الأمل رحمة من الله لأمتي  
ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ولا غرس غارس شجرا . رواه الخطيب .

عن أنس رضى الله عنه والمذموم من الأمل الاسترسال فيه وعدم  
الاستعداد لأمر الآخرة فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته .

وورد في ذم الاسترسال في الأمل حديث أنس رفته أربعة من الشقاء  
جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا . رواه البزار .

وروى على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : « أخوف ما أخاف  
عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع  
الهوى يصد عن الحق » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين ،  
وهلاك آخرها بالبخل وطول الأمل » وقيل ان طول الأمل حجاب على  
القلب يمنع من رؤية قرب الموت ومشاهدته ووقر في الأذن يمنع من سماع  
وجبه ودوي وقعته ويقدر ما يرفع لك من الحجاب ترى ويقدر ما تحفف  
عن أذنيك من الوقر تستمع .

فَانظُرْ رَحْمَكَ اللَّهُ نَظَرَ مَنْ رُفِعَ عَنْهُ الْحِجَابُ وَفُتِحَ لَهُ الْبَابُ وَاسْتَمِعَ  
سَمَاعَ مَنْ أُرِيْلَ وَقُرَهُ وَخُوطِبَ سِرَّهُ وَبَادِرَ قَبْلِ أَنْ يُبَادَرَ بِكَ وَيُنزَلَ عَلَيْكَ  
وَيُنْفَذَ حُكْمَ اللَّهِ فِيكَ فَتَطْوَى صَحِيفَةُ عَمَلِكَ وَيُخْتَمُ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ .

ويقال لك اجن ما غرست واحصد ما زرعت وقرأ كتابك الذي كتبت  
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبربك تبارك وتعالى رقيبا ، واعلم أن الأمل  
يُكسِلُ عن العمل ويورث التراخي والتواني ، ويعقبه التشاغل والتفاسد ،  
ويُخِلِدُ إلى الأرض ويميل إلى الهوى .

وهذا أمرٌ قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ، ولا يطالب صاحبه  
ببرهان ، كما أن قصر الأمل يبعث على الجِدِّ والاجتهاد في العمل ، ويحمله  
على المُبادرة ، ويحث على المُسابقة قال :

وسأضرب لك في ذلك مثلاً ، مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول  
لَهُ إفعل كذا وكذا ، وانظر في كذا وكذا ، وأصلح كذا وكذا ، وانتظر  
رسولي فلاناً فإني سأبعثه إليك ليأثيني بك .

وإياك ثم إياك أن يأتيك إلا وقد فرغت من أشغالك وتخلصت من  
أعمالك ، ونظرت في زادك ، وأخذت ما تحتاج إليه في سفرك .

وإلا أحللت بك عقابي وأنزلت عليك سخطي ، وأمرته يَأْثِنِي بِكَ مَعْلُولَةً  
يَدَاكَ مُقَيَّدَةً رِجْلَاكَ ، مُشَمَّتاً بِكَ أَعْدَاكَ ، مَسْحُوباً عَلَى وَجْهِكَ إِلَى دَارِ  
خِزْيٍ وَهَوَانٍ وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ عَصَانِي .

وإن وجدك قد فرغت من أعمالك وقضيت جميع أشغالك أتى بك  
مُكْرَماً مَرْفَعاً مَرْفَهاً إِلَى دَارِ رِضْوَانِي وَكَرَامَتِي وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرِي  
وَعَمِلَ بِطَاعَتِي .

واحدٌ أن يَخْدَعَكَ فُلَانٌ أو فُلَانَةٌ عن امْتِثَالِ أَمْرِي والاشتغالِ بَعْمَلِي ،  
وَكَتَبَ إلى رجلٍ آخر بمثل ذلك الكتاب .

فأما الرجلُ الأوَّلُ فقال هذا كتابُ المَلِكِ يَأْمُرُنِي فِيهِ بِكَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ  
لِي أَنَّ رِسْوَئَهُ يَأْتِينِي لِيَحْمِلَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَمْضِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِينِي رِسْوَئُهُ ، وَلَعَلَّ  
رِسْوَئَهُ لَا يَأْتِينِي إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً أو أَكْثَرَ فَأَنَا عَلَى مُهْلَةٍ .

وَسَأَنْظُرُ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَلَمْ يَقَعِ الْكِتَابُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْمَوْقِعِ ، وَلَمْ يُنَزَلْ مِنْ  
نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْمَنْزَلَةِ ، وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَى كِتَابُهُ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِمِثْلِ مَا أَتَانِي ، وَلَمْ  
يَأْتِهِمْ رِسْوَئُهُ إِلَّا بَعْدَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ ، وَالْمُدَدِ الطَّوِيلَةِ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَلَعَلَّ رِسْوَئَهُ يَتَأَخَّرُ عَنِّي كَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ، وَجَعَلَ الْعَالِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ  
الرِّسْوَئَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً كَمَا ظَنَّ ، أو أَكْثَرَ أو إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ  
لِنَفْسِهِ بِرِزْعِمِهِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اشْتِغَالِ نَفْسِهِ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمِمَّا كَانَ غَنِيًّا عَنْهُ وَتَرَكَ أَوْامِرَ  
الْمَلِكِ وَالشُّغْلَ الَّذِي كَلَّفَهُ النَّظَرَ فِيهَا وَالِاشْتِغَالَ بِهِ .

فَكَلِمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَسَأَنْظُرُ فِي السَّنَةِ  
الْمُقْبِلَةِ وَالْمَسَافَةَ أَمَامِي طَوِيلَةً وَالْمُهْلَ بَعِيدًا .

وَهَكَذَا كُلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ ، وَسَأَنْظُرُ فِي الْأُخْرَى أو  
سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَسْوِيفِهِ ، وَاعْتِرَافِهِ ، إِذْ جَاءَهُ رِسْوَئُ  
الْمَلِكِ فَكَسَرَ بَابَهُ وَهَتَكَ حِجَابَهُ وَحَصَلَ مَعَهُ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ .

وَقَالَ لَهُ أَجِبِ الْمَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَأْمُرُنِي فِيهِ بِأَعْمَالِ  
أَعْمَلُهَا وَأَشْغَالَ أَنْظُرُ لَهُ فِيهَا ، وَمَا قَضَيْتُ مِنْهَا شُغْلًا ، وَلَا عَمِلْتُ فِيهَا حَتَّى  
الآنَ شَيْئًا .

فقال الرسول له وَيْلَكَ وما الذي أَبْطَأَكَ عنها وما الذي حَبَسَكَ عن  
 الاشتغال بها والنظر فيها . فقال لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ تَأْتِينِي فِي هَذَا الْوَقْتِ .  
 فقال له : وَيْلَكَ وَمِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ هَذَا الظُّنُّ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَمَنْ أَعْلَمَكَ  
 بِأَنِّي لَا آتِيكَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَظُنُّ . قَالَ ظَنَنْتُ وَطَمِعْتُ وَسَوَّلَتْ لِي  
 نَفْسِي وَخَدَعَنِي الشَّيْطَانُ وَغَرَّبَنِي .

فقال له أَلَمْ يُحَذِّرِكَ الْمَلِكُ فِي كِتَابِهِ مِنْهُمَا وَأَمَرَكَ أَلَّا تَسْمَعَ لَهُمَا قَالَ بَلَى  
 وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ وَلَقَدْ جَاءَنِي هَذَا فِي كِتَابِهِ وَلَكِنِّي خُدِعْتُ فَانْحَدَعْتُ وَفُتِنْتُ  
 فَاسْتَسْتُ وَأَرْتَبْتُ فِي وَقْتِ مَجِيئِكَ فَتَرَبَّصْتُ .

فقال له وَيْلَكَ غَرَّكَ الْعُرُورُ وَخَدَعَكَ الْمُخَادِعُ أَجِبَ الْمَلِكُ لَا أُمَّ لَكَ ،  
 قَالَ أَنشُدْكَ إِلَّا مَا تَرَكَتَنِي حَتَّى أَنْظُرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، أَوْ فِي بَعْضِهِ أَوْ فِيمَا تَبَسَّرَ  
 مِنْهُ حَتَّى لَا أَقْدِمَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْمُفْرَطِينَ وَعِصَابَةِ الْمُقْصِرِينَ .

وهذا مال قد كُنْتُ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي ، وَأَعَدَدْتُهُ لِمُؤُونَةِ زَمَانِي ، فَاتْرُكْنِي  
 حَتَّى آخُذُ مِنْهُ زَاداً أَتَزَوَّدُهُ وَدَابَّةً أَرْكَبُهَا ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ شَاقَّةٌ ، وَالْمَفَازَةَ صَعْبَةٌ ،  
 وَالْعَقَبَةَ كَوُودٌ ، وَالْمَنْزِلَ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ .

قال أَتْرُكُكَ حَتَّى أَكُونَ عَاصِياً مِثْلَكَ ثُمَّ دَفَعَهُ دَفْعَةً أَلْفَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ جَمَعَ  
 يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَأَنْطَلَقَ بِهِ يَجْرُهُ مِنْ خَلْفِهِ خَزْيَانِ نُدْمَانَ جَوْعَانَ عَطْشَانِ ، وَهُوَ  
 يُنْشِدُ بِلِسَانِ الْحَالِ :

لَا كَحُزْنِي إِذَا لَقِيتُ حَزِينًا      جَلَّ حَظِّي فَدَيْتُكُمْ أَنْ يَهُونَا  
 ضَاقَ صَدْرِي عَنْ بَعْضِهِ وَاحْتِمَالِي      فَاسْلُكُوا بِي حَيْثُ أَلْقَى الْمُنُونَا  
 مَا تُرِيدُ الْعُدَاةُ مِنِّي وَإِنِّي      لِبِحَالٍ يَرِقُ لِي الْمَبِغْضُونَا  
 زَفَرَاتٌ هَتَكُنَّ حُجْبَ فَوَادِي      وَهُمُومٌ قَطَعْنَ مِنِّي الْوَتِينَا  
 حُنْتُ عَهْدَ الْمَلِيكِ قَوْلًا وَفِعْلًا      وَاتَّخَذْتُ الْخِلَافَ شَرْعًا وَدِينَا

غَرَسَتْ فِي الْحَيَاةِ كَفِيَّ شَرًّا فَاجْتَنَيْتُ الْعِقَابَ مِنْهُ فَنُونَا  
لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ وَأَيْنَ لِمِثْلِي ظَالِمٌ نَفْسُهُ بَأْسٌ لَا يَكُونَا  
يَا خَلِيلِي وَلَا خَلِيلَ لِي الْيَوْمَ مَ سِوَى حَسْرَةٍ تَدِيمُ الْأَيْنَا  
رَبِّحَ الرَّابِحُونَ وَانْقَضَتِ السُّوقُ قُ وَخَلَى بَعِيْنِهِ الْمَعْبُونَا .  
فَابْكِنِي إِنْ يَكُنْ بُكَاءُ مُفِيدًا أَوْ فَدَعْنِي وَعُصْبَةٌ تَبْكُونَا

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ  
وَنَبَّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا  
تَوَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي  
تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا  
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وَأَمَّا الْآخِرُ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى هَذَا فَإِنَّهُ أَخَذَ  
كِتَابَ الْمَلِكِ وَقَبِلَهُ وَقَرَأَهُ وَتَصَفَّحَهُ وَتَدَبَّرَهُ ، وَقَالَ أَرَى الْمَلِكَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ  
بِأَنْ أَعْمَلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَفْضِي لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْظُرُ لَهُ فِي كَذَا وَكَذَا .  
وَمِنْ أَيْنَ سَبَقَتْ لِي هَذِهِ السَّابِقَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ الَّذِي عَنَى بِي عِنْدَهُ ،  
وَمَنْ الَّذِي أَنْزَلَنِي مِنْهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، حَتَّى جَعَلَنِي مِنْ بَعْضِ خُدَّامِهِ ، وَالْقَائِمِينَ  
بِأَمْرِهِ .

وَاللَّهُ إِنْ هَذِهِ لَسَعَادَةٌ وَاللَّهُ إِنَّهَا لِعِنَايَةُ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي  
الْكِتَابِ وَقَالَ أَسْمَعَ الْمَلِكَ وَقَدْ قَالَ لِي فِي كِتَابِهِ ، وَانْتَظَرُ رَسُولِي فَإِنِّي سَأَبِعْهُ  
إِلَيْكَ لِأَتِينِي بِكَ وَأَرَهُ لَمْ يَحْدُ لِي الْوَقْتُ الَّذِي يَبْعَثُ فِيهِ الرَّسُولَ إِلَيَّ وَلَا سَمَاءَهُ  
لِي .

وَلَعَلِّي لَا أَفْرُغُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ إِلَّا وَرَسُولُهُ قَدْ أَتَانِي وَنَزَلَ عَلَيَّ ، وَاللَّهِ لَا  
قَدَّمْتُ شُغْلًا عَلَى شُغْلِ الْمَلِكِ وَلَا نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ فِرَاقِي مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ  
الْمَلِكُ ، وَإِعْدَادِي زَادًا أَتَزَوَّدُ بِهِ ، وَمَرْكُوبًا أَرْكَبُهُ إِذَا جَاءَنِي رَسُولُهُ وَحَمَلَنِي  
إِلَيْهِ .

فَتَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ لِمَ هَذِهِ الْمَسَارِعَةُ كُلُّهَا وَفِيمَ هَذِهِ الْمُبَادَرَةُ كُلُّهَا .  
فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ أَمَا تَرَى كِتَابَ الْمَلِكِ بِمَا جَاءَنِي أَمَا تَسْمَعُ مَا فِيهِ أَمَا  
تُصَدِّقُهُ ، أَمَا تَوْمِنُ بِهِ قَالَ بَلَى سَمِعْتُ وَأَمَنْتُ وَصَدَّقْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَكَ فِيهِ  
أَنْ رَسُولُهُ يَأْتِيكَ الْيَوْمَ وَلَا غَدًا وَلَا وَقْتًا مَعْلُومًا .  
وَلَكِنَّهُ سَيَأْتِيكَ وَقَدْ جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى فُلَانٍ بِهَذَا الَّذِي قَدْ جَاءَكَ أَنْتَ بِهِ ،  
وَقَدْ بَقِيَ مُنْتَظِرًا لِرَسُولِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَإِلَى الْآنَ مَا أَتَاهُ .  
وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ مَا جَاءَهُ ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ  
مِائَةِ سَنَةٍ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، فَلِمَ هَذِهِ الْعَجَلَةُ ، وَفِيمَ هَذَا  
الِإِسْرَاعِ .

فَقَالَ وَيْحَكَ أَمَا تَرَى أَنْتَ فُلَانًا قَدْ جَاءَهُ كِتَابُ الْمَلِكِ بِهَذَا الَّذِي جَاءَنِي  
وَجَاءَهُ الرَّسُولُ فِي إِثْرِ مَجِيءِ الْكِتَابِ ، وَفُلَانٌ كَذَلِكَ ، وَفُلَانٌ قَدْ جَاءَهُ بَعْدَ  
سَنَةٍ .

فَقَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَا تَنْظُرُ إِلَى هَؤُلَاءِ خَاصَّةً وَانظُرْ إِلَى الَّذِينَ قُلْتَ لَكَ مِمَّنْ  
تَأَخَّرَ عَنْهُ الْمَجِيءُ فَقَالَ لَهُ دَعْنِي يَا هَذَا فَقَدْ شَعَلْتَنِي وَاللَّهِ وَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنِي  
الرَّسُولُ وَأَنَا أَكَلَّمُكَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَلِكُ فَامْتَثَلَهُ ، وَنَظَرَ فِيهَا حَدَّ لَهُ ، وَاشْتَعَلَ بِمَا  
يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ ، وَأَخَذَ الزَّادَ لِسَفَرِهِ ، وَأَخَذَ الْأُهْبَةَ بِطَرِيقِهِ وَجَعَلَ  
يَنْتَظِرُ الرَّسُولَ أَنْ يَأْتِيَهُ وَأَقْبَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا يَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ وَمِنْ أَيْنَ  
يُقْبَلُ عَلَيْهِ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَرَسُولُ الْمَلِكِ قَدْ أَنَاهُ فَقَالَ أَجِبِ الْمَلِكَ قَالَ نَعَمْ  
قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ وَفَرَّغَتْ مِمَّا أَمَرَكَ بِهِ ، وَعَمِلْتَ مَا حَدَّ لَكَ أَنْ  
تَعْمَلَهُ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَانْطَلِقْ .

قَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَسَاهُ كِسْوَةَ الْأَصْفِيَاءِ وَأَعْطَاهُ  
مَرْكُوبًا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْمَلُ بِمَثَلِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ فِي حُبُورٍ وَسُرُورٍ .

فَبَانَ لَكَ بِهَذَا الْمَثَلِ وَبِغْيَرِهِ فَضِيلَةُ قِصْرِ الْأَمَلِ ، وَفَضِيلَةُ الْمُبَادَرَةِ إِلَى  
الْعَمَلِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِهِ ، وَالِإِنْتِظَارِ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ .

وَقَدْ كَثُرَ الْحِضُّ عَلَى هَذَا وَكَثُرَتِ الْأَقَاوِيلُ فِيهِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمَذْكُرُونَ  
يُذَكِّرُونَ وَالْمُنْبَهُونَ يُنْبَهُونَ لَوْ يَجِدُونَ سَمْعًا وَوَعْيًا وَقَلْبًا حَافِظًا وَمَحَلًّا قَابِلًا  
فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ انْتَهَى .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِيَ الْمَوْتِ يَدْعُوكُمْ ، وَحَادِيَهُ  
يَحُلُّوكُمْ أَمَا تَرَوْنَ صَرَاعَهُ فِي مَنَازِلِكُمْ وَقِتْلَاهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَفِيمَ التَّصَامُمِ عَنِ  
الدَّاعِيِ وَالتَّشَاغُلِ عَنِ الْحَادِيِ وَالتَّعَامِيِ عَنِ مَصَارِعِ الْقَتْلَى وَالتَّغَافُلِ عَنِ  
مُشَاهَدَةِ الْهَلَكَى ، فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا أُتِيقُ نَفْسَهُ فِي مُهَلَّةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَوْقِفَهُ  
رَوْعَةَ الْمَمَاتِ ، وَاسْتَعَدَّ لِمَا هُوَ آتٍ قَبْلَ الْإِنْبِتَاتِ ، وَحُلُولِ الْفَوَاتِ ، وَكَانَ  
الْحَكْمَ قَدْ وَقَعَ وَالْخِطَابَ قَدْ ارْتَفَعَ ، أَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ ، وَسَمِعَ مَنْ سَمِعَ .  
شعرا :

قَطَعْتُ زَمَانِي حِينًا فَحِينًا      أَدِيرُ مِنَ اللَّهْوِ فِيهِ فُؤُونًا  
وَأَهْمَلْتُ نَفْسِي وَمَا أَهْمَلْتُ      وَهَوَّئْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَهُونًا  
وَرُبَّ سُرُورٍ شَفَى غَلَّةً      وَوَلَّى فَأَعْقَبَ حُزْنًا رَصِينًا  
وَكَمْ آكَلُ سَاعَةَ مَا يُرِيدُ      يُكَابِدُ مَا أَوْرَثَهُ سِينِنًا  
وَمَا كَانَ أَغْنَى الْفَتَى عَنِ نَعِيمٍ      يَعُودُ عَلَيْهِ عَذَابًا مُهِنًا

وكم وَعَظْتَنِي عِظَاةَ الزَّمَانِ  
وكم دَعَانِي دَاعِي المُنُونِ  
وماذا أُوْمِلُ أَوْ أُرْتَجِيهِ  
فلو كَانَ عَقْلِي مَعِي حَاضِرًا  
وَلَنْ يَبْرَحَ المَرءُ فِي رَقْدَةٍ  
فَتَوْقِظُهُ عِنْدَهَا رَوْعَةٌ  
وَإِذْ ذَاكَ يَدْرِي بِمَا كَانَ فِيهِ  
لو أَنِي أَصِيخُ إِلَى الوَاعِظِينَا  
وَأَسْمَعُ لو كُنْتُ فِي السَّامِعِينَا  
وقد جُرْتُ سَبْعًا عَلَى الأَرْبَعِينَا  
سَمِعْتُ لَعْمَرِي مِنْهُ أَنِينَا  
يَغِطُّ إِلَى أَنْ يُوَافِيَ المُنُونَا  
تَقْطَعُ مِنْهُ هُنَاكَ الوَتِينَا  
وَتَجْلُو الحَقَائِقُ مِنْهُ الظُّنُونَا

اللَّهُمَّ انظِمْنا فِي سِلِكِ حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، واجْعَلنا مِنْ عِبادِكَ المُخْلِصِينَ  
وآمِنًا يَوْمَ الفَرعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرنا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وقال رحمه الله عليه بعد كلام له فإذا أضيف إلى الفكرة في الموت الفكرة  
فيما بعد الموت وفي حال الميت وماله وما يجازى به من أقوال وأفعال وفي أي  
مَرَبِحٍ وَمَتَجَرٍ فَاتَهُ وَأَيِّ بَضَاعَةٍ فَرَطَ وَأَيُّ جُزْءٍ مِنْ عُمُرِهِ ضِيَعَهُ هُنَالِكَ تَطْيِشُ  
الأَلْبَابُ وَتَذْهَلُ العُقُولُ وَتَحْرِسُ الأَلْسُنُ وَتُنْبَدُ الدُّنْيَا بِالْعَرَاءِ وَتُطْرَحُ بِجَمِيعِ ما  
فِيهَا بِالوَرَاءِ وَلَا يُلْتَفَتُ لَهَا .

وَمِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ المَوْتِ أَنَّهُ يُورِثُ الأَسْتِشْعَارِ بِالإِنزِعَاجِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ  
الفائية المملوءة بالاكدار والانكاد والهموم والغموم .

وَيَحْتَكُ ذِكْرُ المَوْتِ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى الآخِرَةِ بِالاسْتِعْدَادِ لَهَا ثُمَّ  
إِنَّ الإنسانَ لَا يَنْفَكُ عَنْ حَالَتِي ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَمُحَنَةٍ .



فإن كان في حال ضيقٍ ومحنةٍ فذكر الموت سهل عليه بعض ما هو فيه إذ لا مُصيبةَ إلا والموتُ أعظمُ منها وهو ذائقه وأبَد .

قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإن كان في حال سعةٍ ونعمةٍ .

فذكر الموت يمنعهُ من الإغترار بالدنيا والركون إليها لتتحقق عدم دوامها وتتحقق ذهابها عنه وانصرامها .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

يا نائمًا والمُنونُ تفضى	وعالِبًا والجَمَامُ أوفى
جاءك أمرٌ وأيُّ أمرٍ	طمَّ على غيرِه وعفى
هل بعدَ هذا المشيبِ شيءٌ	غيرُ تُرابٍ عليكِ يُحسى
فليسَ هذا الأمرُ سهلًا	ولا بشيءٍ عليكِ يخفى
من بعدَ ما المرءُ في بَراحٍ	يَهتَرُ تيهًا به وظرفًا
ساكنُ نفسٍ قريرِ عَينٍ	يرشِفُ نَعْرَ النِّعَمِ رَشْفًا
إذ عَصَفَتْ في دارِهِ رِيحٌ	تَقْصِفُ كُلَّ الظُّهُورِ قَصْفًا
فباتَ في أهله حَصيدًا	قد جَعَفَتُهُ المُنونُ جَعْفًا
فَعَادَ ذاكَ النِّعَمِ بُوسًا	وصارَ ذاكَ السُّكُونُ رَجْفًا
وسيقَ سوقًا إلى ضَرِيحٍ	يُرْصَفُ بالرَّغْمِ فيه رَصْفًا
وباتَ للدُّودِ فيه طَعْمًا	وللهوامِ العِطَاشِ رَشْفًا
وليتَهُ لَمَ يَكُنْ رَهِينًا	بكلِّ ما قد هَفَا وأهفَا

## ( فَصْل )

وَأَمَّا مَشَاهِدَةُ صُورَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ وَمَا يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مِنَ الرَّوْعِ وَالْفَزَعِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ لِعِظَمِ هَوْلِهِ وَفَضَاعَةِ رُؤْيَيْهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالَّذِي يُشَاهِدُهُ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْثَالُ تَضْرِبُ وَحِكَايَاتٍ تُحْكَى .

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ بِهَا رُوحَ الْفَاجِرِ فَقَالَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ بَلَى قَالَ فَأَعْرِضْ عَنِّي فَأَعْرِضَ عَنْهُ ثُمَّ التَفَّتْ .

فَإِذَا هُوَ بِرِجْلِ أَسْوَدَ الثِّيَابِ قَائِمِ الشَّعْرِ مُنْتِنَ الرِّيحِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَنَاحِرِهِ لَهَبُ النَّارِ وَالذُّخَانِ قَالَ فَعُشِّي عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدْ عَادَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى صُورَتِهِ الْأُولَى .

فَقَالَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ لَوْ لَمْ يَلْقَ الْفَاجِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا رُؤْيَا وَجْهِكَ لَكَانَ ذَلِكَ حَسْبُهُ « أَيُّ يَكْفِي » .

وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَاسٍ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى مَيِّتٍ فَقَالَ لَوْ تَتَرَحَّمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّ مَيِّتَكُمْ قَدْ مَرَّ بِهِ أَهْوَالٌ ثَلَاثَةٌ ، وَجْهُ مَلِكِ الْمَوْتِ وَقَدْ رَأَاهُ ، وَمَرَارَةُ الْمَوْتِ وَقَدْ ذَاقَهَا ، وَخَوْفُ الْخَاتِمَةِ وَقَدْ مَضَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يُرَوَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ إِذَا قَبِضَ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَ الْعَبْدِ قَامَ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ وَأَهْلَ الْبَيْتِ ضَجَّةً ، فَمِنْهُمْ الضَّارِبَةُ وَجْهَهَا ، وَمِنْهُمْ النَّاشِرَةُ شَعْرَهَا ، وَمِنْهُمْ الدَّاعِيَةُ يَا وَيْلَهَا .

فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِيهِمْ هَذَا الْجَزَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا انْتَقَصْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ  
عُمْرًا ، وَلَا أَخَذْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ رِزْقًا وَلَا ظَلَمْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ حَقًّا .

فَإِنْ كَانَتْ شِكَايَتُكُمْ وَتَسَخُّطُكُمْ عَلَيَّ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَأْمُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى  
مِيَّتِكُمْ فَإِنَّهُ مَقْهُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْتُمْ بِهِ كَفَرَةٌ ، وَلِي فِيكُمْ عَوْدَةٌ ثُمَّ  
عَوْدَةٌ حَتَّى لَا أُبْقِي مِنْكُمْ أَحَدًا .

قَالَ لَوْ سَمِعُوا كَلَامَهُ وَرَأَوْا مَكَانَهُ لَشُغِلُوا عَنْ مِيَّتِهِمْ وَبَكُوا عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ .  
شِعْرًا :

بَكَى لِأَنَّ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ      وَقَالَ وَاحْرَبَا وَصَاحَ يَا هَرَبَا  
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ      إِذَا أَرَادَ حُجْبًا فَارَ وَالتَّهَبَا  
وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حِينَ رَأَى      وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجْبَا  
لَمَا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَبَ بِهِ      إِلَّا بَكَى نَفْسَهُ الْمِسْكِينَ وَانْتَحَبَا  
وَمَنْ رَأَى السُّمْرَ فِي جَنَبِهِ شَارِعَةً      أَنَّى يَرَاهَا بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا  
وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ      أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

وقال أحد العلماء رحمه الله في موعظة وعظها ألا أن الدنيا بقاؤها قليل ،  
وعزيرها ذليل ، وغنيها فقير ، شابها يهرم ، وحيها يموت ، ولا يعركم إقبالها  
مع معرفتكم بصرعة إذارها والمغرور من اغتر بها .

أين سكأنها الذين بنوا مرابعها وشققوا أنهارها وعرسوا أشجارها وأقاموا  
فيها أياما يسيرة وعرثتهم بصحيتهم وعرثوا بنشاطهم فركبوا المعاصي إنهم كانوا  
والله بالدنيا مغبطين بالمال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه .

ما صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسامهم والديدان بأوصالهم ولحومهم  
وعظامهم وإذا مررت فناديهم إن كنت مناديا وادعهم إن كنت لابدا داعيا .

وَمُرَّ بِعَسْكَرِهِمْ وَانظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ وَسَلِّ غَنِيَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهِ  
وَسَلِّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ  
وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَنْظُرُونَ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَعْضَاءِ الرَّقِيقَةِ .

وَالْوُجُوهُ الْحَسَنَةَ وَالْأَجْسَادَ النَّاعِمَةَ مَا صَنَعْتَ بِهَا الدِّيدَانَ .

مَحَتِ الْأَلْوَانَ ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ ، وَعَفَّرَتِ الْوُجُوهُ ، وَمَحَتِ  
الْمَحَاسِنَ ، وَكَسَّرَتِ الْفَقَارَ ، وَأَبَاتَتِ الْأَعْضَاءَ ، وَمَزَّقَتِ الْأَشْلَاءَ قَدْ حَيْلَ  
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَفَارَقُوا الْأَحَبَّةَ .

فَكَمْ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ بِالِيَةِ ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ  
بَائِتَةً ، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَمَزِّقَةً ، وَقَدْ سَأَلْتُ الْحَدَقَ عَلَى الْوَجَنَاتِ ، وَأَمْتَلَأْتُ  
الْأَفْوَاهُ صَدِيدًا ، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَامِهِمْ ، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَاؤُهُمْ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ فَصَارُوا  
بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَائِقِ قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ وَتَرَدَّدَتْ فِي الطُّرُقِ أَبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ وَاللَّهِ الْمَوْسِعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ الْعِضُّ النَّاعِمُ فِيهِ الْمُتَنَعِّمُ بِلَذَاتِهِ ، فَيَا سَاكِنَ  
القَبْرِ مَا الَّذِي غَرَّكَ فِي الدُّنْيَا هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ تَبْقَى أَوْ تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارَكَ الْفَيْحَاءُ  
وَنَهْرَكَ الْمَطْرِدَ وَأَيْنَ ثَمَرَتِكَ الْحَاضِرُ يَنْعَمُهَا وَأَيْنَ رِقَاقِ ثِيَابِكَ وَأَيْنَ كِسْوَتِكَ  
لِصَيْفِكَ وَشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُعْمَضِ الْوَالِدِ وَالْأَخِ وَغَاسِلِهِ وَحَامِلِهِ يَا  
مُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ وَرَاحِلِ عَنْهُ ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْتُ عَلَى حُشُونَةِ الثَّرَى ،  
وَبَأْيِّ حَدِيدِكَ بَدَأَ الْبَلِي ، يَا مُجَاوِرَ الْهَلْكَى صَبْرَتْ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتِ ، لَيْتَ  
شِعْرِي مَا الَّذِي يَلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِي مِنَ الدُّنْيَا .

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ أَمْسَى وَقَدْ قُطِعَتْ هُنَاكَ جِبَالُهُ  
أَمْسَى وَلَا رَوْحَ الْحَيَاةِ يُصِيبُهُ يَوْمًا وَلَا لُطْفَ الْحَيِيبِ يَنَالُهُ

أَمْسَى وَحَيْدًا مُوَحَّشًا مُتَفَرِّدًا      مُتَشِيتًا بَعْدَ الْجَمِيعِ عِيَالُهُ  
 أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ      وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ  
 وَاسْتَبَدَّلَتْ مِنْهُ الْمَجَالِسُ غَيْرَهُ      وَتُقَسِّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَمْوَالُهُ  
 هَلْ مِنْ قَبِيلٍ تَعْلَمُونَ مَكَانَهُ      سَلِمَتْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ رِجَالُهُ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلِ الْإِبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،  
 وَأَمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَصْلٌ )

إِعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أن تقصير الأمل مع حب الدنيا  
 متعذرٌ وانتظار الموت مع الاكباب على الدنيا غير متيسر ، فإنَّ حبَّ الدنيا هو  
 سببُ طول الأمل فيها ، والاكبابِ عليها يمنعُ من الفكرة في الخروج منها .  
 والجَهْلُ بعوائلِها وعواقبِها يحْمِلُ الإرادةَ لها والازديادِ منها ، لأنَّ مَنْ  
 أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ الْكُونَ مَعَهُ ، وَالْإزْدِيَادَ مِنْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِالدُّنْيَا مُحِبًّا  
 لَهَا حَرِيصًا عَلَيْهَا قَدْ خَدَعَتْهُ بِزُخْرُفِهَا وَأَمَلَتْهُ بِرُؤْيُفِهَا وَسَحَرَتْهُ بِزِينَتِهَا ، كَيْفَ  
 يُرِيدُ مُفَارَقَتَهَا ، أَمْ كَيْفَ يُحِبُّ مُزَايَلَتَهَا ، هَذَا أَمْرٌ مَا أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِهِ وَلَا  
 حَدَّثْنَا عَنْهُ .

بَلْ تَجِدُ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ أَصَمًّا عَنْ دَاعِيِ  
 الرُّشْدِ ، قَلِيلَ الرَّأْيِ سَيِّءَ النَّظَرَةِ ، ضَعِيفَ الْإِيمَانِ ، لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الدُّنْيَا مَا يَسْمَعُ  
 بِهِ ، وَلَا مَا يَرَى الْحَقَائِقَ بِوَسِيطَتِهِ .

إنما دِينُهُ وشُعْلُهُ وحَدِيثُهُ دُنْيَاهُ لَهَا يَنْظُرُ وَلَهَا يَسْمَعُ وَلَهَا يُعْطِي وَلَهَا يَأْخُذُ  
قَدْ مَلَأَتْ عَيْنَهُ وَسَمِعَهُ .

فتجده قد طَوَّلَ أَمَلَهُ وَمَدَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنْ كَانَ شَابًا قَالَ أَنَا صَغِيرٌ  
وَالْوَقْتُ بَيْنَ يَدَيِ وَأَسْعَى وَأُبْنِي حَتَّى أَبْلُغَ سِتِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً .

وَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةُ تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ وَإِذَا حَصَلَتْ  
الزَّوْجَةُ وَجَاءَ الْأَوْلَادُ احْتَأَجُوا إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْمَالِ وَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ مَالٌ لَمْ أَصِلْ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَالْمَرْغُوبِ .

وَإِنْ قَعَدْتُ عَنِ الطَّلِبِ احْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ وَإِذَا احْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ  
اسْتُخِفَّ بِي وَاحْتَقِرْتُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَالْمَرْءُ لَا يَصْغُرُ مِقْدَارُهُ إِلَّا إِذَا احْتَاجَ إِلَى النَّاسِ

آخِرُ :

مَنْ عَفَّ حَخْفَ عَلَى الطَّرِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهَهُ مَمْلُوءٌ  
وَأَخْوَكُ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ وَمَتَى عَلَقَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ

وَانظُرْ إِلَى فَلَانٍ قَدْ اكْتَسَبَ ، وَجَمَعَ وَاعْتَنَى وَتَزَوَّجَ ، وَتَنَعَّمَ وَتَمَتَّعَ وَظَفَرَ  
بِالْمَرَادِ وَوَصَلَ إِلَى مَا أَرَادَ .

وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ فَيَقُولُ فَلَانٌ كَانَ شَابًا مِثْلِي وَأَرَادَ مَا أَرَدْتُ وَسَعَى فِيمَا  
سَعَيْتُ فَاخْتَرَمْتُهُ الْمَتِيَّةَ ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى مُرَادِهِ .

وَلَا يَقُولُ فَلَانٌ طَلَبَ الدُّنْيَا وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهَا فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مَا اجْتَمَعَ  
سَرِقَ مَا تَعَبَ بِهِ أَوْ اعْتَدِي عَلَيْهِ فَغَضِبَ مَا جَمَعَ وَأَخَذَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ .

وَلَا يَقُولُ احْتَرَقَ مَالُ فَلَانٍ الَّذِي تَعَبَ فِي تَحْصِيلِهِ أَوْ غَرَّقَ مَالُهُ فِي الْبَحْرِ

أَوْ فِي رُجُوعِهِ إِلَى بَلَدِهِ ، وَانْصِرَافِهِ إِلَى وَطَنِهِ هَلَكَ مَالُهُ فَاحْتَلَّ عَقْلُهُ بِسَبَبِ  
فَقْدَانِ الْمَالِ أَوْ مَاتَ فِي طَرِيقِهِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي كَثِيرًا .

إِنَّمَا يَعْزُضُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَجْرِي عَلَى خَاطِرِهِ مَنْ بَلَغَ إِلَى إِرَادَتِهِ وَوَصَلَ إِلَى  
أَمْنِيَّتِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ وَشَغَفَ بِحَدِيثِهِ .

فَتَرَاهُ يَسْعَى وَيَرْغَبُ وَيَحْرِصُ وَيَطْلُبُ وَيَكْدُ وَيَزْفُرُ وَيَلْهَثُ فِي حُدُورِ  
وَصُغُودِ وَطُلُوعِ وَهُبُوطِ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَلَا يَقْرُبُهُ قَرَارٌ وَلَا تَضُمُّهُ فِي أَكْثَرِ  
الْأَوْقَاتِ دَارٌ .

وَكَلَّمَا فَرَّغَ مِنْ شُغْلٍ أَخَذَ فِي شُغْلٍ آخَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَلْ لَا يَفْرُغُ مِنْ  
شُغْلٍ إِلَّا عَرَضَتْ لَهُ أَشْغَالٌ وَلَا يَصِلُ إِلَى أَمَلٍ إِلَّا اتَّبَعَتْ لَهُ آمَالٌ فَيَمْنِي نَفْسُهُ  
بِالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ وَيُحَدِّثُهَا بِالْأَحَادِيثِ الْكَاذِبَةِ .

فَإِنْ وَصَلَ إِلَى حَظٍّ مِنَ الْمَالِ وَنَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْكَسْبِ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْيشَ  
بِهِ عُمُرَهُ كُلَّهُ أَوْ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَقِيلَ لَهُ يَا فُلَانُ أَرِحْ نَفْسَكَ وَدَعْ جِسْمَكَ فَهَذَا  
الَّذِي عِنْدَكَ يَكْفِيكَ .

قَالَ يَا أَحْيَى لَا تَقُلْ هَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ بَيْنَ يَدَيَّ وَلَا يَكْفِيهِمَا قَلِيلٌ وَلَنْ  
يُدُومَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَذْهَبَا مَا فِي يَدَيْهِ ، وَأَخَذَا مَا كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَا يَدْرِي مَا  
يَكُونُ .

وَالْآفَاتُ كَثِيرَةٌ وَالْأَمْرَاضُ مُتَوَقَّعَةٌ وَالْحَاجَةُ إِلَى النَّاسِ صَعْبَةٌ لَا سِيَّمَا مَعَ  
الْكِبَرِ فَيَقِيمُ الْعُذْرَ لِنَفْسِهِ وَيَطْلُبُ لَهَا الْحُجَّةَ وَيُوجِدُ لَهَا الدَّلِيلَ وَيُصَحِّحُ لَهَا  
بِرْغَمِهِ التَّأْوِيلَ .

فَإِنْ ذَكَرَ لَهُ الْمَوْتُ أَوْ حَدِثَ بِمَوْتِ إِنْسَانٍ ، قَالَ بِلِسَانِهِ فَقَطْ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ  
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وَاللَّهُ إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي غُرُورٍ .

والله إِنَّهَا لَمْصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ مَتَى يَهْلِكُ وَلَا مَتَى يُخْتَلَفُ  
وَلَا مَتَى تَفْجُؤُهُ الْمَنِيَّةُ وَتَحِلُّ بِهِ الرِّزْيَةُ ، وَتَنْزِلُ بِهِ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ .

هَكَذَا قَوْلًا بِلَا فِعْلٍ وَكَلَامًا بِلَا نَبِيَّةٍ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ صِدْقِ نَبِيَّةٍ وَصِحَّةِ  
طَوِيَّةٍ لَظَهَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَبَدَتْ مَخَايِلُهُ مِنْهُ .

وَرُبَّمَا وَعَدَ نَفْسَهُ وَمَنَاهَا وَطَمَعَهَا فِي التَّوْبَةِ وَرَجَّاهَا ، وَقَالَ إِذَا جِئْتُ مِنْ  
هَذِهِ السَّفَرَةِ ، وَإِذَا فَرَعْتُ مِنْ عِمَارَةِ الدَّارِ ، أَوْ إِذَا جَمَعْتُ مَا كَانَ مُتَفَرِّقًا أَوْ  
نَحْوَ ذَلِكَ لَتَفَرَّغْتُ لِلنَّظَرِ لِنَفْسِي ، وَقَدَّمْتُ مَا أَجِدُهُ فِي رَمْسِي ، وَكُنْتُ مِنْ  
دَارِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَمِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى دَارِي ، وَلَا أَنْظُرُ فِي شَيْءٍ ، وَلَا أَشْتَغِلُ  
فِي شَيْءٍ .

فَإِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرِهِ تَجَهَّزَ لِسَفَرٍ آخَرَ ، وَإِذَا فَرَعَ مِنْ عِمَارَةِ دَارِهِ نَظَرَ فِيمَا  
يَصِلُحُ لَهَا ، وَإِنْ جَمَعَ مَالَهُ نَظَرَ فِي تَفْرِيقِهِ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يُنْمِيهِ .

وَهَكَذَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَمْوَاتِ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَمُوتُ ، وَيُشَيِّعُ  
الْجَنَائِزَ وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنَّ جَنَازَتَهُ تُشَيِّعُ .

أَلَا وَكَمَا شَيَّعَتْ يَوْمًا جَنَازَةً فَأَنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُمْ سَتُشَيِّعُ

وَيُقَدَّرُ لِنَفْسِهِ الْعَيْشَ الطَّوِيلَ وَلَا يُقَدَّرُ لَهَا الْمَوْتُ الْقَرِيبَ ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ  
السَّهْوُ وَأَطْبَقَهُ الْجَهْلُ وَسَدَّتْ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ طُرُقَ الْإِنَابَةِ وَصَرَفَتْهُ عَنْ أَسْبَابِ  
الْفِكْرَةِ .

شِعْرًا :

لِمَنْ وَرَقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرْبَعِ تَشَبُّ بِهِ تَبَارِيحُ الضُّلُوعِ  
عَلَى فَيْنَانَةٍ خَضْرَاءَ يَصْنُفُو عَلَى أَعْطَافِهَا وَشِي الرِّبِيعِ



تُرَدُّ صَوْتٌ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا      رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ  
فَشَّتْ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهُ      غَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبِ صَرِيعِ  
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمٌ وَهِيَ خَرَسَا      وَتَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةُ الدُّمُوعِ  
فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي      مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ  
أُتْبِكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أُنَيْسًا      وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالْكَأْسِ الْفَظِيعِ  
وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي      وَتَضْيِيعِ الْحَيَاةِ مَعَ الْمُضْيِيعِ  
وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي      لِأُرْسَلْتُ الْمَدَامِعَ بِالنَّجِيعِ  
أَلَا يَا صَاحِ وَالشُّكُورَى ضُرُوبٌ      وَذَكَرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهُجُوعِ  
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيرَ أَخَاكَ دَمْعًا      فَمَا فِي مُقَلَّتِيهِ مِنَ الدُّمُوعِ

اللَّهُمَّ انظُمنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ  
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَيِّبْنَا  
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

إِعلمَ وَفَقْنَا اللهُ وَأَيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَيُّقِظَ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الْعَقْلَةِ  
وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ الْإِسْتِعْدَادَ لِلثَّقَلَةِ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ أَنْ مِنْ أَضْرَّ مَا  
عَلَى الْإِنْسَانِ طُولُ الْأَمَلِ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طُولِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَيَنْسَى

أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْهُ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ فَتَاهَبْ  
لِسَاعَةِ وَدَاعِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَخُرُوجِكَ مِنْهَا .

وَكَُنْ يَا أَحْيَى عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْأَجْلِ فَإِنَّكَ عَرَضٌ لِلآفَاتِ وَهَدَفٌ  
مَنْصُوبٌ لِسِهَامِ الْمَنَائِيَا وَإِنَّمَا رَأْسُ مَالِكِ الَّذِي يُمَكِّنُكَ أَنْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ  
تَشْتَرِيَ بِهِ سَعَادَةَ الْأَبَدِ هَذَا الْعَمْرَ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ ﴿الآيَةُ فَإِيَّاكَ  
أَنْ تُنْفِقَ أَوْقَاتَ عُمْرِكَ وَأَيَّامَهُ وَسَاعَاتِهِ وَأَنْفَاسَهُ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا مَنَفَعَةَ  
فَيَطُولُ حُزْنُكَ وَنَدَامَتُكَ وَتَحَسُّرُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ .

وَاجْعَلْ مَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ نَصَبَ عَيْنَيْكَ دَائِمًا لِتَحُثَّكَ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ  
الْمَعَادِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ  
اللَّهِ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا  
عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ

لِعَدِّ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي  
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿الآيَةُ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ .

ونحو هذه الآيات التي مرّت عليك فإن كنت مؤمناً حقيقة فاشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكير والإعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار في هذه الدار فتشتغل بالجد والاجتهاد والتشمير للعرض على الجبار .

وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفخ بها القبور عن رؤس الموتى ، فيثورون دفعة واحدة .

قال الله جل جلاله : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ .

فتصوّر نفسك إنته يا أخي لهذا اليوم العظيم الذي ليس عظمه مما يوصف ، ولا هوله مما يكيف ، ولا يجري على مقدار مما يعلم في الدنيا ويعرف بل لا يعلم مقدار عظمه ولا هوله إلا الله تبارك وتعالى وما ظنك بيوم عبّر الله تبارك وتعالى عن بعض ما يكون فيه بشيء عظيم قال الله عزّ وجل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ وماذا عسى أن يقول القائل فيه وماذا عسى أن يصفه الواصف به الأمر أعظم والخطب أكبر والهول أشنع كما قال القائل :

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وصفاً  
وقال آخر :

يَضْحَكُ المرءُ والبكاءُ أَمَامَهُ وَيُرْوَمُ البقاءُ والموتُ رَامَهُ  
وَيَمْشِي الحَدِيثُ فِي كُلِّ لَعْوٍ وَيُخْلَى حَدِيثُ يَوْمِ القِيَامَةِ  
وَلَأْمُرٌ بَكَاءُ كُلِّ لَيْبٍ وَنَفَى فِي الصَّلَامِ عَنْهُ مَنَامَهُ  
صَاحِ حَدَّثَ حَدِيثُهُ وَاحْتَصَرَهُ فَمَحَالَ بِأَنْ تُطِيقَ تَمَامَهُ  
عَجَزَ الوَاصِفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا لَمْ نَجِءْ مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامَهُ  
فَلتُحَدِّثُهُ جُمْلَةً وَشَتَاتاً وَدَعِ الآنَ شَرَحَهُ وَنِظَامَهُ

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ وَقَدْ حَرَجْتَ مِنْ قَبْرِكَ مُتَغَيِّراً وَجْهَكَ مُغْبِراً بِدَنِكَ مِنْ  
تُرَابِ قَبْرِكَ مَبْهُوتاً مِنْ شِدَّةِ الصَّعْقَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ خَشِعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ  
مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي ﴾

وقال جل وعلا وتقدس : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ  
الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ الآية . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمَعَ يَوْمَ يُنَادِي المُنَادِي مِنْ مَكَانٍ  
قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الخُرُوجِ ﴾ .  
وقال جل وعلا : ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ  
يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَسِيرٍ عَلَى الكَافِرِينَ  
غَيْرِ يَسِيرٍ ﴾ فَتَفَكَّرَ فِي الخَلَائِقِ وَرُغِبَ فِيهِمْ وَذُلُّهُمْ وَاسْتِكَانَتُهُمْ عِنْدَ الأَنْبِيعَاتِ خَوْفاً  
مِنْ هَذِهِ الصَّعْقَةِ وَانْتِضَاراً لِمَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ .  
قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ  
يُوفَضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذُلَّةً ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .  
وقال تعالى : وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى  
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ .

شعرا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي عَلَى ضَعْفِهَا      تَجَرَّعُ رَغْمًا كُؤُوسَ الرَّدَى  
وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهَا الْغَطَا      فَحَنَّتْ هُنَاكَ لِكَشْفِ الْغَطَا  
وَمُدَّتْ إِلَيْهَا يَدَ فِظَّةٍ      لِفِظِّ غَلِيظِ شَدِيدِ الْقُوَى  
فَمَا شِئْتَ مِنْ نَفْسٍ ضَبِيقٍ      وَجَذِبِ عُرُوقٍ وَقَطْعِ الْحَشَا  
وَنَفْسٍ تُسَاقُ أَشَدَّ مَسَاقٍ      فَتَضَعُطُ فِي لَهَوَاتِ الْفَتَى  
وَلَا دَافِعَ يُرْتَجَى دَفْعُهُ      وَلَا قَائِلَ مَا بِهِ يُفْتَدَى  
وَمَا لِي أَنْتِصَارَ وَلَا لِي قَرَارٍ      وَمَالِي مِنْ حِيَلَةٍ تُرْتَجَى  
فَدَعْنِي وَيَوْمِي أَبْكِي لَهُ      فَحَقَّ لِيَوْمِي بِطُولِ الْبُكََا

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ  
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ  
الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ  
عِبُونُنَا مِنْ رُؤَيْتِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

إِعْلَمْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيقَهُ  
وَوَحْشَتَهُ وَطَرَحَ الْمَيِّتِ فِيهِ غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلَا مُوسَّدٍ قَدْ بَاشَرَ التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْبِلَى  
وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا لِلرُّورَى .

وَبَدَّ مِنْهَا مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ فِي الْعَرَاءِ مَعَ حَبِيبِ تَرْكِهِ وَقَرِيبِ أَسْلَمِهِ ،  
وَنَصِيرِ أُرْدَاهُ ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ عَهْدَهُ إِنْ ذَلِكَ لَمِمَّا يَفْطُمُ النَّفُوسَ عَنْ

الشهوات ، وإن كانت صعبة الفطام ، ويقطعها عن اللذات ، وإن كان قطعها بعيد المرام ، إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب فبينما الإنسان في رحاء العيش مسروراً فيما بين يديه غافلاً عن يوم صرعه قد فتح للهوى بابه ، وأرسل عليه حجابته ، ولم يُبال بمن لأمه في ذلك أو عابه ، إذ هجمت عليه المنية ، فهتكت أستاره ، وكسفت أنواره ، وشتت شمله وطمست أعلامه وآثاره .

فأخرجته من ذلك القصر المشيد ، والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنضد ، إلى حفرة من الأرض ظلماء ضيقة الجوانب مملوءة من الرعب والفرع والخوف والقلق والذعر .

فحذار حذار وبدار بدار قبل أن تُصرع هذا المصرع فيفت في عضدك ويسقط في يدك وترمى بك عن أهلك ووليك في مهواة تزدحم فيها الأهوال ، وتقطع فيها الآمال .

قد جمعت فيها جمعاً ورصعت فيها رصعاً وتريكت فيه للهوام والديدان طعماً ، ومرعى .

ولعلك ممن يرغب في تبديل المنازل وإن كانت حسناً ، ولا ترى لربك عز وجل فيها تفضلاً وامتناناً .

فانظر الآن كم بين المنزلتين وكم قدر ما بين الوحشتين إلا أن يدركك الله برحمته فتتسع من القبر أظفاره وتمتد فيه أنواره وأنشدوا في هذا المعنى :

من كان يوحشه تبديل منزله      وأن يُبدل منها منزلاً حسناً  
ماذا يقول إذا ضمت جوانبها      عليه واجتمعت من هاهنا وهنا  
ماذا يقول إذا أمسى بحضرته      فرداً وقد فارق الأهلين والسكنا  
هناك يعلم قدر الوحشتين وما      يلقاه من بات باللذات مرتهنا

يَا غَفْلَةً وَرِمَاحِ الْمَوْتِ شَارِعَةً  
وَلَمْ أُعِدْ مَكَانًا لِلنِّزَالِ وَلَا  
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودَهُ أَبَدًا  
فِيَا إِلَهِي وَمُزْنَ الْجُودِ وَآكِفَةً  
آنِسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشْتَنَا  
نَحْنُ الْعِصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلْجُونَا  
فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا  
وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرَّسَا  
أَعْدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غِرَّةً وَمَنَا  
وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا  
سَحًا فَتَمَطَّرْنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِنْنَا  
وَالطَّفُ بِنَا وَتَرَفَّقَ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا  
وَأَنْتَ مَقْصِدُنَا الْأَسْنَى وَمَطْلَبُنَا  
أُولَى فَمَنْ ذَ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

وكان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى يبُلَّ لحيته فقيل له  
تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا .

فقال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ القبرُ أوَّلُ مَنْزِلٍ من مَنْازِلِ الآخِرَةِ ،  
فإن نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ فما بَعْدَهُ أيسرُ مِنْهُ ، وإن لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فما بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ .

وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ « ما رأيتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا والقبرُ أَفْظَعُ مِنْهُ »  
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو يعلى والحاكم في الكنى  
والطبراني في الكبير وأبو نعيم عن أبي الحجاج الثمالي قال قال رسول الله ﷺ :  
« يقول القبرُ لِلْمَيِّتِ حينَ يُوَضَعُ فِيهِ أَلَمْ تَعْلَمْ وَيُحَكَّ أَنِي بَيْتُ الْفِتْنَةِ ، وَبَيْتُ  
الظُّلْمَةِ ، وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَبَيْتُ الدُّودِ ، يَا ابْنَ آدَمَ ما غَرَّكَ بي إِذْ كُنْتَ تُمَرُّ  
عَلَيَّ فِدَادًا » .

فإن كان مُصْلِحًا أَجابَ عَنْهُ مُجِيبُ القَبْرِ فيقولُ أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ يَأْمُرُ  
بالمَعروفِ وَيَنْهَى عَنِ المَنكَرِ فيقولُ القَبْرُ إِنِّي إِذا أَتَحَوَّلُ عَلَيْهِ خَضِرًا وَيَعُودُ  
جَسَدُهُ نُورًا وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلى اللَّهِ تَعَالَى .  
وَجَدَ مَكْتُوبًا عَلى قَبْرِ :

ما حال من سكن الثرى ما حاله  
 أمسى ولا رُوح الحياة يُصيّبه  
 أضحى وحيداً موحشاً مُتفرداً  
 أمسى وقد درست محاسن وجهه  
 واستبدلت منه المجالس غيره  
 هل من قبيل تعلمون مكانه

ومكتوب على قبر آخر :

يا باكي الميت على قبره  
 من عاين الموت فذاك الذي  
 كم من شقيق لم يجد غير أن  
 وكم محبٍ لحبيبٍ إذا  
 إمض ودعه سوف تسلاه  
 لم تر مثل الموت عيناه  
 أغمض من يهوى وسجاه  
 سوى عليه اللحد خلاه

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى  
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ  
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَبِّضَ لِيَدِينَا مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَّثَ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ  
 وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الرِّبْعِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

وقال رحمه الله :

فكَم رَأَى مِنْ إِنْسَانٍ قَدْ أَعَدَّ ثَوْباً لِيَلْبِسَهُ فَكَانَ كَفَنَهُ ، وَكَم رَأَى مِنْ  
 يَبْنِي دَاراً لِيَسْكُنَهَا فَكَانَتْ قَبْرَهُ ، وَكَم رَأَى إِنْسَاناً يُحِبُّ الْوَلَدَ وَيَشْتَهِيهِ ،



وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا فَلَمَّا جَاءَهُ الْوَلَدُ صَارَ ضَرَرًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

وَرُبَّمَا قَتَلَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ اسْتِعْجَالًا لِلْمِيرَاثِ ، وَرُبَّمَا صَارَ عَارًا عَلَى وَالِدَيْهِ وَنِقْمَةً وَخِزْيًا كَمَا تَرَى وَتَسْمَعُ وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ لَا يُسْتَحَارُ اللَّهُ فِيهِ .

وَتَجِدُ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَاعَتْ أَعْمَارُهُمْ فُرْطًا إِذَا ذُكِرَ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ أَوْ خَوْفَ بِالْعُقُوبَةِ أَوْ بِالمَوْتِ ، قَالَ دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمُقْبَضَاتِ ، وَحَدَّثَنَا بِالمُبَشِّرَاتِ وَالمُفْرَحَاتِ ، هَذَا عَصْرُ الشَّبَابِ وَاللَّذَاتِ .

وَإِذَا كَبِرْنَا تَبْنَا إِلَى اللَّهِ ، وَالأَمْرُ وَاسِعٌ ، وَلَا يَرَى المَسْكِينُ أَنَّهُ قَدْ شِيعَ جَنَائِزٌ إِلَى الأُخْرَةِ أَصْغَرَ مِنْهُ فِي السَّنِ ، وَأَحَدَثَ مِنْهُ بِالرَّحْمِ عَهْدًا ، قَدْ غَرَّتُهُ الشَّيْبَةُ وَخَدَعَتْهُ الصَّحَّةُ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ العِرَّةُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالقُوَّةِ .

وَلَا يَتَأَمَّلُ وَيُفَكِّرُ وَيَعْتَبِرُ فَيَرَى أَنَّ المَوْتَ فِي الشَّبَابِ أَكْثَرُ ، وَحَادِثُهُ فِيهِمْ أَسْرَعُ وَأَنَّ الَّذِي يَمُوتُ فِي الهَرَمِ قَلِيلٌ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمُوتُ بَعْتَهُ فِي السَّكْنَةِ القَلْبِيَّةِ وَأَنَّ الزَّمَانَ كُلَّهُ وَقْتُ لِلْمَوْتِ ، وَلَا يَخْتَصُّ مِنَ الأَرْضِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ ، وَلَا مِنَ الزَّمَانِ بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ، وَلَا يَزِلُّ هَذَا المَغْرُورُ مُنْكَبًا عَلَى شَهْوَاتِهِ مُدَاوِمًا عَلَى لَذَّتِهِ غَافِلًا عَنِ يَوْمِ صَرَغَتِهِ ، حَتَّى يُؤَخِّدَ بِمَا تَأَخَّرَ وَمَا تَقَدَّمَ ، وَيُلْقَى صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشَعَمِ .

وفي هذا وأمثاله قال الشاعر :

نَالَ أُمُورًا خَابَ مِنْ نَالَهَا      ثُمَّ سَعَى يَطْلُبُ أُمُثَالَهَا  
وَوَاقَعَ الذَّنْبَ فَمَا هَالَهُ      وَالبَاذِخَاتِ الشَّمُّ قَدْ هَالَهَا  
وَقَالَ هَذِهِ سَنَوَاتُ الصَّبَا      فَاسْحَبْ عَلَى رِسْلِكَ أَذْيَالَهَا  
وَمَرَّ يَسْتَهْتِرُ فِي عُصْبَةٍ      مِنْ شَكْلِهِ تَصْحَبُ أَشْكَالَهَا  
أُولَى لَهُ نَمَّتْ أُولَى لَهُ      وَتِلْكَمُ العُصْبَةُ أُولَى لَهَا

ثم اعلم رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ رَاسِخٌ  
وَإِخْرَاجُهَا مِنْهُ صَعْبٌ جَدًّا إِلَّا لِمَنْ عَصَمَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ، وَالنَّفْسُ إِلَى الدُّنْيَا  
أَمِيلٌ وَهِيَ بِهَا أَشْعَفُ ، وَفِي طَلَبِهَا أَهْلَكَ وَعَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ أَبْعَدُ وَأَصْرَفُ ،  
وَاسْمَعْ إِلَى مَا قِيلَ فِي الدُّنْيَا :

هِيَ الْمُشْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السَّهَى      أَمَانِيَّ مِنْهَا دُونَهُنَّ الْعِظَائِمُ  
وَلَمْ تُؤْلَفْنَا إِلَّا وَفِينَا تَحَاسُدُ      عَلَيْهَا وَإِلَّا الصُّلُورِ سَخَائِمُ

وقال الآخر :

يُسِيءُ أَمْرُهُ مَنْ فَيَبْغِضُ دَائِمًا      وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُومِقُ  
أَسْرٌ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى      بِجَهْلِهِ فَمَنْ كُلُّ النَّوَظِرِ تُرْمَقُ  
وَمَا هِيَ أَهْلٌ يُؤْهَلُ مِثْلَهَا      لَوْدٍ وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ

وقال الآخر :

لِسَانَكَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ مُشَاحِنٌ      وَقَلْبُكَ فِيهَا لِللسَانِ مُبَايِنٌ  
وَمَا ضَرَّهَا مَا كَانَ مِنْكَ وَقَدْ صَفَا      لَهَا مِنْكَ وَدٌّ فِي فُؤَادِكَ كَامِنٌ

وَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا لَهُوَ الدَّاءُ العُضَالُ ، الَّذِي أَهْلَكَ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَأَفْسَدَ  
كَثِيرًا مِنَ الأَعْمَالِ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ العِنَايَةَ الإِلَهِيَّةُ ، فَتَصْرِفُ الإِنْسَانَ إِلَى النُّظَرِ  
الصَّحِيحِ ، وَتَجْمَلُهُ عَلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ .

فَبَرَى بَعِينَ الحَقِيقَةَ وَصَحِيحَ البَصِيرَةَ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ المَوْتِ ، وَأَنَّهُ يُدْفَنُ  
تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيُرْمَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ، وَيُسَلَّطُ النُّودُ عَلَى  
جَسَدِهِ ، وَالهَوَامُّ عَلَى بَدَنِهِ ، فَتَأْخُذُهُ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ .

وقد عدم الطيب واسلمه القريب ، وتركه الصديق والحبيب والقريب ،  
وأناه منكرٌ ونكير ، ولم يجد هناك أنيساً إلا عمله .

أَسْلَمَنِي الْأَهْلُ بِيْطْنِ الثَّرَى      وَأَنْصَرَفُوا عَنِّي فَيَا وَحْشَتَا  
وَعَادِرُونِي مُعْدِمًا يَأْسًا      مَا بِيَدِي الْيَوْمَ إِلَّا الْبُكَاءُ  
وَكُلُّ مَا كَانَ كَانَ لَمْ يَكُنْ      وَكَانَ مَا حَادَرْتُهُ قَدْ أَتَى  
وَذَاكُمْ الْجُمُوعُ وَالْمَقْتَنَى      قَدْ صَارَ فِي كَفِي مِثْلَ الْهَبَا  
وَلَمْ أَحِجِدْ لِي مُؤْنِسًا هَاهُنَا      غَيْرَ فُجُورٍ كَانَ لِي أَوْ تُقَى  
فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى حَالِي      بَكَيتُ لِي يَا صَاحَ مِمَّا تَرَى

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا  
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفُرْ لَنَا  
وَلَوْلَادِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْل )

وَأَمَّا الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَإِنْ كَانَ مَلِكًا نَظَرَ إِلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَمَا  
فَعَلَ الْمَوْتُ بِهِمْ كَيْفَ فَرَّقَ جُمُوعَهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ قُصُورُهُمْ  
وَعَمَّرَتْ بِهِمْ حُفْرَهُمْ وَقَبُورُهُمْ .

وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا وَكَانَ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ وَصِفَاتِهِمْ فِي تَقَلُّبِ الدُّنْيَا  
بِهِمْ مَعْلُومَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْكَثْرِ وَالْهَمِّ يَقْلُ عِنْدَ  
إِنْسَانٍ وَيَكْثُرُ عِنْدَ آخَرَ .

فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَعَرَّضَ عَلَيْهَا هَذَا الْإِعْتِبَارَ أَثَرَ عَلَيْهِ  
هَذَا وَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا يَقِيْتُهُ ، وَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ  
وَخَافَ فَجَأَتَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ بِعُتَّتِهِ وَهَجَمَتَهُ وَصَدَمَتَهُ وَصَرَغَتَهُ .

والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيقِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ

سِوَاهُ .

وقال رحمه الله : وَاَعْلَمُ أَنَّ مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِعَقَابِ أَنْ يُنْزَلَ بِهِ مِنْ أَمِيرِ  
بَلَدَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مُتَأَلِّمًا الْقَلْبِ مَشْعُورَ النَّفْسِ .

فَإِنَّ مَنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةَ سَوْطٍ فَإِنَّهُ أَشْغَلَ قَلْبًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ  
عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ .

وَمَنْ تُوعِدُ أَنْ يُقَطَعَ مِنْهُ جَارِحُهُ أَكْثَرَ تَوَجُّعًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةَ  
سَوْطٍ وَمَنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ أَشَدَّ خَوْفًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُقَطَعَ أَحَدُ  
جَوَارِحِهِ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِمَّنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تُوعِدُ بِالْقَتْلِ لِأَنَّ الْمَوْتَ قَتْلٌ فِي الْبَاطِنِ كَالْحَنْقِ فَقَدْ  
بَانَ لَكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يَنْتَظِرُ الْقَتْلَ يَنْتَظِرُ مَلَكٌ يَثْبُ عَلَيْهِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ .

فَلَوْ كُشِفَ لِلنَّاسِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَرَأَوْا الْمَوْتَ حِينَ يَهْجُمُ عَلَيْكَ وَشَاهَدُوهُ  
فِي الْبَاطِنِ حِينَ يَأْخُذُ رُوحَكَ لَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْسَانٍ يَقْتُلُكَ فِي الظَّاهِرِ فَرْقٌ إِلَّا  
أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى آلَةٍ يَقْتُلُ بِهَا مِنْ سَيْفٍ أَوْ سَكِينٍ أَوْ نَحْوِهِمَا وَمَلِكُ الْمَوْتِ  
لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ شِدَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَا يَعْرِفُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا  
وَمَنْ ذَاقَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْهَا فَإِنَّمَا يَعْرِفُهَا إِذَا بِالْقِيَاسِ عَلَى الْآلَامِ الَّتِي أُذْرِكُهَا وَإِنَّمَا  
بِالِاسْتِدْلَالِ بِأَحْوَالِ النَّاسِ فِي النَّزْعِ عَلَى شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ ، وَالنَّزْعُ عِبَارَةٌ عَنِ  
مُؤَلِّمِ نَزْلِ بِنَفْسِ الرُّوحِ فَاسْتَعْرِقَ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ .

فَأَلَمَ النَّزْعُ يَهْجُمُ عَلَى نَفْسِ الرُّوحِ فَيَسْتَعْرِقُ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ ، فَإِنْ

الْمَنْزُوعَ وَالْمَجْدُوبَ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مِنَ الْعُرُوقِ وَعَصَبٍ مِنَ الْأَعْصَابِ وَجُزْءٍ مِنَ  
الْأَجْزَاءِ وَمَفْصِلٍ مِنَ الْمَفَاصِلِ وَمِنْ أَسْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ وَبَشْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ  
فَلَا تَسْأَلُ عَنْ كَرْبِهِ وَأَلَمِهِ .

وَلَا تَسْأَلُ عَنْ بَدَنِ يُجَذَّبُ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ مِنْ عُرُوقِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْمَجْدُوبُ  
عِرْقًا وَاحِدًا لَكَانَ أَلَمُهُ عَظِيمًا فَكَيْفَ وَالْمَجْدُوبُ نَفْسُ الرُّوحِ الْمُتَأَلَّمِ ، وَلَيْسَ  
هُوَ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ ، بَلْ مِنْ جَمِيعِ الْعُرُوقِ .

ثُمَّ يَمُوتُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ تَدْرِيحًا تَدْرِيحًا فَتَبْرُدُ أَوَّلًا قَدَمَاهُ لِفِرَاغِهَا مِنَ  
الرُّوحِ ، ثُمَّ سَاقَاهُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ فِخْذَاهُ وَلِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ ،  
وَكَرْبَةٌ بَعْدَ كَرْبَةٍ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا الْحُلُقُومَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَيُعَلِّقُ دُونَهُ بَابَ التَّوْبَةِ ، وَتُحِيطُ  
بِهِ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ وَالْهَمُومُ ، وَالْعُمُومُ ، وَسَائِرُ الْأَحْزَانِ .

تَسْأَلُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الْقَيُومِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ يَلْطَفَ بِنَا  
وَيَتَدَارَكُنَا بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ .

وَيُرَوَى أَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ لِمَلِكِ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَوْتِ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ أَخْرَجْنِي يَوْمًا  
أَسْتَعْتَبُ فِيهِ وَأَتُوبُ إِلَى رَبِّي وَأَعْمَلُ صَالِحًا فَيَقُولُ لَهُ فَنَيْتِ الْأَيَّامَ فَلَا يَوْمَ فَيَقُولُ  
أَخْرَجْنِي سَاعَةً فَيَقُولُ فَنَيْتِ السَّاعَاتُ فَلَا سَاعَةَ .

فَتَبْلُغُ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ فَيُؤَخَذُ بِكَضْمِهِ عِنْدَ الْعَرْغَرَةِ فَيُعَلِّقُ بَابَ التَّوْبَةِ  
دُونَهُ ، وَيُحَجِّبُ عَنْهَا وَتَنْقَطِعُ الْأَعْمَالُ وَتُطْوَى الصُّحُفُ وَتَبْتُمُّ الْأَوْقَاتُ وَيَبْقَى  
عَدَدُ الْأَنْفَاسِ يَشْهَدُ فِيهَا الْمُعَايِنَةَ عِنْدَ كَشْفِ الْغِطَاءِ .

وَشِعْوُهُ جَمَاعَاتُ تَطُوفُ بِهِ تُعْشِي الْعُيُونَ بِمَرَّآهَا وَكَثْرَتِهَا

مِنْ بَيْنِ بَاكِ يَكْفُفُ فَيُضِرُّ دَمْعَتَهُ  
 حَتَّى أَتُوا حُفْرًا إِزَاءَ بَلَدِ تِهِمْ  
 وَمَا دَرَوْا هَلْ تَلَقَّتْهُ بِنَفْحَتِهَا  
 ثُمَّ انْتَنَوْا نَحْوَ أَمْوَالٍ قَدْ أَحْرَزَهَا  
 وَذَاكُمْ الْبَائِسُ الْمَعْرُورُ مَا دَفَعَتْ  
 لَكِنْ تَحْمَلُ مِنْهَا كُلَّ فَادِحَةٍ  
 وَمَا بَكَتُهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حِينَ مَضَى  
 وَبَيْنَ صَارِخَةٍ تُفْرِعُ بَصْرِخَتِهَا  
 فَغَادَرُوهُ بِهَا رَهْنًا لِيُوحِشَتِهَا  
 دَارُ الْمَقَامَةِ أَوْ نَارُ بِلْفَحَتِهَا  
 لِلنَّائِبَاتِ فَحَازُوهَا بِجُمْلَتِهَا  
 عَنْهُ الْقَضَاءُ وَلَا أُسْتَشْفَى بِلَدَّتِهَا  
 مِنَ الْكِبَائِرِ لَا يَقْوَى لِعِدَّتِهَا  
 وَلَا الرِّيَاضُ نَضَّتْ أَثْوَابَ زَهْرَتِهَا

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفِرَاقِ  
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالرِّزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْل )

وقال رحمه الله تعالى :

وَاَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ فِي قِصَرِ الْأَمَلِ وَطُولِهِ مُخْتَلِفُونَ فِي دَرَجَاتِهِ مُتَفَاوِتُونَ ،  
 فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ أَقْصَى مَا يَعِيشُهُ إِنْسَانٌ مِمَّنْ شَاهَدَ أَوْ سَمِعَ بِهِ فِي  
 زَمَانِهِ .

وَلَوْ كَانَ الْإِخْتِيَارُ إِلَيْهِ لَمَا مَاتَ أَبَدًا حُبًّا مِنْهُ لِلدُّنْيَا وَكَلَفًا بِهَا وَتَلَذُّدًا بِالْبَقَاءِ  
 فِيهَا وَهِيئَاتٍ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى وَلَا يُدْرِكُ كُلَّ مَا فِيهِ تَعَنَّى .

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفُنُ

وَغَايَةُ هَذَا أَنْ يَتَمَنَّى طَوْلَ الْعُمَرِ وَيُودُّ لَوْ يَبْقَى الْأَحْقَابَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الدَّهْرِ .

قال الله جل وعلا في قوم كانوا كذلك : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرَ الْفِ  
سنة ﴾ .

ويمكن أن يكون هؤلاء تمنوا لأنهم لم يتحقق في الآخرة لهم رجاء لكفرهم  
بمحمد ﷺ وتكذيبهم له مع صحة نبوته عندهم لكن حملهم بغيهم وحسد  
له على الكفر به والانكار لدعوته وهذه الآية نزلت في اليهود .

ومنهم من يؤمل أن يعيش ستين سنة وسبعين وأكثر من ذلك ومن الناس من  
لا يجاوز أمله يومه وربما كان أمله أقصر من ذلك .

بل منهم من يكون الموت نصب عينيه يتوقعه مع الأنفاس أن يثب عليه .  
كان بعض الصالحين يقول ما أحسبني إلا رجلا قد أقعد ليقتل وجرد السيف  
عليه ومدت عنقه فهو ينتظر أن يضرب فيلقى رأسه بين يديه .  
وأنشد بعضهم :

وَأَلْبَسَ لِهَذَا الْمَوْتِ جُبَّةَ خَائِفٍ      قَدْ ضَاقَ عَنْهُ مَسَلْكَ وَمَقَامُ  
لَا تَأْمَنُنَّ عَلَيْكَ مِنْ إِقْدَامِهِ      فَلُهُ عَلَى هَذَا الْوَرَى إِقْدَامُ  
وَإِكْحُلْ جُفُونِكَ بِالرُّقَادِ لِأَجْلِهِ      فَالْسُّهْدِ جِلِّ وَالْمَنَامِ حَرَامُ  
إِلَّا غِرَاراً كَالْغِدَاءِ تَنَالُهُ      لَوْلَا الضَّرُورَةُ مَا وَجِدْتَ تَنَامُ  
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَاهُ نَائِماً      مَنْ طَالِبُوهُ سَاهِرُونَ يَنَامُ

وقال وآخر : قد مدد في عمره وطول في أمله فازداد في كسبه ودخل الوهن في  
عمله .

ورجل آخر قد جعل التوفى بضاعته ، والعبادة صناعته ، ولم يتجاوز بأمله  
ساعته بل جعل الموت نصب عينيه ومثالا قائما بين يديه وسيفاً مصلتا عليه .

فهو مرتقب له مستعد لنزوله لا يشغله عن إرتقابه شاغل ، ولا يصرفه عن  
الاستعداد له صارف قد ملأ قلبه خوفاً ووجلاً وعمره عملاً ، وعد يوماً يعيشه  
بقاءً ومهلاً وغنيمةً تملأ نفسه سروراً وفرحاً وجدلاً .

لإزدياده فيه من الخيرِ وأدخاره فيه من الأجرِ واكتسابه عند الله عز وجل من جميل الذكر ، ومثل هذا قد وفقه الله ، فرفع التوفيق عليه لواءه ، وألبسه رداءه ، وأعطاه جماله .

فانظر رحمك الله أي الرجلين تريد أن تكون وأي العاملين تريد أن تعمل ، وبأي الرذائل تريد أن تشتمل ، وبأيهما تريد أن تتزين وتتجمل .

فلست تلبس هناك إلا ما لبست هنا ولا تحشر هناك إلا فيما كنت فيه هنا إن صلاح فصلاح ، وإن فجور فجور .

ولعل هذا تأويل الخبر المروي عن النبي ﷺ أنه قال : « يبعث الميت في ثيابه التي مات فيها » لأنه قد صح أن الناس يبعثون حفاة عراة غرلاً فتفكر في هذا المشهد العظيم ، واليوم العقيم ، يوم يجمع فيه كل الخلق ، قال الله جل وعلا : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ وقال النبي ﷺ : « يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر » .

فتفكر يا أخي في أي أرض تسعهم ، وأي مكان يحملهم ، فكيف ويجمع الوحوش النافرة والهوام الشاردة ، وكيف يحشرون من بين محمول قد مد ظلال الرحمة عليه ، وجمعت الأمانى بين يديه .

وقسم آخر يحشرون على وجوههم قال الله عز من قائل : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غمياً وبكماً وضماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ .

يحشر الخلائق على أرض بيضاء قاع صنفيف مستوية قال تعالى :



﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيدرها قاعا صافصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ » أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ لَا جَبَلٌ فِيهَا وَلَا أَكْمَةٌ وَلَا رَبْوَةٌ وَلَا وَهْدَةٌ أَرْضٌ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٌ .

قال الله جل وَعلا : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

فَتَفَكَّرْ يَا أَحْيَى مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْعَظِيمِ ، وَهَذَا الْهَوْلِ الْأَشْنَعِ وَالْحَطْبِ الْأَفْدَحِ ، الْأَقْطَعِ الْأَبْشَعِ .

وَفَكَّرْ فِيمَنْ يَحْضُرُهُ وَيَشْهَدُهُ وَيُعَانِيهِ وَيُبْصِرُهُ ، وَكَيْفَ يَقُومُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَيَشْخَصُونَ بِأَبْصَارِهِمْ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ وَأَنْتَ مَعَهُمْ فِي ضَيْقِ مَقَامٍ ، وَطُولِ قِيَامٍ قَدْ جُمِعُوا .

وقد أُنشِقَتِ السَّمَاءُ فَوْقَهُمْ ، وَطَاشَتِ الْأَبْجَابُ ، وَذَهَلَتِ الْأَوْهَامُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ ، وَتَلَجَلَجَتِ الْأَلْسُنُ ، فَلَمْ يَدْرِ قَائِلٌ مَا يَقُولُ .

قال الله جل جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ .

فَيَالَهُ مِنْ هَوْلٍ تَنْهَدُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فَكَيْفَ الرِّجَالُ ، وَيَالَهُ مِنْ حَطْبٍ تَنْشَقُّ

منه السماء ، فكيف الأحشاء ، ففكر يا أخي فيما يشق سمعك من ذلك ،  
وما يخلع قلبك من الروع .

وكيف بك إذا رأيت الشمس مَكْوَرَةً فَذَهَبَ ضَوْوُهَا ، والنجوم قد  
طُمِسَتْ فَمَحَى نُورُهَا ، وَزَالَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، واشتبك الناس بعضهم في  
بعض ، وصاروا كالفراش المَبْثُوث ، وكانت الجبال كالعين المنفوش ،  
وقامت الملائكة على أرجاء السماء ، وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء .

والناس حفاة عراة غرلاً كما خلِقُوا ، قال الله جل وعلا : ﴿ ولقد جئنا  
فراذى كما خلقناكم أول مرة ﴾ .

فيا له من يوم يختلط فيه الرجال والنساء ، وقد آمنوا أن ينظر بعضهم إلى  
بعض .

وفي مسلم من حديث عائشة رضی الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة الأمر أشد من أن  
ينظر بعضهم إلى بعض .

فيا لك من هول ما أعظمه ، ومن كرب ما أشده ، ومن خطب ما أبشعه  
فياك أن تستبطن هذا اليوم أو تستبعده ، فما سيرك إليه يبطيء ، وما هو  
منك يبعيد ، وإن طال المدى وامتدت الغاية فكل ما هو آت قريب .

قال الله جل وعلا : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار  
يتعارفون بينهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا  
ساعة من نهار ﴾ وقال تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو  
ضحاهاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو

بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿١١﴾ إِذْ يَقُولُ أَغْلِبْتُمْ طَرِيقَةَ إِنْ لَيْسَتْ لِي إِلَّا يَوْمًا ﴿١٢﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴿١٤﴾ .

شِعْرًا :

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُدْعُرُ	بَيْنَ يَدَيْكَ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ
وَإِنَّمَا أَنْتَ كَمَحْبُوسَةٍ	حُمَّ رَدَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَالْمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ	لَوْ أَنَّهُ مِنْ عَمِّهِ يُبْصِرُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ	وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُرُ
وَكُلَّمَا تُزَجَّرُ عَنْ مَطْلَبٍ	كَانَتْ بِهِ أَكْلَفَ إِذْ تُزَجَّرُ
وَإِنَّمَا تَقْصُرُ مَعْلُوبَةٌ	كالماءِ عَنْ عُصْرِهِ يَقْصُرُ
وَرُبَّمَا أَلْقَتْ مَعَادِيرَهَا	لَوْ أَنَّهَا وَيَحَهَا تُعْذَرُ
وَنَاطِرُ الْمَوْتِ لَهَا نَاطِرٌ	لَوْ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِذْ يَنْظُرُ
وَزَائِرُ الْمَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ	يُبْصِرُهَا الْأَكْمَةُ وَالْمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ الْمَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ	مَا مِثْلُهَا مِنْ رَوْعَةٍ تَسْكِرُ
وَبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مَنْزِلٌ	يَنْزِلُهُ الْأَعْظَمُ وَالْأَحْقَرُ
يُتْرِكُ ذُو الْفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ	وَصَاحِبُ الْكِبَرِ بِهِ يَصْغُرُ
قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ	نَكِيرُهَا الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ
وَبَعْدَ مَا بَعْدَ وَأَعْظَمُ بِهِ	مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَدْرُهُ يُقْدَرُ
يُرْجَفُ مِنْهُ الْوَرَى رَجْفَةً	يَنْهَدُ مِنْهَا الْمَلَأُ الْأَكْبَرُ
وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مُسْتَوْفِيًا	كُلِّ الَّذِي مِنْ وَصْفِهِ يُذْكَرُ
وَإِنَّمَا ذَا قَطْرَةَ أَرْسَلَتْ	مِنْ أَبْحَرٍ تَتَّبِعُهَا أَبْحُرُ
وَقَدْ أَتَاكَ الثَّبْتُ عَنْهُ بِمَا	أَخْبَرَكَ الصَّادِقُ إِذْ يُخْبِرُ
فَاعْمَلْ لَهُ وَيَكْ وَإِلَّا فَلَا	عُذْرَ وَمَا مِثْلَكَ مَنْ يُعْذَرُ

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَأَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِسُلُوْكَ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

## ( فَضْل )

قال أحد العلماء أعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلته فكبرهم فيه ، وقلته ذكرهم له ، والذي يذكره ليس يذكر بقلب فارغ بل بقلب مشغول بالدنيا وشهواتها ولا يفيد ذكر الموت في اللسان فقط .

فالطريق النافع بإذن الله أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الله وما والاه وذكر الموت الذي هو بين يديه قال جل وعلا : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

فاذا أردت أن يؤثر فيك ذكر الموت فاجعل نفسك كالذي يريد أن يسافر إلى محل خطير أو إلى مفازة مخطرة أو كالذي يريد أن يركب في البحر أو في أي مركب من المراكب الخطرة فإنه لا يتفكر إلا فيه .

فاذا باشر ذكر الموت قلبك فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحك وسرورك وينكسر قلبك ويضعف اهتمامك بالدنيا وشؤونها ويقوى اهتمامك للآخرة .

وأنجح الطرق لذلك بإذن الله تعالى أن تتذكر أقرانك في السن الذين

قَصَمَهُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُشْتَتِ الشَّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ فَتَذَكَّرُ مَوْتَهُمْ  
 وَمَصَارِعَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ ، وَتَذَكَّرُ صُورَهُمْ وَمَنَاصِبَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ ،  
 وَأَزْوَاجَهُمْ ، وَأَوْلَادَهُمْ ، وَمَسَاكِنَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَتَفَكَّرُ وَتَأْمَلُ كَيْفَ مَحَا  
 التُّرَابِ أَجْسَامَهُمْ وَحُسْنَ صُورِهِمْ وَكَيْفَ تَبَدَّدَتْ أَجْزَاؤُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَكَيْفَ  
 أَرْمَلُوا نِسَاءَهُمْ وَأَيْتَمُوا أَوْلَادَهُمْ وَضَيَّعُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي قَاسُوا عَلَى جَمْعِهَا  
 الشَّدَائِدَ وَالْمَشَقَّاتِ وَتَنَعَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ مِمَّنْ جَاءَتْهُمْ عَفْوَاً بِلَا تَعَبٍ وَالْحِسَابُ  
 وَالتَّبَعَاتُ عَلَى الْمَسْكِينِ الَّذِي ضَيَّعَ نَفْسَهُ وَصَارَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلْمُ وَفِرَاً لِيَوَارِثِهِ وَيُدْفَعُ عَنْ جِمَاهُ  
 كَكَلْبِ الصَّيِّدِ يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيَسْتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

وَتَتَفَكَّرُ كَيْفَ خَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَسَاجِدُ وَالْمَجَالِسُ وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ فَمَهْمَا  
 تَذَكَّرْتَ أَوْلَئِكَ الرُّمْلَاءَ وَالْأَسَاتِذَةَ وَالْمَشَايخَ وَالْأَقْرَابَ وَالْجِيرَانَ وَتَصَوَّرْتَ حَالَهُ  
 وَمَوْتَهُ وَتَفَرَّقَهُمْ وَتَذَكَّرْتَ نَشَاطَهُمْ ، وَتَرَدَّدَهُمْ ، وَأَمَلَهُمْ فِي الْبَقَا لِلْعَيْشِ  
 وَنِسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ لِلنَّفْسِ وَإِبْلِيسَ وَالْهَوَى وَالذُّنْيَا وَرُكُونِهِمْ إِلَى  
 الْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ وَنِسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ بِمَوَاتَاتِ الْأَسْبَابِ ، وَمِيلِهِمْ إِلَى  
 الضَّحِكِ وَاللَّهْوِ ، وَغَفْلَتِهِمْ عَمَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ الْعَظِيمِ وَالْهَلَاكِ السَّرِيعِ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَرَدَّدُونَ ، وَالْآنَ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَجْسَادُهُمْ وَتَفَرَّقَتْ  
 أَوْصَالُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَيَمْرَحُونَ ، وَالْآنَ أَكَلَ الدُّوْدُ اللِّسَانَ  
 وَتَفَرَّقَتْ فِي الْقَبْرِ الْمَفَاصِلُ وَالْأَسْتَانَ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَكْفِي لِعِدَّةِ سِنِينَ فِي وَقْتٍ  
 لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ ، وَهَمَّ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 جَاءَهُمُ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ مَا أَحْتَسِبُوا لَهُ وَانْكَشَفَ لَهُمْ صُورَةُ الْمَلِكِ وَقَرَعَ  
 أَسْمَاعَهُمُ النَّدَاءَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْظُرُ فِي نَفْسِهِ وَأَنَّهُ مِثْلَهُمْ وَغَفَلْتَهُمْ كَغَفَلْتَهُمْ وَسَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ  
كَعَاقِبَتِهِمْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْتَى فَعَدَّ نَفْسَكَ كَأَحَدِهِمْ .

قال ابن الجوزي عَجِبْتُ مِنْ عَاقِلٍ يَرَى اسْتِيْلَاءَ الْمَوْتِ عَلَى أَقْرَانِهِ وَجِيرَانِهِ  
كَيْفَ يَطِيبُ عَيْشَهُ خُصُوصاً إِذَا عَلَتْ سَنَّهُ .

وَاعْجَباً لِمَنْ يَرَى الْأَفَاعِي تَدْبُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَنْزَعُجُ أَمَا يَرَى الشَّيْخُ دَيْبَ  
الْمَوْتِ فِي أَعْضَائِهِ ثُمَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ النَاقِصَ .

ففي نظر العاقل إلى نفسه ما يُشغله عن النظر إلى خراب الدنيا وفراق  
الإخوان وإن كان ذلك مُزِعِجاً .

وَلَكِنْ شُغْلٌ مِنْ احْتِرَاقِ بَيْتِهِ بِنَقْلِ مَتَاعِهِ يُلْهِمُهُ عَنْ ذِكْرِ بُيُوتِ الْجِيرَانِ  
انتهى اه .

فَمَلَازِمَةٌ هَذِهِ الْأَفْكَارُ وَأَمْثَالُهَا مَعَ دُخُولِ الْمَقَابِرِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ  
وَالْمُصْتَوَصِّفَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى هُوَ الَّذِي يُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي الْقَلْبِ حَتَّى  
يَعْتَادُهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَصِيرُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ  
وَيَتَجَافَى عَنِ دَارِ الْعُرُورِ .

وَالْأَفْكَارُ فَالذِّكْرُ بِاللِّسَانِ فَقَطُّ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ وَالْجَدْوَى فِي التَّحْذِيرِ وَالتَّنْبِيهِ  
وَمَهْمَا طَابَ قَلْبُكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَالٍ أَوْ وِلْدٍ أَوْ عِمَارَةٍ أَوْ فُلَّةٍ أَوْ قَصْرِ أَوْ  
بُسْتَانٍ .

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ فِي الْحَالِ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ فِرَاقٌ لَا يُشْبِهُهُ فِرَاقٌ .

نَظَرَ ابْنُ مُطِيعٍ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى دَارِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا ثُمَّ بَكَى وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ لَا  
الْمَوْتُ لَكُنْتُ بِكَ مَسْرُوراً وَلَوْ لَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقُبُورِ لَفَرَّتْ بِالدُّنْيَا  
أَعْيُنُنَا ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ .

عَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ عَلِيلاً فَوَافَقَهُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَرَأَى تَقَلُّبَهُ وَشِدَّةَ مَا نَزَلَ بِهِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى دَارِهِ قَدَّمُوا لَهُ طَعَاماً فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِطَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ فَإِنِّي رَأَيْتُ مَصْرَعاً لَا بُدَّ لِي مِنْهُ وَلَا أَرَأَى أَعْمَلَ حَتَّى أَلْقَاهُ .

وَكَانَ يَقُولُ إِيَّاكَ وَالْأَعْتَرَارَ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْتِكَ مِنَ اللَّهِ أَمَانٌ وَإِنَّ الْهَوَلَ الْأَعْظَمَ وَالْأَمْرَ الْأَكْبَرَ أَمَامَكَ وَإِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَوَسَّدَ فِي قَبْرِكَ مَا قَدَّمْتَ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ .

فَاغْتَنِمِ الْمُبَادَرَةَ فِي الْمُهَلِّ وَإِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِالْعَمَلِ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ فَأَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ إِنْ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفاً وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَلَا يُمْسِي إِلَّا خَائِفاً وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٌ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ وَأَجَلٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ مُبْتَلِيهِ فِيهِ .

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا فَكَّرَ وَاعْتَبَرَ وَاسْتَبَصَرَ فَأَبْصَرَ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ابْنَ آدَمَ إِنْ اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَأَعَانَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَجْعَلْ عُذْرًا فِي تَرْكِهَا وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَأَغْنَى عَنْهَا وَلَمْ يُوسِّعْ لِأَحَدٍ فِي رُكُوبِهَا .

وَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآدَمَ أَنْتَ الْيَوْمَ عَدْلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ فَمَنْ رَجَحَ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى تَعْلَمَ أَنِّي لَا أَعْدُبُ إِلَّا ظَالِمًا .

وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ لَا يُعْرَثُكَ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ السَّبَاعِ الْعَادِيَةِ إِيَّاكَ وَحَلِيلَتِكَ ، وَخَادِمِكَ ، وَكَلَالَتِكَ ، أَمَّا ابْنُكَ فَمِثْلُ الْأَسَدِ يُنَارِعُكَ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَمَّا حَلِيلَتُكَ فَمِثْلُ الْكَلْبَةِ فِي الْهَرِيرِ وَالْبَصْبِصَةِ ، وَأَمَّا خَادِمُكَ فَمِثْلُ الثَّعْلَبِ فِي الْحَيْلَةِ وَالسَّرِقَةِ ، وَأَمَّا كَلَالَتُكَ فَوَاللَّهِ لِدَرَاهِمٍ يَصِلُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ لَوْ كُنْتَ أَعْتَقْتَ رَقَبَةً .

فَيَاكَ أَنْ تُوقِرَ ظَهْرَكَ بِصَلَاحِهِمْ ، فَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُمْ أَيَّامُكَ الْقَلِيلُ وَإِذَا  
وَضَعُوكَ فِي قَبْرِكَ انصَرَفُوا عَنْكَ ، فَصَفَرُوا بَعْدَكَ الثِّيَابَ ، وَضَرَبُوا الدُّفُوفَ ،  
وَضَحِكُوا الْقَهْقَةَ ، وَأَنْتَ تُحَاسِبُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَقَدِمَ لِنَفْسِكَ أَيُّ تَزْوَدَ مِنْ  
الْحَيْرِ .

شِعْرًا :

فَعُقِبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتِ  
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَعُ فِي الْبَيْنِ وَفِي الْبَنَاتِ  
وَفِي مَنْ لَمْ تُوهَلِّهِمْ بِفَلْسٍ وَفِي مَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ  
وَتَنَسَانَا الْأَجْبَةَ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَاتِ  
كَأَنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بُودٌ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتِ

وقال رحمه الله تعالى لَمَّا أَهْبَطَ آدَمَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَرْبَعُ فَيَنْ جَمَاعِ الْأَمْرِ  
لَكَ وَلِوَلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

أَمَّا وَاحِدَةٌ فَلِي

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلَكَ .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَبَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ .

أَمَّا الَّتِي لِي فَتَعْبُدُنِي وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا .

وَأَمَّا الَّتِي لَكَ فَعَمَلُكَ أَجْرِيكَهُ أَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَعَلَيْكَ الدُّعَا وَعَلَيَّ الْإِجَابَةُ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ فَتَصَاحِبُهُمْ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ .

أَرْبَعُ مَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ اجْتَمَعَ لَهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ



امرأة صالحة عفيفة ، وصديق موافق على طاعة الله ، ومال من حلال واسع يُنْفِقُه في مَراضِي الله ، وعَمَلٌ صَالِحٌ .

أوصى رسول الله ﷺ رجلاً فقال هيء جَهَازَكَ ، وَقَدِّمِ زَادَكَ ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ لَا خَلْفَ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا عِوَضَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَه .

من كل شيء إذا ضيَعْتَهُ عَوْضٌ وما من الله إن ضيَعْتَهُ عَوْضٌ

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يُوصِيهِ عَلَيْكَ بِذِكْرِ المَوْتِ فَإِنَّهُ يَشْعَلُكَ عَمَّا سِوَاهُ وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الدَّعَاءِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ وَأَكْثَرُ مِنَ الشُّكْرِ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ .  
شِعْرًا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكْرَاتِ  
وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَاسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي  
إِلَى مَنْزَلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ  
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَأَلَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا  
وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسُرُّهُ  
وَمِنْ عَائِرٍ مَا أَنْ يُقَالَ لَهُ لَعَا  
وَمِنْ مَلِكٍ كَانَ السُّرُورُ مِهَادُهُ  
غَدَا لَا يَذُودُ الدُّودَ عَنْ حُرُوجِهِ  
وَعَوْضَ أَنْسَاءٍ مِنْ ضِبَاءِ كِنَاسِهِ  
وَصَارَ بَيْطُنَ الْأَرْضِ يَلْتَحِفُ الثَّرَى  
وَلَمْ تُغْنِهِ أَنْصَارُهُ وَجُودُهُ  
وَمِمَّا شَجَانِي وَالشُّجُونُ كَثِيرَةٌ  
وَأَقْلَقْنِي أَنِّي أُمُوتُ مُفْرَطًا  
تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللِّهَوَاتِ  
وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي  
وَكَمَ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ  
وَمِنْ أَوْجِهِ فِي التُّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ  
وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسِرَاتِ  
عَلَى مَا عَهَدْنَا قَبْلَ فِي الْعَثَرَاتِ  
مَعَ الْأَنْسَابِ الْخُرْدِ الْخَفِرَاتِ  
وَكَانَ يَذُودُ الْأَسَدَ فِي الْأَجْمَاتِ  
وَأَرَامِهِ بِالرُّقْشِ وَالْحَشِرَاتِ  
وَكَانَ يَجُرُّ الْوَشَى وَالْحَبْرَاتِ  
وَلَمْ تَحْمِهِ بِالْبَيْضِ وَالْأَسْلَاتِ  
ذُنُوبٌ عِظَامٌ أُسْبَلَتْ عِبْرَاتِ  
عَلَى أَنَّنِي خَلَفْتُ بَعْدَ لِذَاتِي

وَاعْفَلْتُ أَمْرِي بَعْدَهُمْ مُسْتَبْطَأً  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا  
وَيَا رَبِّ خَلُّ كُنْتُ ذَاصِلَةً لَهُ  
وَكَنْتُ لَهُ أَنْسًا وَشَمْسًا مُنِيرَةً  
سَأَضْرِبُ فُسْطَاطِي عَلَى عَسْكَرِ الْبَلِي  
وَأَرْكَبُ ظَهْرًا لَا يُؤُوبُ بِرِكَبٍ  
وَلَيْسَ يُرَى إِلَّا بِسَاحَةِ ظَاعِنٍ  
يُسِيرُ أَذْنِي النَّاسِ سَيْرًا كَسِيرِهِ  
فَطَوْرًا تَرَاهُ يَحْمِلُ الشَّمَّ وَالرُّبَا  
وَرُبَّ حَصَاةٍ قَدَرَهَا فَوْقَ يَدْبَلٍ  
وَكُلُّ صَغِيرٍ كَانَ لِلَّهِ خَالِصًا  
وَكُلُّ كَبِيرٍ لَا يَكُونُ لَوَجْهِهِ  
وَلَكِنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ مُحْسِنًا  
وَمَا الْيَوْمُ يَمْتَأَزُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ  
إِذَا رُوِيَ الْحَاطِي وَطَارَ فَوَادُهُ  
وَمَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ  
فِيَا إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِي  
وَجُدُّوا ابْتِهَالًا فِي الدُّعَاءِ وَاخْلِصُوا  
وَقُولُوا جَمِيلًا إِنْ عَلِمْتُمْ خِلَافَهُ  
وَلَا تَصِفُونِي بِالذِّئْبِ أَنَا أَهْلُهُ  
وَلَا تَتَنَاسَوْنِي فَقَدِمًا ذَكَرْتَكُمْ  
وَبِالرَّغْمِ فَارَقْتُ الْأَحِبَّةَ مِنْكُمْ  
وَإِنْ كُنْتُ مَيِّتًا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ لَقَاءً

فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْ غَفَلَاتِي  
تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ  
يَرَى أَنَّ ذَنْبِي مِنْ أَجْلِ صَلَاتِي  
فَأَفْرَدَنِي فِي وَحْشَةِ الظُّلُمَاتِ  
وَأَرْكُزُ فِيهِ لِلنُّزُلِ قَنَاتِي  
وَلَا يُمْتَطَى إِلَّا إِلَى الْهَلَكَاتِ  
إِلَى مَضْرَعِ الْفَرَاحَاتِ وَالتَّرَحَاتِ  
بِارْفَعِ مَنْعِي مِنَ السَّرَوَاتِ  
وَطَوْرًا تَرَاهُ يَحْمِلُ الْحَصِيَّاتِ  
كَمَقْبُولٍ مَا يُرْمَى مِنَ الْجَمَرَاتِ  
يُرَبِّي عَلَى مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَاتِ  
فَمَثَلُ رَمَادٍ طَارَ فِي الْهَبَّاتِ  
وَيُخْشَى عَلَى مَنْ مَاتَ فِي غَمَرَاتِ  
وَلَكِنْ غَدًا يَمْتَأَزُ فِي الدَّرَجَاتِ  
وَأَفْرَحُ رَوْعُ الْبَرِّ فِي الْغُرَفَاتِ  
أَفِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِفَلَاةٍ  
فَقُومُوا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجَاتِي  
لَعَلَّ إِلَهِي يَقْبَلُ الدَّعَوَاتِ  
وَاعْضُوا عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ هَفَوَاتِي  
فَأَشْقَى وَحَلُونِي بِخَيْرِ صِفَاتِي  
وَوَاصِلَتُكُمْ بِالْبَرِّ طُولَ حَيَاتِي  
وَلَمَّا تُفَارِقُنِي بِكُمْ زَفَرَاتِي  
فَرُوحِي حَيٌّ سَامِعٌ لِنُعَاتِي

أَنَا جِئَكُمْ حَيًّا وَإِنْ كُنْتُ صَامِتًا  
وَلَيْسَ يَقُومُ الْجِسْمُ إِلَّا بِرُوحِهِ  
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَحُورَ بَعِينِهِ  
وَالْأَكْنُ أَهْلًا لِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ  
فَمَا زِلْتُ أَرْجُو عَفْوَهُ وَجَنَانَهُ  
وَأَسْجُدُ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَذَلُّلاً  
وَلَسْتُ بِمُتَمِّنٍ عَلَيْهِ بِطَاعَتِي لَهُ  
فِي الْمُنِّ فِي التَّيْسِيرِ لِلْحَسَنَاتِ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلِ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،  
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

## فصل

وقال رحمه الله ثم لا تغفل عن الميزانِ وتطائرِ الكُتُبِ إلى الأيمانِ  
والشمائلِ ، فإنَّ الناسَ بعدَ السؤالِ ثلاثُ فِرَقٍ فِرْقَةٌ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَةٌ .

فِيخْرَجُ مِنَ النَّارِ عَتَقٌ أَسْوَدٌ يَلْتَقِطُهُمْ لَقَطَ الطَّيْرِ الْحَبِّ وَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ  
وَيُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ فَتَبْتَلُهُمُ النَّارُ وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ شَقَاوَةٌ لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا .

وَقِسْمٌ آخَرٌ لَيْسَ لَهُمْ سَيِّئَةٌ فَيُنَادِي مُنَادٍ لِيُقِمِ الْحَمَّادُونَ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ  
حَالٍ ، فَيَقُومُونَ وَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ .

ثُمَّ يُفْعَلُ ذَلِكَ بِأَهْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ ثُمَّ يَمَنْ لَمْ تُشْغَلْهُ تِجَارَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَبْعُثُهَا عَنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ سَعَادَةٌ لَا شَقَاوَةَ بَعْدَهَا .

وَيَبْقَى قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَقَدْ  
يَخْفَى عَلَيْهِمْ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ أَنَّ الْغَالِبَ حَسَنَاتُهُمْ أَوْ سَيِّئَاتُهُمْ .

وَلَكِنْ يَا بَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُعْرَفَهُمْ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ فَضْلَهُ عِنْدَ الْعَفْوِ وَعَدْلَهُ عِنْدَ  
الْعِقَابِ فَتَطَايَرُ الصَّحِيفُ وَالْكُتُبُ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ  
وَيُنْصَبُ الْمِيزَانُ وَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ إِلَى الْكُتُبِ أَتَقَعَ فِي الْيَمِينِ أَوْ فِي  
الشَّمَالِ .

نُمُّ إِلَى الْمِيزَانِ أَيْمِيلُ إِلَى جَانِبِ السَّيِّئَاتِ أَوْ إِلَى جَانِبِ الْحَسَنَاتِ وَهَذِهِ  
حَالَةٌ تَطْيِشُ فِيهَا عُقُولُ الْخَلَائِقِ انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَبْكِيكَ قُلْتُ ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَتْ فَهَلْ تَذَكُرُونَ  
أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا عِنْدَ  
الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَحْفَ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصَّحِيفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ  
يَقَعُ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ .

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَل  
وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ قَالَ يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابَهُ  
بِیَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ  
مِنْ لَوْلُو يَتَلَأَأُ .

فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيَرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي  
هَذَا فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِثْلَ هَذَا .

قَالَ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْوَدُ وَيُمَدُّ فِي جَسَدِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا عَلَى صُورَةِ آدَمَ  
فَيَلْبَسُ تَاجَ مِنْ نَارٍ فَيَرَى أَصْحَابَهُ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا اللَّهِمَّ لَا تَأْتِنَا  
بِهِ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ أَخْرَهُ فَيَقُولُ أْبَعَدَكُمْ اللَّهُ فَإِنْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا .

شِعْرًا :

أَمُدُّ يَمِينِكَ مِنْ دُنْيَاكَ آخِذَةً      كِتَابَ فَوْزِكَ إِذْ تَحْتَلُّ أَحْرَاكَ  
فَلَسْتُ تُذْرِكُ مَا فِي ذَاكَ مِنْ أَمَلٍ      إِلَّا بِوَاسِطَةٍ مِنْ دَارِ دُنْيَاكَ  
فَإِنْ تَكَاسَلْتَ أَوْ قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ      كُنْتُ الْمُحَيِّبَ وَالْمَطْلُوبَ إِذْ ذَاكَ  
يَا نَائِمَ الْقَلْبِ عَنْ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ      نَبْهَهُ وَيَحْكُ إِنَّ الْأَمْرَ حَاذَاكَ  
وَاشْدُدْ حُزْمَكَ وَاكْشِفْ سَاعِدَيْكَ لَهُ      فَرَبَّمَا حُمِدْتُ بِالْجِدِّ عُقْبَاكَ  
كَمْ رَابِحٍ بِكِتَابٍ كَانَ أَمْلَاهُ      هَنَا بِمَا شَاءَ لَا مَنْ كَانَ أَفَّاكَ  
فَطَلَّ مُرْتَقِيًا أَدْرَاجَ مَكْرَمَةٍ      فِي عَدْنٍ أَوْ نَازِلًا فِي النَّارِ أَدْرَاكَ  
وطلَّعة الموتِ تُبْدي عن حَقِيقَةٍ مَا      تُمْلِي فَيَاكَ أَنْ تَنْسَاهُ إِيَّاكَ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَافِيهِ  
صَلَاحِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

## فَصْلٌ

ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُجَاءُ  
بَابِنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَخٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَعْطَيْتَكَ وَخَوَّلْتَكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَاذَا صَنَعْتَ فَيَقُولُ جَمَعْتُهُ  
وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ فَيَقُولُ

يَا رَبِّ جَمَعْتَهُ وَثَمَرْتَهُ وَتَرَكْتَهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ  
خَيْرًا فَيَمُضَى بِهِ إِلَى النَّارِ .

فَتَفَكَّرْ يَا مَسْكِينٍ فِي نَفْسِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَحْكُمُ فِي مَالِكَ  
وَلَا لَكَ مُعَارِضٌ وَتَنْصَرِفُ فِيهِ كَيْفَ شِئْتَ وَاجْعَلْ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ نَصَبَ  
عَيْنِكَ بَيْنَ مَا أَنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي قَدْ اِمْتَلَكْتَ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْخَوْفِ  
وَالْقَلَقِ وَالرُّعْبِ وَالذُّعْرِ وَالانْرِعَاجِ وَقَدْ بَلَّغْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرِ .

قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾  
فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي حُدِثَتْ عَنْهَا إِذْ جِيءَ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ  
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُنَهَا حَتَّى تَكُونَ بِمَرَأَى مِنَ الْخَلْقِ  
وَمَسْمَعٍ يَرُونَ لَهَيْبَهَا وَيَسْمَعُونَ زَفِيرَهَا فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي تِلْكَ الْحَالِ إِذَا أُخِذَ  
بِضَبْعِكَ وَقُبِضَ عَلَى عَضُدَيْكَ وَجِيءَ بِكَ تَنَحَّطَى الرَّقَابَ وَتَحْتَرِقُ الصُّفُوفُ  
وَالْخَلَائِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسُئِلْتَ عَنِ الْقَلِيلِ  
وَالكَثِيرِ وَالدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْقَطْمِيرِ وَالتَّقْيِيرِ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يُجَابِبُ عَنْكَ بِلَفْظَةٍ  
وَلَا يُعِينُكَ بِكَلِمَةٍ وَلَا يُرَدُّ عَنْكَ جَوَابًا فِي مَسْأَلَةٍ .

وَأَنْتَ شَاهَدْتَ مِنْ عَظَمِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَهَيْبَةِ الْحَظَرَةِ مَا أَذْهَبَ  
بِيَانِكَ وَأَخْرَسَ لِسَانَكَ وَأَذْهَلَ جَنَانَكَ .

وَنَظَرْتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَلَمْ تَرَ إِلَّا النَّارَ وَعَمَلَكَ الَّذِي كُنْتَ  
تَعْمَلُ وَكَلِمَكَ رَبُّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالُهُ بِغَيْرِ حِجَابٍ يَحْجُبُكَ وَلَا تُرْجِمَانُ  
يُتْرَجِمُ لَكَ .

وَكَيفَ تَكُونُ حَيْرَتُكَ وَدَهْشَتُكَ إِذَا قِيلَ عَامَلْتَ فَلَانًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي  
كَذَا وَكَذَا وَغَبْتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَغَشَشْتَهُ فِي السِّلَعَةِ الْفُلَانِيَّةِ .

وَتَرَكْتَ نَصِيحَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَبَعْتَهُ السِّلْعَةَ الْمَعْيُوبَةَ وَلَمْ تُبَيِّنْ لَهُ الْعَيْبَ أَوْ  
عَصَبْتَ فُلَانًا أَوْ ظَلَمْتَ فُلَانًا أَوْ قَتَلْتَ فُلَانًا أَوْ أَعَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

وَقِيلَ مَا حُجَّتْكَ أَقَمَ بَيْنَةَ إِثْمٍ بِرُهَانٍ فَأَرَدْتَ الْكَلَامَ فَلَمْ تُبَيِّنْ وَجِئْتَ بِعُذْرٍ  
فَلَمْ يَسْتَبِينَ هِيهَاتَ أَنِّي لَكَ الْكَلَامَ وَلَمْ تُنْفِخْهُ وَأَنِّي لَكَ بِالْعُذْرِ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا لَمْ  
تُصَحِّحْهُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ  
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ الْآيَاتُ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ  
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ الْآيَتِينَ .

فَانظُرْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عِنْدَ السُّؤَالِ بِأَيِّ بَدَنِ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ  
تُجِيبُهُ فَاعِدِّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا فَمَا شِئْتَ مِنْ قَلْبٍ يُخْلَعُ وَمِنْ كَيْدٍ  
تُصَدِّعُ وَمِنْ لِسَانٍ يَتَلَجَّجُ وَمِنْ أَحْشَاءٍ تَتَمَوَّجُ وَمِنْ نَفْسٍ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ .

وَانظُرْ مَا أَشَامَ تِلْكَ الْأَرْبَاحُ الَّتِي رَبِحْتَهَا وَأَخْسَرَ تِلْكَ الْمَعَامَلَاتِ الَّتِي  
الْهَنَيْتَ عَنْهَا مَا خُلِقْتَ لَهُ انظُرْ كَيْفَ ذَهَبَتْ عَنْكَ مَسْرَاتُهَا وَبَقِيَتْ حَسْرَاتُهَا  
وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي فِي ظُلْمِ الْعِبَادِ انْفَذَتْهَا كَيْفَ ذَهَبَ عَنْكَ الْفَرْحُ بِهَا وَبَقِيَتْ  
التَّبَعَةُ .

وَانظُرْ هَلْ يَقْبَلُ مِنْكَ فِدَاً فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ وَمَا الَّذِي يَخْلُصُكَ مِنْ  
ذَلِكَ السُّؤَالِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ  
شَيْئًا ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ يَتَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ يُبْعَثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَلَا تُعْرَضَ قِبَائِحُهُمْ  
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تُكْشَفَ مَسَاوِيُهُمْ عَلَى رُؤْسِ الْخَلَائِقِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهَذَا  
الْمَقَامِ وَبِهَذَا السُّؤَالِ وَبِهَذَا التَّكَالِ وَالْوَبَالَ .

وما ظنك بنفسك وقد جيءَ بجهنم على الوصف الذي تقدم وقد دنت  
من الخلائق ، وشهقت وزفرت ، وثارت ، وفارت .

ونَهَضَ خُرَانُهَا ، وَالْمُوكَلُونَ بِهَا ، وَالْمُعْتَدُونَ لِتَعْذِيبِ أَهْلِهَا مُتَسَارِعِينَ  
إِلَى أَخْذِ مَنْ أَمَرُوا بِأَخْذِهِ ، سَاحِبِينَ لَهُ عَلَى بَطْنِهِ ، وَحَرَّوَجْهِهِ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ  
لِلَّهِ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرَ حَالِكَ ، وَكَيْفَ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ خَوْفًا وَرُعْبًا وَذُعْرًا وَفَزَعًا ،  
وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصَ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَاصْطَفَقَتِ الْأَحْشَاءُ ،  
وَتَقَطَّعَتِ الْأَمْعَاءُ ، وَطَلَبُوا الْفِرَارَ وَطَارُوا لَوْ يَحْصُلُ لَهُمْ مَطَارٌ .

وَجِثَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكْبِ وَأَيَّقَنَ الْمَذْنِبُونَ بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَسُوءِ  
الْمُنْقَلَبِ ، وَنَادَى الْأَنْبِيَاءُ ، وَالصَّادِقُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ نَفْسِي نَفْسِي .

كُلُّ نَفْسٍ قَدْ أَفْرَدَتْ لِشَأْنِهَا وَتُرِكَتْ لِمَا بِيهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :  
﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ  
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ وَظَنَّ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ هُوَ  
الْمَأْخُودُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ ، وَ الْمَطْلُوبُ ، وَذَهَلَتِ الْعُقُولُ ، وَطَاشَتِ  
الْأَلْبَابُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْأَذْهَانُ ، وَفَرَّ الْمَرْءُ مِنْ أَحْيِهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْتِهِ .

وَاشْتَعَلَ بِشَأْنِهِ الَّذِي يَهْمُهُ وَيَعْنِيهِ ، وَسُئِلَ عَنْ جَمِيعِ أَمْرِهِ سِرِّهِ وَجَهْرِهِ  
دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ كَثِيرَهُ وَقَلِيلَهُ ، وَسُئِلَ عَنْ أَعْضَائِهِ عَضْوًا وَعَضْوًا وَجَارِحَةً ، وَعَنْ  
شُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وَعَنْ أَذَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا .

وَظَهَرَتِ الْقَبَائِحُ وَكَثُرَتِ الْفَضَائِحُ ، وَبَدَّتِ الْمَخَازِي وَاشْتَهَرَتِ الْمَسَاوِي ،  
وَتَرَكَتْ الْأَهْلُ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، وَأَقْبَلَتْ تُجَادِلُ عَنْ  
نَفْسِكَ وَتَخَاصِمُ عَنْهَا وَتَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ لَهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ  
نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ .



وقد أُسْلِمَتْ وَأَفْرِدَتْ وَاشْتَعَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنكَ بِنَفْسِهِ قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الْآيَةَ .

وَأَنْشُدُوا :

حَلِيلِي مَا أَقْضَى وَمَا أَنَا قَائِلٌ إِذَا جِئْتُ عَنْ نَفْسِي بِنَفْسِي أَجَادِلُ  
 وَقَدْ وَضَعَ الرَّحْمَنُ فِي الْخَلْقِ عَدْلَهُ وَسَيَقُ جَمِيعُ النَّاسِ وَالْيَوْمُ بَاسِلُ  
 وَجِيءَ بِجُرْمِ النَّارِ خَاضِعَةً لَهُ وَثَلَّتْ عُرُوشُ عِنْدَهَا وَمَجَادِلُ  
 فَيَأْتِيَتْ شِعْرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ هَلْ أَنَا الْأَغْفَرُ أَمْ أُجْزَى بِمَا أَنَا فَاعِلُ  
 فَإِنَّ أَكَّ مَجْزِيًّا فَعَدْلٌ وَحُجَّةٌ وَإِنْ يَكُ غُفْرَانٌ فَفَضْلٌ وَنَائِلُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَحَبِّبْنَا مَا  
 يُسَخِّطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا  
 مِنْ عَذُوكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى  
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### فصل في التحذير من النار وما أُعِدَّ لِأَهْلِهَا

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ  
 لِلْكَافِرِينَ ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ  
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا  
 وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

فيا أيُّها العَاقِلُ عن نَفْسِهِ المَعْرُورُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا المَشْرِفَةَ

على الإيقضاء والزوال ، دَعِ الاشتغال والتفكير فيما أتت مُرْتَحِلٌ عَنْهُ ،  
واصْرِفْ فِكْرَكَ واجتهادِكَ إلى مَوْرِدِكَ الذي سَتَرِدُهُ ، فَإِنَّكَ أُخْبِرْتَ أَنَّ النَّارَ  
مَوْرِدٌ لِلْجَمِيعِ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا  
مَقْضِيًّا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنَ النِّجَاةِ فِي شَكِّ .

فاستشعر في قلبك هَوْلَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ فَعَسَاكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ ، وَتَأْمَلُ  
فِي حَالِ الْخَلَائِقِ وَقَدْ قَاسُوا مِنْ دَوَاهِي الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَشِدَائِدِهَا مَا قَاسُوا .

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي كُرْبِهَا وَأَهْوَالِهَا وَدَوَاهِيهَا وَقُوفًا يَنْتَظِرُونَ حَقِيقَةَ أَحْبَابِهَا  
وَتَشْفِيعِ شُفَعَائِهَا إِذَا أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظَلَمَتْ ذَاتَ شَعْبٍ وَأَظَلَّتْ عَلَيْهِمْ نَارٌ  
ذَاتُ لَهَبٍ وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجَرَةً تُفْصِحُ عَنْ شِدَّةِ الْعَيْضِ وَالْعَضْبِ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا  
وَزَفِيرًا ﴾ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَنَ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطَبِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :  
﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

وَجِئْتَ الْأُمَمَ عَلَى الرُّكْبِ حَتَّى أَشْفَقَ الْبُرَاءُ مِنْ سُوءِ الْمُتَقَلِّبِ ، قَالَ اللَّهُ  
جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ  
تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَخَرَجَ الْمُنَادِي قَائِلًا أَيْنَ فُلَانُ الْمُسَوِّفِ نَفْسُهُ فِي الدُّنْيَا بِطُولِ الْأَمَلِ ،  
الْمُضِيِّ عُمُرُهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ .

فَيَبَادِرُونَهُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِعِظَائِمِ التَّهْدِيدِ وَيَسُوقُونَهُ إِلَى  
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَيُنْكَسُونَهُ فِي جَهَنَّمَ وَيَقُولُونَ لَهُ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْكَرِيمُ ﴾ .

فَأَسْكِنُوا دَاراً ضِيْقَةَ الْأَرْجَاءِ ، مُظْلِمَةَ الْمَسَالِكِ ، مُبْهَمَةَ الْمَهَالِكِ ، قَالَ اللَّهُ  
جَل وَعَلَا : ﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَاناً ضِيْقاً مُقْرَنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ دَارُ  
يُخَلِّدُ فِيهَا الْأَسِيرَ وَيُوقِدُ فِيهَا السَّعِيرَ شَرَابِهِمُ الْحَمِيمِ وَمُسْتَقْرَهُمُ الْجَحِيمِ .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ  
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آن ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَقَاماً ﴾ الْهَائِيَّةُ  
تَجْمَعُهُمُ وَالزَّبَانِيَّةُ تَقْمَعُهُمْ .

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ  
فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ  
كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أَمَانِيَّتُهُمْ فِيهَا  
الْهَلَاكُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْهَا فِكَكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا  
رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ ﴾ قَدْ شَدَّتْ أَقْدَامُهُمْ إِلَى النَّوَاصِي ، وَاسْوَدَّتْ  
وَجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي .

يُنَادُونَ مِنْ أَكْنَافِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاجِيهَا وَأَطْرَافِهَا يَا مَلِكُ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا  
الْوَعْدُ يَا مَلِكُ قَدْ أَثْقَلْنَا الْحَدِيدَ ، يَا مَلِكُ قَدْ نَضِجَتْ مِنَّا الْجُلُودُ ، يَا مَلِكُ  
الْعَدَمُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ ، يَا مَلِكُ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُودُ .

فَتَقُولُ الزَّبَانِيَّةُ هَيْهَاتَ لَاتِ حِينٍ مَنَاصٍ ، وَلَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهُونِ قَالَ اللَّهُ  
جَل جَلالَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا  
ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

وَلَوْ خَرَجْتُمْ لَكُمْ إِلَى مَا نُهَيْتُوا عَنْهُ تَعُودُونَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :  
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ

من المؤمنين ، بل بدأ لهم ما كانوا يُخفون من قبل ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ  
وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٦﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْنَطُونَ وَعَلَى تَفْرِيطِهِمْ فِي حَنْبِ اللَّهِ يَتَأَسَّفُونَ وَلَا يُنَجِّهِمُ النَّدَمُ  
وَلَا يُغْنِيهِمُ الْأَسْفُ بَلْ يُكَبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَغْلُولِينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَكَبِّبُوا  
فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ .

النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ شِمَائِلِهِمْ قَالَ  
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ فَهَمُ  
عَرَقَى فِي النَّارِ طَعَامَهُمْ نَارًا وَشَرَابَهُمْ نَارًا وَلِبَاسَهُمْ نَارًا وَمَهَادَهُمْ نَارًا قَالَ اللَّهُ جَلَّ  
وَعَلَا : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

فَهُمْ بَيْنَ مُقْتَطَعَاتِ النَّيِّرَانِ وَسَرَائِلِ الْقَطِرَانِ وَضَرْبِ الْمَقَامِعِ وَثِقَلِ  
السَّلَاسِلِ فَهَمُ يَتَجَلَّجَلُونَ فِي مَضَائِقِهَا وَيَتَحَطَّمُونَ فِي دَرَكَاتِهَا وَيَضْطَرِبُونَ فِي  
غَوَاشِيهَا تَغْلِي بِهِمُ النَّارُ كَعَلْيِ الْقُلُورِ وَيَهْتَفُونَ بِالْوَيْلِ وَالنُّبُورِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ  
رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا  
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

قِيلَ إِنَّ مَقَامِعَ الْحَدِيدِ تُهَشَّمُ بِهَا جِبَاهُهُمْ فَيَتَفَجَّرُ الصَّدِيدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ  
وَتَنْقَطِعُ مِنَ الْعَطَشِ أَكْبَادُهُمْ وَتَسِيلُ عَلَى الْخُدُودِ أَحْدَاقُهُمْ وَتَسْقُطُ مِنَ  
الْوَجَنَاتِ لُحُومُهَا وَتَتَمَزَّقُ الْجُلُودُ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى ﴾  
قَدْ عَرَيْتَ مِنَ اللَّحْمِ عِظَامَهُمْ فَبَقِيَتْ الْأَرْوَاحُ مَنُوطَةً بِالْعُرُوقِ وَعَلَائِقُ الْعَصَبِ  
وَهِيَ تَبْنَشُ فِي لَفْحِ تِلْكَ النَّيِّرَانِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وَيَاتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ فكيف بك لو نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وقد سُوِّدَتْ وجوههم وأُغْمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَبْكَمَتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَقُصِمَتْ ظُهُورُهُمْ وَكُسِرَتْ عِظَامُهُمْ وَمَزُوتْ جُلُودُهُمْ وَعَلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَجُمِعَ بَيْنَ النَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ .

قال تعالى : ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصَمًّا مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

فَلِهَيْبُ النَّارِ سَارٍ فِي بَوَاطِنِ أَجْزَائِهِمْ وَحَيَاتُ الْهَوَايَةِ وَعَقَارِبُهَا مُتَشَبِّهَةٌ بِظَوَاهِرِ أَعْضَائِهِمْ . ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ بَمَنٍ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِالْمُصَوِّرِينَ » .

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قَالَ : يُقْرَبُ إِلَىٰ فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أُذِنِي مِنْهُ شَوِيَ وَوَجَّهَهُ وَوَقَعَتْ فِرَّةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسُقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

وَأَنْشَدُوا :

أَمَا سَمِعْتَ بِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَعَنْ مَقَاسَاةٍ مَا يَلْقَوْنَ فِي النَّارِ  
أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادٍ لَهُمْ صَدَعَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ قَدْ ذَابَتْ عَلَى النَّارِ

أَمَّا سَمِعَتْ بِأَغْلَالٍ تُنَاطُ بِهِمْ  
أَمَّا سَمِعَتْ بِضَيْقٍ فِي مَجَالِسِهِمْ  
أَمَّا سَمِعَتْ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا  
أَمَّا سَمِعَتْ بِأَجْسَادٍ لَهُمْ نَضِجَتْ  
أَمَّا سَمِعَتْ بِمَا يُكَلِّفُونَ بِهِ  
حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا عَلَى شَوَاهِقِهَا  
أَمَّا سَمِعَتْ بِرُقُومٍ يُسْوَعُهُ  
يُسْفُونَ مِنْهُ كُنُوسًا مُلْتَثَّمَةً  
يَشْوِي الْجُوهَ وَجُوهًا أَلْبَسَتْ ظُلْمًا  
وَلَا يَتَأْمُونَ إِنْ طَافَ الْمَنَامُ بِهِمْ  
إِنْ يَسْتَقِيلُوا فَلَا تُقَالُ عُثْرَتُهُمْ  
وَإِنْ أَرَادُوا خُرُوجًا رُدَّ حَارِجُهُمْ  
فَهُمْ إِلَى النَّارِ مَذْفُوعُونَ بِالنَّارِ  
مَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ  
فَهَذِهِ صَدَعَتْ أَكْبَادَ سَامِعِهَا  
وَلَوْ يَكُونُ إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ  
فِيَا إِلَهِي وَمَنْ أَحْكَامُهُ سَبَقَتْ  
رَحْمَاكَ يَا رَبِّ فِي ضَعْفِي وَفِي ضَعْفِي  
وَلَا عَلَى حَرِّ شَمْسٍ إِنْ بَرَزْتُ لَهَا  
فَإِنْ تَعَمَّدَنِي غَفْوٌ وَثَقْتُ بِهِ

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات، يا غافر الذنب وقابل التوب  
شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيبنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وأزأف  
الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اعْتِقْنَا مِنْ رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ شَرِّ النَّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا  
وَخْشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجْرْنَا  
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طَيِّبْنَا لِلْقَائِلِ ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ،  
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ  
حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَأَرْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ  
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ فِي سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ  
وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَخَطَرِ مَنْ كَانَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ وَأَعْظَمُ  
مِنْ ذَلِكَ الْأَخْطَارِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعَرْضِ  
عَلَى الْجَبَّارِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَنَضْبِ الْمِيزَانِ لِمَعْرِفَةِ الْمَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَّازِ الصَّرَاطِ مَعَ دَقِّهِ وَحَدِيثِهِ ثُمَّ انْتِظَارِ النَّدَاءِ عِنْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا  
بِالإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالإِشْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالُ وَأَهْوَالُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الإِيمَانُ بِهَا  
عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصْدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي مِقْدَارُهُ  
خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ

وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفَذُهُمُ البَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمُ أَحَدٌ وَتَذُنُّوهُمْ الشَّمْسُ  
وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ هَذَا اليَوْمُ هُوَ اليَوْمُ الَّذِي تَدْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَن مَّا  
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى  
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَبْلُغُ الأَمْرُ مِنَ الحَيْرَةِ والدَّهْشَةِ والاضْطِرَابِ والدُّهُولِ  
أَن تَدْهَلُ المُرْضِعَةُ عَن وَلَدِهَا الَّذِي فَمُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَعزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ  
بِالدُّهُولِ عَمَّا سِوَاهُ وَتَسْقِطُ الحَوَامِلُ مِنَ الفَرْعِ والرُّعْبِ والرُّوعِ مَا فِي بَطُونِهَا  
مِنَ الأَجْنَةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِن شِدَّةِ الرُّوعِ والفَرْعِ  
والخَوْفِ الَّذِي صَيَّرَ مَنْ رَأَاهُمْ يُسَبِّهُهُمْ بِالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ مِن شِدَّةِ  
الخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السُّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا  
الرَّادِفَةُ تَكُونُ الأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي البَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الأَمْوَاجِ تَكْفَأُ  
بِأَهْلِهَا .

فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقَطُونَ مِن شِدَّةِ الأَمْرِ وَبُلُوغِهِ أَقْصَى  
الغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلَ العُقُولَ وَأَذْهَبَ التَّمْيِيزَ والفِكْرَ والصَّخْوَ إِنَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ  
« إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الأَرْضُ أَنْفَالَهَا » .

إِنَّهَا لَهَزَةٌ عَنيفَةٌ لِلقُلُوبِ الغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الأَرْضُ الثَّابِتَةُ ارْتِجَافًا  
وَتَزَلْزَلُ زَلْزَالَاً وَتَنْفُضُ مَا فِي جَوْفِهَا نَفْضًا وَتُخْرِجُ مَا يُثْقَلُهَا مِن أَجْسَادٍ وَنُقُودٍ  
وغيرها مِمَّا حَمَلْتَهُ طَوِيلًا وَهُوَ مُشْهَدٌ يَهْزُ كُلُّ شَيْءٍ ثَابِتٍ وَالأَرْضُ نَهْتَزُ السَّمَاءُ  
تَمُورُ .

إِنَّهُ لَمْشْهَدٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ القُلُوبَ يَرَى الإِنْسَانَ مَا لَا يَعْهَدُ



وَيُوجَهُ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لَا يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلَا السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ  
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ مَا الَّذِي يُزَلِّزُهَا هَكَذَا وَيَرْجُحُهَا رَجًا .

وَكَانَهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَائِلُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَتَشَبَّثَ وَيُحَاوِلُ أَنْ  
يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لِأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُورُ مَمُورًا شَدِيدًا قَدْ ائْتَلَأَ مِنَ الرَّعْبِ  
وَالْفَزَعِ وَالذُّهْشَةِ وَالْعَجَبِ .

يَرَى الْجِبَالَ وَهِيَ تَسِيرُ وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ ، هَذِهِ الْجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ  
وَبُسْتُ وَرَأَاهَا ذُرَاتٍ فِي الْهَوَاءِ ﴿وَبُسْتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾  
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ  
سَرَابًا .

هَذِهِ تُصْرِّحُ وَتُسَيِّرُ إِلَى حَدِّ عَظِيمٍ تَتَزَلُّزُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً  
يَتَلَاشَى ثِبَاتَهَا وَرُسُوحَهَا وَاسْتِقْرَارَهَا وَتَمَاسُكُهَا وَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلَا يَكَادُ يَلْتَقِطُ  
أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ .

هَنَا يُشَاهِدُ وَيُوجَهُ الْحَشَرَ وَالْحِسَابَ وَالْوِزْنَ وَالْجِزَاءَ وَيَقِفُ جِبْرِيلُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ  
صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ «فَلَاكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ  
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ  
صَفًّا صَفًّا﴾ .

وَمَوْقِفٌ هُوَ لِأَيِّ الْمُقَرَّبِينَ صَامِتِينَ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ  
﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِ  
الْقِيَوْمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذَا صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِي فِي

النَّفْسِ الرَّهْبَةَ وَالرُّعْبَ وَالْفَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ مَسْتُوْرٍ وَيُعْلَمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُوْلٍ .

وَتَقِفُ فِيهِ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرْتَ مِنَ الرَّصِيْدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَضْلِ وَالْحِسَابِ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴿ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ التَّغْيِيرُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُودَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الشَّمْسُ مَكْوَرَةٌ وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ وَالسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ وَالْوُحُوشُ النَّافِرَةٌ مَحْشُورَةٌ وَالْأَنْعَامُ وَالطُّيُورُ وَالْعِشَارُ مُعْطَلَةٌ ﴿ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرَقُ ﴾ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ .

هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ الْهَائِلِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ حَادِثٌ عَظِيمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ بِالخَلْقِ الضَّعَافِ الْمَهَازِلِ الَّذِينَ تَهْزُهُمُ الصُّوَاعِقُ هَزًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خَلْعًا ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ .

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرَّعْبِ وَالخَوْفِ وَالقَلْتِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهُولِ وَالانْفِلَابِ يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ الْمَدْعُورُ الْمَرْعُوبُ أَيْنَ الْمَفْرَقُ وَيَبْدُو ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُودٌ دُونَهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَنَفَذَ وَلَا وَقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ وَأَخْذِهِ، وَالرُّجْعَةُ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرُ وَالْمَسْتَقَرُّ عِنْدَهُ ﴿ كَلَّا ﴾

لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٠٠﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ  
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا .

فَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الْخَلَائِقِ وَضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ  
اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَنُفُوذُ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآئٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ إِنَّكُمْ فِي  
قَبْضَةِ اللَّهِ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ  
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ  
عَدًّا وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

فَلَا مَجَالَ لِهَرَبٍ أَحَدٍ وَلَا نِسْيَانٍ لِأَحَدٍ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكُلُّ فَرْدٍ  
يُقَوْمٌ وَحِيدًا لَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ فَإِذَا هُوَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ أَمَامَ الدِّيَانِ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ  
تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ  
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ .

مَشْهُدُ الْمَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالصَّيْقَلُ بِهِ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَرْتَبِطُهُمْ بِهِ وَشَائِحُ وَرَوَابِطُ لَا تَنْفِصُمُ وَلَكِنَّ الصَّاحَةَ وَالطَّامَةَ تَمْرُقُ  
هَذِهِ الرُّوَابِطُ وَتَقَطُّعُ الْوَشَائِحِ وَالصَّلَاتِ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا  
يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

فَالهَوَلُ يُفْرِغُ النَّفْسَ وَيُقَلِّقُهَا وَيَفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَادًا  
فَلِكُلِّ نَفْسٍ وَشَأْنُهُ وَوَلَدِيهِ الْكِفَايَةُ مِنَ الهمِّ الْخَاصِ بِهِ الَّذِي لَا يَدْعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ  
وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى  
الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ .

أَلَمْ تَسْمَعْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ وَعَنْ خَطْبِ خُلِقَتْ لَهُ جِسْمِ

وَزَلْزَالٍ يَهْدُ الْأَرْضَ هَدًا  
 وَأَهْوَالٍ كَأَطْوَادِ رَوَاسِي  
 فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وَمِنْ فَوَادٍ  
 وَسَكَرَانٍ وَلَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرِ  
 وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَهَا أُسَاهَا  
 وَمُؤْتَمَةٍ تَوَلَّتْ عَنْ بَيْنِهَا  
 وَحُبْلَى اسْتَقَطَّتْ ذُعْرًا وَخَوْفًا  
 وَهَذَا مَشْهَدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ  
 وَمَا كَسْرَى وَقَيْصِرُ وَالنَّجَاشِي  
 بِذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي مَقَامٍ  
 وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا سَعَاهُ  
 وَأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ وَرَبُّ أَمْرِ  
 فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسْبُحُ فِي مَعِينٍ  
 وَشَوْقُ جُيُوبِ صَبْرِكَ شَوْقُ تُكَلِّي  
 وَمَاذَا الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ

وَيَرْمِي فِي الْحَضِيضَةِ بِالشُّجُومِ  
 تَلَاطُمٌ فِي ظُلُوعِ كَالهَشِيمِ  
 يَذُوبُ وَمِنْ هُمُومٍ فِي هُمُومٍ  
 وَهَيْمَانٍ وَلَمْ يَعْلُقْ بِرِيمٍ  
 فَمَا تَذَرِي الرُّضِيعَ مِنَ الْفَطِيمِ  
 وَأَلَقْتَ بِالْيَتِيمَةِ وَالْيَتِيمِ  
 فَيَاللَّهِ لِلْيَوْمِ الْعَقِيمِ  
 وَجَمَعَ لِلْحَدِيثِ وَاللَّقْدِيمِ  
 وَتَبِعَ وَالْقُرُومُ بَنُوا الْقُرُومِ  
 أَذَلَّ مِنَ التُّرَابِ لِدِي السَّلِيمِ  
 لِدَارِ الْبُؤْسِ أَوْ دَارِ التَّعِيمِ  
 يَكُونُ أَذَاهُ أَوْقَعُ بِالْعَلِيمِ  
 وَقَلْبَكَ ذَرَهُ يَقْلُبُ فِي جَحِيمِ  
 تَعَلَّقَتْ ابْنَهَا رَجُلًا سَهُومِ  
 تُشَبَّهُ بِالْبَحَارِ يَدُ الْكَرِيمِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا  
 بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمَ يَا غَفَّارَ وَاغْفِرْ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فَصْلٌ

اعْلَمَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ فِي الْجَنَائِزِ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَفِكْرَةً لِلْمُتَّفَكِّرِينَ ،  
 وَتَنْبِيْهًا لِلْعَافِلِينَ ، وَإِقْظَاً لِلنَّائِمِينَ .

بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي قِيَامٍ وَقُعُودٍ ، وَتُرُورٍ وَصُعُودٍ ، وَخُذَ هَذَا وَاتْرَكَ هَذَا ،  
وَاشْتَرَى هَذَا وَبَعَّ هَذَا ، وَابْنَ هَذَا وَاهْدَمَ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ وَمَا كَانَ ، وَتَقَدَّمَ هَذَا  
وَتَأَخَّرَ هَذَا ، وَعَيْنَ فُلَانٍ وَفُصِّلَ فُلَانٌ ، وَرَبِحَ فُلَانٌ وَخَسِرَ فُلَانٌ .

إِذْ فَاجَأَهُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ وَالْحَادِثُ السَّمَاوِيُّ وَالْحُكْمُ الرَّبَّانِيُّ فَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُ  
وَطَفِفَتْ شُعْلَتُهُ ، وَذَهَبَتْ نَظْرَتُهُ وَصَارَ كَالْخَشَبَةِ الْمَنْبُودَةِ وَالْحَجَرِ الْمَرْمِيِّ .

إِنْ نُودِيَ لَمْ يَسْمَعْ وَإِنْ دُعِيَ لَمْ يُجِبْ وَإِنْ قُطِعَ أَوْ سُجِبَ أَوْ حُرِّقَ لَمْ  
يُمَانِعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، عَبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

وَلَكِنْ حُبُّ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَشَهَوَاتُهَا وَحِجَابُ الْهَوَى غَطَّى الْقُلُوبَ  
وَأَعْمَى الْبَصَائِرَ يَمْنَعُ التَّفَكُّرَ فِي الْجَنَائِزِ وَالْإِعْتِبَارَ بِهَا .

فَصَارَتْ لَا تَزِيدُ رُؤْيُهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَفْلَةً وَلَا مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا  
قَسْوَةً حَتَّى كَانَ الْمَيِّتَ نَائِمٌ يَسْتَيْقِظُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ كَانَ الَّذِي يَرَى الْجَنَازَةَ لَا يَكُونُ  
مِثْلَهَا وَكَانَ الْمَيِّتَ تَزَلُّ بِهِ الْمَوْتُ وَحَدَهُ وَقَصَدَهُ خَاصَّةً .

وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمَشِيعِينَ يَبْحَثُ فِي مُحَلَّفَاتِهِ نَعْمَ يَعْلَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ  
سَيَمُوتُ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّالَهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وَقَدْ تَخَالَفَ النَّاسُ إِلَّا فِي الْمَوْتِ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ ، وَلَكِنْ لَا يَظُنُّونَ ذَلِكَ مِنْ  
قَرِيبٍ قَدْ فَسَّحُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي الْمُدَّةِ وَمَدُّوا لَهَا فِي الْمُهْلَةِ بِدَلِيلٍ مَا يُنْشِئُونَهُ مِنَ  
الْأَعْمَالِ وَالْقُصُورِ وَالشَّرَكَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِنْ دَارَ عَلَى لِسَانِهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ عَنْ قَرِيبٍ فَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ بِدَلِيلٍ عَدَمِ  
تَحْرِكِهِ مِنْ قَبْلِ الْآخِرَةِ وَحَالَتِهِ قَبْلَ رُؤْيَةِ الْجَنَائِزِ كَحَالَتِهِ بَعْدَ تَشْيِيعِهَا أَكْبَرَ  
بُرْهَانَ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا تَحَدَّثُوا بِحَدِيثِ الدُّنْيَا وَضَحِكُوا وَالْمَيِّتُ يُدْفَنُ .

وَقَلَّمَا يَبْكِي عَلَى الْجَنَازَةِ إِلَّا أَهْلَهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاقِهَا ، لَا لِتَفْسِ الْمَوْتِ ،  
كَبْكَاءِ الطِّفْلِ وَالْمَرْأَةِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلَانِ وَلَا يَعْلَمَانِ ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكَانَ  
بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى مَيِّتِهِمْ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ .

بَكَى لِأَنَّ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَالَ وَاحِرَبًا وَصَاحَ يَا هَرَبًا  
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلأَسَى لَهَبٌ إِذَا أَرَادَ حُبُوبًا فَارَ وَ التَّهَبَا  
وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حِينَ رَأَى وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهُوَى حُجُبًا  
لَمَا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَبَ بِهِ إِلَّا بَكَى نَفْسَهُ الْمِسْكِينُ وَاتَّحَبَا  
وَمَنْ رَأَى السُّمْرَ فِي جَنِينِهِ شَارِعَةً أَنَّى يَرَاهَا بِجَنِبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبًا  
وطلَّعة الموتِ ان تَطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبًا

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ  
لِيُبْلُغَ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرَقَى وَيَا  
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا  
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

وقال رحمه الله تعالى واعلم أن الميت كالحَيِّ فيما يُهْدَى إليه بَلِ الْمَيِّتُ أَكْثَرُ  
وَأَكْثَرُ لِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ يَسْتَقِيلُ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ وَيَسْتَحْقِرُ مَا يُتَحَفُّ بِهِ .

وَالْمَيِّتُ لَا يَسْتَحْقِرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ قِيَمَتَهُ بَعْدَ مَا تَخْرَجُ مِنَ الدُّنْيَا  
وَطُوبَيْتَ صَحِيفَتِهِ وَقَدْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ ضَيَّعَهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُضُوءِ الْقُرْبِ إِلَى الْمَيِّتِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا مَاتَ

الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ  
يَدْعُو لَهُ « الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ٥ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِمَّا يُلْحَقُ  
الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ .

أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ  
صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » رواه ابن ماجه  
وابن خزيمة .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ  
وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَرًّا أَوْ عَرَسَ نَحْلًا أَوْ بَنَى  
مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَعْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ  
الْقُبُورِ فَرُزُّوْهُمَا وَاجْعَلُوا زِيَارَتَكُمْ صَلَاةً عَلَيْهِمْ وَاسْتِغْفَارًا لَهُمْ » .

ولابن أبي شيبة عن أبي جعفر قال كان الحسن والحسين يُعْتَقَانِ عَنْ عَلِيٍّ  
بَعْدَ مَوْتِهِ .

وله عن الحاج بن دينار مرفوعا « إِنْ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمَا مَعَ  
صَلَاتِكَ وَأَنْ تَصُومَ عَنْهُمَا مَعَ صِيَامِكَ وَأَنْ تَصَدَّقَ عَنْهُمَا مَعَ صَدَقَتِكَ » .

وللبهقي في سننه عن أبي هريرة مرفوعا : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ  
الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبُّ أَنْتَ لِي هَذِهِ فَيَقَالُ بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ » وأخرجه  
البخاري في الأدب عنه موقوفا .

ويروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْمَيِّتُ كَالْغَرِيقِ فِي قَبْرِهِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةَ تَلَحُّقِهِ

من ولده أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها .  
 ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَصُولِ الْقُرْبِ إِلَى الْمَيِّتِ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَالِدَعَاءِ لَهُمْ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكَوْنِ الدَّعَاءِ لَهُمْ وَالسَّلَامِ  
 عَلَيْهِمْ يَصِلُ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال بشر بن منصور كان رجُلٌ زَمَنَ الطَّاعُونَ يَحْتَلِفُ إِلَى الْمَقَابِرِ ثُمَّ  
 يَسْتَقْبِلُ الْقُبُورَ فَيَقُولُ أَمَّنَ اللَّهُ رَوْعَتِكُمْ وَأَنَسَ اللَّهُ وَحِشَّتِكُمْ رَحِمَ اللَّهُ غُرْبَتِكُمْ  
 تَقَبَّلَ اللَّهُ حَسَنَاتِكُمْ وَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَن سَيِّئَاتِكُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .

قال الرجلُ فأنصرفتُ يوماً ولم أذع فلما كان الليل رأيتُ فيما يرى النَّائمُ  
 خلقاً كثيراً قد جاؤني فقلتُ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قالوا أهلُ المقابرِ قلتُ وما حاجتُكُمْ .

قالوا إِنَّكَ قَدْ عَوَّدْتَنَا مِنْكَ هَدِيَّةً تُهْدِيهَا إِلَيْنَا عِنْدَ انْتِصَافِكَ قُلْتُ وَمَا هِيَ  
 قالو الدعوات التي كُنْتَ تَدْعُو بِهَا قُلْتُ فَإِنِّي أَعُوذُ لِمَا كُنْتَ أَدْعُو بِهِ قال فما  
 تَرَكَتُ ذَلِكَ .

شِعْرًا :

قَفَّ بِالْقُبُورِ بِأَكْبَادٍ مُصَدَّعَةٍ	وَدَمْعَةٍ مِنْ سَوَادِ الْقَلْبِ تَبَعَتْ
وَسَلَّ بِهَا عَنِ أَنَسِ طَالَمَا رَشَفُوا	ثَغْرَ النَّعِيمِ وَمَا فِي ظِلِّهِ مَكْتُوبَا
مَاذَا لَقُوا فِي حَبَايَاهَا وَمَا قَدِمُوا	عَلَيْهِ فِيهَا وَمَا مِنْ أَجَلِهِ أُرْتَبُوا
وَعَنْ مَحَاسِنِهِمْ أَنْ كَانَ غَيْرَهَا	طُولُ الْمَقَامِ بِيْطْنِ الْأَرْضِ وَاللَّبْثُ
وَمَا لَهُمْ حَشْرَاتُ الْأَرْضِ تَنْهَشُهُمْ	نَهْشًا تَزُولُ لَهُ الْأَعْضَاءُ وَالنَّحْتُ
وَتَلْكُمُ الْفَتَيَاتُ إِذْ طَرِحْنَ بِهَا	هَلْ كَانَ فِيهِنَّ ذَا التَّغْيِيرِ وَالشَّعْتُ
فَإِنْ يُجِبْكَ عَلَى لَأْيٍ مُجِيبُهُمُوا	وَلَنْ يُجِيبَ وَأَنْتَى يَنْطِقُ الْجَدُّ
فَانظُرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَاءِ سَاحَتِهِمْ	فَإِنَّهُ الْجُدُّ لَا هَزْلَ وَلَا عَبَثُ



وَأَعْمَلْ لِمَصْرَعِ يَوْمِ هَالِ أَوَّلُهُ . وَمِنْ أَمَامِكَ فِيهِ الرَّوْعُ وَالْجَأْتُ  
اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ  
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا  
فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ  
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الدِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَ الْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

### فوائد ومواعظ

إِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ كَثْرَةَ الْإِسْتِغَالِ بالدنيا وفراغ الجهود فيها ، والميل  
إليها بالكلية ، وإلى حلاوة أحاديثها ولذة أمانيتها ، تمنع حرارة ذكر الموت أن  
ترد على القلب ، وأن تلج فيه ، لأن القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر  
فيه مدخل ولا لسواه فيه مجال .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُمَكِّنْكَ أَنْ تُدْخَلَ عَلَيْهِ شَيْئاً آخَرَ ،  
وَوَجْهَكَ إِذَا صَرَفْتَهُ إِلَى مَوْضِعٍ صَرَفْتَهُ عَنْ مَوْضِعٍ آخَرَ .

وَمَتَى دَامَ الْقَلْبُ عَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ لِدُكْرِ الْمَوْتِ فِيهِ تَأْثِيرٌ ، وَلَا لِتُرْدَادِهِ  
حَلَاوَةً ، وَكَيْفَ يُوَثِّرُ فِيهِ وَهُوَ لَا يَجِدُ مَكَاناً يَنْزِلُ فِيهِ ، وَلَا مَوْضِعاً يَتَعَلَّقُ بِهِ .

قَدْ مَلَأَهُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ الْفَانِيَةِ ، وَاللذات المتصرمة ، فَهُوَ شَبَعَانٌ رِيَّانٌ

حَيْرَانَ سَكْرَانَ ، أَعْمَى أَصَمَّ إِنَّ عُرْضَ عَلَيْهِ طَرِيقَ لَمْ يَرَهُ ، أَوْ تُودِيَّ بِاجْتِنَابِ  
رَدِيٍّ لَمْ يَسْمَعِ .

فَإِذَا أَرَادَ صَاحِبُ هَذَا الْقَلْبِ سَمَاعَ الْحِكْمَةِ وَالانْتِفَاعَ بِالْمَوْعِظَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ  
بُدٌّ مِنْ تَفْرِيفِهِ مِمَّا شَغَلَهُ لِيَجِدَ التَّدَكُّرُ فِيهِ مَنْزِلًا ، وَتَلْقَى الْمَوْعِظَةَ فِيهِ مَحَلًّا  
قَابِلًا .

فَلَا يَزَالُ يَتَعَاهَدُهُ وَيَتَفَقَّهُهُ بِالْأَذْكَارِ وَالْأَفْكَارِ وَالنَّظْرِ وَالاعْتِبَارِ آتَاءَ اللَّيْلِ  
وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لِئَلَّا يَرْجِعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبَعِ وَالذَّنَسِ فَيَعُودَ إِلَى حَالَتِهِ  
الْأُولَى مِنَ الْعَيْنِ وَالغَيْمِ .

فَإِنَّ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَفْرِيفِهِ بِمَرَّةٍ فَرَّغَ مِنْهُ مَا أَمَكْنَ وَجَعَلَ مَكَانَ مَا أزالَ  
ضِدَّهُ ، فَيَجْعَلُ مَكَانَ الْعَقْلَةِ ذِكْرًا ، وَمَكَانَ الْفَرْحِ حُزْنًا وَمَكَانَ الْأَعْتِبَاطِ  
نَدْمًا ، وَمَكَانَ السَّهْوِ تَيَقُّظًا ، وَمَكَانَ النَّوْمِ انْتِبَاهًا ، وَمَكَانَ الْإِهْمَالِ اجْتِهَادًا  
وَاسْتِدْرَاكًا لِمَا فَاتَهُ .

وَهَكَذَا يُزِيلُ شَيْئًا وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ ضِدَّهُ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَيَسْأَلُهُ  
التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالتَّيْسِيرَ وَالْعَوْنَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ إِغْلَمَ أَيُّهَا الْأَخُ الْحَرِيصُ عَلَى حِفْظِ وَقْتِهِ عَنِ الضِّيَاعِ أَنَّهَا إِنْ قَلَّتْ أَشْغَالُكَ  
وَقَلَّتْ عَوَائِقُكَ ثُمَّ قَعَدْتَ عَنِ الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ فِيمَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ  
الطَّاعَاتِ أَنَّ هَذَا هُوَ الْخُدْلَانُ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ .

فَفَرَّغُ الْقَلْبِ مِنَ الْأَشْغَالِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِغْتِنَامَهَا فِي الْبَاقِيَاتِ  
الصَّالِحَاتِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ كَفَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِإِنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ الْهَوَى وَأَنْجَرَ  
فِي قِيَادِ الشَّهَوَاتِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا

مُنْسِيًّا أَوْ غِنَى مُطْعِيًّا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدِّجَالَ  
فَشْرُ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ .

وقال بعضهم الفِكرَةُ سِرَاجُ القَلْبِ فإذا ذَهَبَتْ فلا إِضَاءَتَ له فَالقَلْبُ  
الْحَالِي مِنَ الفِكرَةِ خَالِي مِنَ النُّورِ مُظْلِمٌ بوجُودِ الجَهْلِ والغُرُورِ .

فَفِكرُ الزَّاهِدِينَ فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا وَاضْمِحْلَالِهَا وَقِلَّةِ وَفَائِهَا لِطُلَّابِهَا فَيَزِدَادُونَ  
بِالفِكرِ زُهْدًا فِيهَا .

وَفِكرُ العَابِدِينَ فِي جَمِيلِ الثَّوَابِ فَيَزِدَادُونَ نَشَاطًا عَلَيْهِ وَرَغْبَةً فِيهِ .  
وَفِكرُ العَارِفِينَ فِي الآلَاءِ وَالتَّعْمَاءِ فَيَزِدَادُونَ نَشَاطًا فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ  
وَيَزِدَادُونَ مَحَبَّةً لِلَّهِ وَشُكْرًا لَهُ وَحَمْدًا عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى قَالَ  
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

وقال عُثْمَانُ بنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَطْبَتِهِ ( إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا  
أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَرْكُنُوا إِلَيْهَا ) .

إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الفَانِيَةُ وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ  
البَاقِيَةِ ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ ، وَإِنَّ المَصِيرَ إِلَى اللَّهِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ،  
وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ العَمِيرَةِ ، وَالزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَلَا تُصَيِّرُوا أَحْزَابًا ﴿ وَاذْكُرُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

وَبَلَغَ زَيْنُ العَابِدِينَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا تَسَعَى إِلَيْهِ هَمَّةُ رَجُلٍ فَرَفَضَهَا  
وَتَبَدَّهَا قَائِلًا : ( هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ عَدِيمٌ وَمُلْكٌ  
لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ وَغِنَى لَوْلَا أَنَّهُ فَنَى وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ

اتِّضَاعٌ وَحَسْبُ أَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا لُقَيْمَاتٌ يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ وَثَوْبٌ يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ  
وَصِحَّةٌ يَسْتَقْوِي بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ) هذا الزهد الصحيح لأنها أقبَلت عليه  
وَرَفَضَهَا .

قال بعضهم :

أَزْهَدُ إِذَا الدُّنْيَا أَنَا لَتَكَ الْمُنَى فَهَنَّاكَ زُهْدُكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ  
فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ وَأَبَتْ عَلَيْكَ كِتَابِيَةِ الْعَيْنِ

آخر :

تَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدٌ  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صَبَعَتْ لَهُ بَعْضُهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ

آخر :

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ

وقال آخر : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَبْصَرَ الدُّنْيَا فَانزَلَهَا مَنْزِلَتَهَا فَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ  
لَا مَرَحَبًا وَلَا أَهْلًا ، وَاللَّهُ مَا أَرَاكَ جِئْتِ بِخَيْرٍ وَمَا فِيكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا أَنْ تُطَلَّبَ  
بِكَ الْجَنَّةُ ، وَيُفْتَدَى بِكَ مِنَ النَّارِ .

فإن هي أدبرت قال عليك العفاء ، وعلى من يتبعك .

الحمد لله الذي خار لي وصرف عني فتنتك وشغلك .

وكان يقول إذا وصف أهل الدنيا حيارى سُكَّارِي ، فإرسهم يركض ،  
وراجلهم يسعى سعياً ، لا غنيهم يشبع ، ولا فقيرهم يقنع .

وكان يقول إذا وصف المقبل على الدنيا ، ذائبُ البطنة ، قليل الفطنة ، إنما  
هم بطنه وفرجه وجلده .

مَتَى أَصْبَحَ فَأَكُلُ وَأَشْرَبُ وَالهُوَ وَالْعَبُّ ، مَتَى أَمْسَى فَأَنَامُ ، جِئْفَةً بِاللَّيْلِ  
بَطَالٍ بِالنَّهَارِ .

وَيَحْكُ أَلْهَذَا حُلُقَتْ أُمُّ بِهَذَا أَمِرَتْ أُمُّ بِهَذَا تَطْلُبُ الْجَنَّةَ وَتَهْرَبُ مِنَ النَّارِ .

شعرا :

كُلُّ أَمْرِيءٍ فِيمَا يَدِينُ يُدَانُ      سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخُلْ مِنْ عِلْمِهِ مَكَانُ  
يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسَ كُنْهَهَا وَمَا      هِيَ بِاللَّتِي يَبْقَى بِهَا سُكَّانُ  
تَفْنَى وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا      يَبْقَى الْمَكَانُ وَتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ  
الْأَسْرُ بِالدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ      وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ التَّقْصَانُ

آخر :

إِلَى دُنْيَاكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ      تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءِ  
إِلَى كَمِّ تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ فِيهَا      مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَا مُرَائِي  
أَمَّا أَنْ أَنْتَبَاهُكَ مِنْ غُرُورٍ      بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيَاءِ  
تَيْقِظُ وَانْتَبِهْ وَأَقْبِلْ بِقَلْبٍ      عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفِرُ بِاهْتِدَاءِ  
وَقِفْ بِالْبَابِ وَاطْلُبْ مِنْهُ فَتْحًا      عَسَى تَحْظَى بِصُبْحِ أَوْ مَسَاءِ

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَتَبْهِنَا  
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفَنَا لِمَصَالِحِنَا وَأَعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا  
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا  
مِنَا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَحْوِيهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ  
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً قريباً متكلم بالحق في غير موضعه قد عيب ، ولا تمارين سفياً ولا حليماً ، فإن السفية يؤذيك ، والحليم يقلبك ( أي يبغضك ) .

قلت قد نظمه الشاعر فقال :

ولا تماري سفياً في محاوره ولا حليماً لكي تنجو من الزلل  
وقال ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تحب أن يذكرك به  
إذا غبت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالاحسان ، ومأخوذ  
بالإجرام .

هلاك الناس بثلاث في الكبر ، والحرص ، والحسد ، فالكبر هلاك الدين  
وبه لعن إبليس حيث تكبر عن السجود لآدم لما أمره الله بالسجود له والحرص  
عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة نهاه الله عن الشجرة فأكل منها ، والحسد  
رائد السوء وبه قتل قابيل هايل وقال عليه السلام : « لا تحاسنوا » .

سته يمتن القلب إتياع الذنب بالذنب وكثرة مجادلة النساء ، والسفهاء ،  
وملاحات الأحمق ، ومجالسة موتى القلوب وهم الأغنياء المترفون  
المتكبرون ، والسلطان الجائر ، والعالم المفتون بالدنيا .

قال سعيد بن المسيب ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا  
أهانت أنفسها بمثل معصية الله ، من استغنى بالله افتقر الناس إليه .  
وكان يتجر في ماله ويقول اللهم إنك تعلم أنني لم أمسكه بخلاً  
ولا حرصاً عليه ، ولا محبةً للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به  
وجهي ، وأصل منه رحمي ، وأؤدي منه الحقوق التي فيه .

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَعْدِ بَعْضِ تَوْجِيهَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ  
يَقُولُ لَهُ : ( تَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُهُمْ ،  
وَلَا تُقْصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلِ رَفِيقٍ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدْوَهُمْ وَالسَّفَرَ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ .  
وَأَقِمْ بِمَنْ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْمَعُونَ  
فِيهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَزِيمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ .

ثم يقول وإذا وطئت أذني أرض العدو فأذك العيون ( أي أيقظها ) بينك  
وبينهم حتى لا يخفى عليك أمرهم ، واحتر لهذا من تطمئن إلى نصح  
وصدقه ، فإن الكذب لا ينفك خبره ، وإن صدق في بعضه ، والعاش عين  
عليك وليس عينالك .

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « يا ابن آدم خلقتك للعبادة  
فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب .

فإن أنت رضييت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي  
محمودا .

وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض  
فيها ركض الوحوش في البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت  
عندي مذموما .

يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع ولم أعني بخلقهن  
أعييني رغي عيش أسوق لك بلا تعب .

يا ابن آدم إنني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني ، وأنا رب رحيم  
وعلى كل شيء قدير .

يا ابن آدم لا تسألني رزق غد كما لم أطلبك لعمل غد ، يا ابن آدم أنا  
لك محب فبحقي عليك كن محبا لي .

أوصى لقمان أبنه فقال : ( يا بُنَيَّ كُنْ لَيْنَ الْجَانِبِ ، قَرِيبَ الْمَعْرُوفِ ،  
كَثِيرَ التَّفَكِيرِ ، قَلِيلَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْحَقِّ ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ قَلِيلَ الْفَرَحِ ،  
وَلَا تُمَارِحْ وَلَا تُصَاحِبْ وَلَا تُمَارِ .

وَإِذَا سَكَتَ فَاسْكُتْ فِي تَفَكِيرٍ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَتَكَلَّمْ بِحِكْمٍ .  
يَا بُنَيَّ لَا تُضَيِّعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ ، فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ،  
وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ ) .

مَعْرِفَةُ اللَّهِ نَوْعَانِ الْأَوَّلُ مَعْرِفَةُ إِقْرَارٍ ، وَهِيَ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ  
الْبُرِّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي .

وَالثَّانِي مَعْرِفَةٌ تُوجِبُ الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُبَّةَ لَهُ ، وَتَعْلَقَ الْقَلْبَ بِهِ ،  
وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِهِ ، وَالْحَشْيَةَ مِنْهُ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَالْأُنْسَ بِهِ ، وَالْفِرَارَ إِلَيْهِ .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَثَلُ قَلِّ وَاللَّهِ مَنْ يَعْقِلُهُ ، شَيْخٌ كَثِيرٌ ضَعْفَ جِسْمِهِ  
وَكَثُرَ صَبِيَانُهُ أَفْقَرُ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ فَجَاءَهَا الْإِعْصَارُ فَاحْرَقَهَا وَإِنْ أَحَدَكُمْ وَاللَّهِ  
أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنْ لِلْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرًا وَالْآخِرِ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجَرًا ،  
وَالسَّعِيدُ لَا يَغْتَرُّ بِالطَّمَعِ ، وَلَا يَزْكُنُ إِلَى الْخِدَعِ ، وَمَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ نَسِيَ  
الْأُمْنِيَّةَ ، وَمَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ نَسِيَ الْعَمَلَ ، وَغَفَلَ عَنِ الْأَجْلِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾  
قَالَ شَكَّكُمْ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ الْمَوْتَ ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ قَالَ  
الشَّيْطَانُ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَإِيَّاكَ أَنْ



تُدْرِكُكَ الصَّرْعَةُ عِنْدَ الْغِرَّةِ ( أَيِ الْغَفْلَةِ ) فَلَا تَقَالُ الْعَثْرَةَ ، وَلَا تَمَكَّنُ مِنْ  
الرَّجْعَةِ ، وَلَا يَحْمِدُكَ مَنْ خَلَفْتَ عَلَى مَا تَرَكْتَ ، وَلَا يَعْذُرُكَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ  
بِمَا بِهِ اشْتَغَلْتَ .

وَفِي بَعْضِ الْحُطَبِ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهَا ذِمَّ اللَّذَاتِ فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضَيْقٍ  
وَسَعَهُ عَلَيْكُمْ فَرَضِيْتُمْ بِهِ فَأَجِرْتُمْ وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنَى نَعَّصَهُ عَلَيْكُمْ فَجَدْتُمْ  
بِهِ فَائِبْتُمْ .

إِنَّ الْمَنِيَا قَاطِعَاتُ الْأَمَالِ ، وَاللَّيَالِي مُدْنِيَاتُ الْأَجَالِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ  
يَوْمَيْنِ يَوْمٌ قَدْ مَضَى أَحْصِي فِيهِ عَمَلُهُ فَخْتِمَ عَلَيْهِ ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ  
إِلَيْهِ .

إِنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَحُلُولِ رَمْسِهِ ، يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ ، وَقَلَّةَ  
غِنَى مَا خَلَفَ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، أَوْ مِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ .

وَلِبَعْضِهِمْ قَصِيْدَةٌ سَمَّاهَا بَوَاعِثُ الْفِكْرَةِ فِي حَوَادِثِ الْهَجْرَةِ :

سِنُوا هِجْرَةَ الْمُخْتَارِ فِيهَا حَوَادِثُ فَخُذْ نَثْرَهَا فِي كُلِّ عَامٍ وَأُحْكِمِ  
مُصَلِّيَ قُبَاً فِي ( أَوَّلِ ) ثُمَّ مَسْجِدُ بُنِي وَيُوتَاً وَالصَّلَاةَ فَأَتِمِّمْ  
وَخَلْفَ أَذَانِ جُمُعَةٍ مَاتَ أَسْعَدُ بَرَاءً وَعَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ فَاسْلِمِ  
( ثَانِ ) صِيَامَ فِطْرَةٍ أُمَّ كَعْبَةَ وَغَزْوَةَ وَدَانَ بُوَاطِ الْمُعْتَمِّمْ  
عَشِيرٍ وَبَدْرَ عُرْسِ عَائِشَ مِثْلُهُ الـ بَتُّوْلَ وَمَوْتَ لِابْنِ مَطْعُونِ أَكْرَمِ  
سَوِيْقِ سُلَيْمِ قَيْنِقَاعَ وَمِسْوَرَ وَمَرَوَانَ وَالنُّعْمَانَ سُرُوا بِمَقْدَمِ  
كَذَا ابْنُ زُبَيْرٍ مِثْلَ مَوْتِ رُقِيَّةِ أَبُو بِنْتِ هِنْدِ إِئِمَارَ كَانَتْ بِمَعْلَمِ  
غَزَا أُحُدًا فِي ( ثَالِثِ ) قَتْلِ حَمْزَةَ وَذَا أَمْرِ وَالْخَمْرِ رُدَّتْ فَحَرِّمْ  
وَحَمْرَاءَ مَعَ بَدْرِ أَحْيَرًا بِنَاؤُهُ بَرِئْتَبَ ذَاتِ الْبِرِّ كَسْبًا لِمُعْدِمِ

كَذَا حَفْصَةَ مَعَ أُمِّ كَلْبُومَ زُوِّجَتْ  
 فِي (رَابِعٍ) تَزْوِجُ هِنْدَ مَعُونَةَ  
 مَرَّ يَسِينُ إِفْكَ وَالرَّقَاعُ وَمَوْعِدٌ  
 وَصَلَ لِحُوفِ ثَمَّ (فِي الْحَمْسِ) حَنْدَقٌ  
 ضِمَامٌ أَنَّى إِسْلَامَ عَمْرِو وَخَالِدٍ  
 وَفِي (سَادِسٍ) لَحْيَانُ ذُو قُرْدٍ بِهِ  
 مُقَوِّسٌ أَهْدَى وَالظَّهَارُ وَخَاتَمٌ  
 وَخَيْبَرٌ فِي (سَبْعٍ) صَفِيَّةُ رَمْلَةٌ  
 قُدُومٌ أَبِي هِرٍ هَدَانَا عَطِيَّةٌ  
 وَ(ثَامِنٍ) عَامِ مَوْتَةَ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا  
 حَتَّى غَلَاءَ طَائِفٍ نَصَبُ مِنْبِرٍ  
 (بِتِسْعٍ) ثَبُوكُ وَالْوُفُودُ وَجَزِيَّةُ  
 وَمَاتَ أَبُو بَيْضَانَ وَالنَّجَاشِي وَغُرُورَةٌ  
 لِعَانَ وَإِيْلَاءٌ وَبُورَانٌ مُلْكَتْ  
 فِي (الْعَاشِرِ) إِبْرَاهِيمُ مَاتَ وَمَوْلِدُ  
 جَرِيرٌ اهْتَدَى ظَلَّتْ بِأَسْوَدَ عَنَسَةٌ  
 وَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ الْمَعَارِي وَمِثْلُهَا  
 أُصْبِنَا (لِإِحْدَى عَشْرَةٍ) بَنِيْنَا  
 بِهَا بَايَعُوا الصِّدِّيقَ رِدَّةً وَأَبْكَيْنَ

أَنَّى حَسَنٌ قَبْلَ الْحُسَيْنِ الْمُقَدَّمِ  
 نَضِيرٌ وَقَصْرٌ وَالتَّيْمَمُ فَافْتَهُمُ  
 وَرَحْمٌ وَمَوْتُ أُمِّ الْمَسَاكِينِ عَظْمٌ  
 قُرَيْظَةُ سَعْدٍ مَاتَ دُومَةُ فَافْتَهُمُ  
 وَعُثْمَانُ الدَّارِي التَّرْزُلُ فَاعْلَمُ  
 حُدَيْبِيَّةُ اسْتَسْقَى ابْنُ خَوْلَةَ أَعْظَمُ  
 لِشَيْرُوبَةَ الطَّاعُونَ حَجَّ لِمُسْلِمٍ  
 زَوَّجَهُمَا ذُو الْحَبْسِ أَبُو بَأْتَمُ  
 قَضَى عُمَرَةَ تَزْوِجُ مَيْمُونَةَ انْعَمُ  
 وَمَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ نَجَلُ الْمُعْظَمِ  
 وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَبُ سَلَّمَ  
 وَحَجَّ أَبِي بَكْرٍ وَمَوْتُ أُمِّ كَلْبُومِ  
 قَتِيلٌ ثَقِيفٌ وَالسَّلُولِيُّ فَافْتَهُمُ  
 لِقَتْلِ فَتَى شَيْرُوبَةَ بِنْتِظَمُ  
 لِنَجَلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ أَعْظَمُ  
 كُسُوفٌ بِخَلْفِ حَجَّةِ التَّمِ اثْنَمُ  
 سَرَايَاهُ مَعَ عِشْرِينَ أَرْخَ لِمَقْدَمِ  
 فَيَا عَظْمَهُ رُزْأٌ لَدَى كُلِّ مُسْلِمِ  
 لِفَاطِمَةَ مَعَ أُمِّ أَيْمَنَ وَاخْتَمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا  
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَصَّنَا مِنَ الْبَاطِلِ

وَابْتَدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا  
وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا  
ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

### فوائد ومواعظ ونصائح

مُؤَاسَاةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَاعٌ : وَمُؤَاسَاةُ بِالْمَالِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْجَاهِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْبَدَنِ  
وَالْخِدْمَةِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ ، إِلَى طَرَقِ الرِّشَادِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالِدَعَاءِ ،  
وَمُؤَاسَاةُ بِالتَّوَجُّعِ لَهُمْ ، وَعَلَى قَدْرِ إِيمَانِ الْإِنْسَانِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ مُؤَاسَاةُهُ  
لِأَخِيهِ .

وَقَالَ آخِرَ اللَّعْبِدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مَوْقِفَانِ : مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ ،  
وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ هُوَ عَلَى الْمَوْقِفِ  
الثَّانِي .

الْعَجَلَةُ تُكْنَى أُمَّ التَّدَامَةِ ، وَهِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : التَّوْبَةُ  
مِنَ الذَّنْبِ فَوْرًا ، وَتَجْهِيزُ الْمَيْتِ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ إِذَا وَجِبَ  
أَدَاؤُهُ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْكَ ، وَتَرْوِيجُ  
الْبِكْرِ إِذَا خَطَبَهَا كُفُوَهَا .

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَتَكَلَّفِ مَا لَا تُطِيقُ ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُدْرِكُ ، وَلَا تَعِدْ  
بِمَا لَا تُقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ ، وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ مُدَّرِجُكَ عَلَى  
قَدْرِ لِحَافِكَ ، وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ ، وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا  
بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

وقال بعضهم : إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم عليه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تعبطهم فيه .

الثواء في الدنيا قليل ، والبقاء هناك طويل أمتكم آجر الأمم وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون .

أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آجركم .

واعلم يا ابن آدم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله رجلاً نظراً فتفكر وتفكر فاعتبر وأبصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا ، فذهب الجزع بقلوبهم ، ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا .

قد طواك الزمان شيئاً فشيئاً  
كان ما كان وانقضت مدة الـ  
وقديماً قد أعلمتك الليالي  
فأدرك منها فائتاً بمتاب  
واتخذ للهيام ويحك رياً  
وإذا ما خرقت بالدين خرقة  
وإذا ما وردت مورد دنياً  
ولتدعها تخيلاً وأمانياً  
وإذا ما الحمام جاءك يوماً  
وبرتك الخطوب جزءاً فجزءاً  
عمر وولى الشباب خبراً ومرءاً  
أن أدواءها تفوتك برءاً  
بل بإيمان أنشيء اليوم نشئاً  
واتخذ للسُّهُوم ويحك فيئاً  
فارفينه بالإنابة رفقا  
فليكن ما وردت من ذلك ضمناً  
أبست قلبك المغفل صدأ  
لم تجد من جميع ذلك شيئاً

اللهم انظمننا في سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين  
وآميناً يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من

النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين  
الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين .

## فصل

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله إنَّما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وأَجَلٌ  
مُنْتَقَصٌ ، وبلاغٌ إلى غيرها ، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تعريج .

فرحِمَ اللهُ إِمْرًا فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ،  
بُسَّ الْجَارُ الْغَنِيِّ يَأْخُذُ بِمَا لَا يُعْطِيكَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنْ أُبَيَّتْ لَمْ يَعْذُرْكَ .

وقال إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ ، فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَمُفْسِدَةٌ لِلْجِسْمِ ،  
وَمُؤَدِّيَةٌ إِلَى السَّقَمِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوَّتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرْفِ ، وَأَصْحُ  
الْبَدَنِ ، وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَاتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ،  
وَمَهْدُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبُوا ، وَتَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُزَعَجُوا ، فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفٌ  
عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ حَقٌّ ، وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْإِنْدَارِ .

ومرَّتْ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ جَنَازَةٌ فَقَالَ يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ مَا أَبْلَغَهَا وَأَسْرَعَ  
نَسْيَانَهَا يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَاقَفَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً ثُمَّ قَالَ يَا لَهَا مِنْ غَفْلَةٍ  
شَامِلَةٍ لِلْقَوْمِ كَانَتْهُمْ يَرَوْنَهَا فِي النَّوْمِ مَيِّتٌ غَدٍ يَدْفَنُ مَيِّتُ الْيَوْمِ .

شعرا :

ما أنت والرشا الأحوى تُغازله والركب تسأل عنه بانه الوادي

وَفَدَّ أَظْلَكَ جَيْشٌ لِلرَّدَى لَجِبٌ      مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ لَوْ أَنَّهَا مَثَلَتْ  
 كَالْبَحْرِ يُوَصَّلُ أَمْدَادًا بِأَمْدَادٍ      لَا يَمْنَعُ الْمَرْءَ مِنْهَا رَأْسُ شَاهِقَةٍ  
 شَخْصًا لِأَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ وَقَادٍ      وَأَنْتَ غَادٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَمَا  
 وَلَا يُرَدُّ شَبَاهَا نَسْجُ زَرَادٍ      كَأَنْنِي بِكَ مَصْرُوعًا لِيُوطَأَتِهِ  
 لَدَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ يُرْجَى وَلَا فَادٍ      قُمْ قَدْ أُتَيْتَ وَلَا مَنَجِي وَلَا وَزَرَ  
 هَذَا أَوْانُ مَعَارِ الْفَارِسِ الْعَادِ      صِيحَ بِاللَّيْثِيِّ وَبِالْقَصْرِ الْمَشِيدِ عَسَى  
 لِلْوَيْلِ أَصْبَحْتَ مِنْ رَكْضِ وَإِنْشَادِ      يَا رَاقِدًا وَعُيُونُ الْمَوْتِ سَاهِرَةٌ

وقال مالكُ بن دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ رَأَيْتُ الْبَادِيَةَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ شَابًا عَلَيْهِ  
 ثوبَانِ خُلِقَانٍ وَعَلَيْهِ آثَارُ الدُّعَاءِ وَأَنْوَارُ الْإِجَابَةِ فَعَرَفْتُهُ وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَهْدْتُهُ  
 بِالْبَصْرَةِ ذَا ثَرْوَةٍ وَحُسْنِ حَالٍ وَكَانَ ذَا مَالٍ وَأَمَالٍ قَالَ فَبَكَيْتُ لِمَا رَأَيْتُهُ عَلَى  
 تِلْكَ الْحَالِ .

نَلِمَا رَأَى بَكَى وَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ وَقَالَ لِي يَا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ مَا تَقُولُ فِي عَيْدِ  
 أَبَقٍ مِنْ مَوْلَاهُ ، فَبَكَيْتُ لِقَوْلِهِ بِكَاءٍ شَدِيدًا ، فَقُلْتُ لَهُ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْكِينُ  
 ذَلِكَ ، الْبِلَادُ بِلَادِهِ ، وَالْعِبَادُ عِبَادِهِ ، فَأَيْنَ يَهْرَبُ الْمَسْكِينُ .

فَقَالَ يَا مَالِكُ سَمِعْتُ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ  
 خَافِيَةٌ ﴾ فَأَحْسَسْتُ فِي الْحَالِ بِنَارٍ وَقَعَتْ بَيْنَ ضُلُوعِي فَلَا تَحْمُدُ وَلَا تَهْدَأُ مِنْ  
 ذَلِكَ الْيَوْمِ ، يَا مَالِكُ أَتَرَانِي أَرْحَمُ وَتَطْفَأُ هَذِهِ الْجَمْرَةَ مِنْ قَلْبِي .

فَقُلْتُ لَهُ أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَوْلَاكَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ إِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى  
 مَكَّةَ شَرَفَهَا اللهُ تَعَالَى لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ إِذَا التَّجَأَ إِلَى الْحَرَمِ اسْتَحَقَّ مُرَاعَاةَ  
 الذَّمِّ .

قال مَالِكُ ففَارَقَنِي وَمَضَى فَتَعَجَّبْتُ مِنْ وُقُوعِ الموعِظَةِ مِنْهُ مَوْقِعَهَا ، وما  
تَأَجَّجَ بَيْنَ جَنِّيهِ مِنْ نَارِ التِّيْقِظِ وَالإِنَابَةِ وما حَاصِلَ عَلَيْهِ مِنْ صِدْقِ وَحُسْنِ  
الاسْتِمَاعِ .

وَذِي بَيَانٍ إِذَا مَا قَالَ أَوْ حَظَبًا أَتَى بَسْهَلٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مُتَمَتِّعٍ  
جَزَلٍ يُصِيبُ المَعَانِي آيَةً عَجَبًا فَلَوْ تَمَيَّعَ أَضْحَى مَشْرَبًا سَلِسًا  
رَمْتُهُ هَذِي المَنَايَا وَهِيَ صَائِبَةٌ سَهْمًا فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمْتُهُ كَبَا  
فَأخْرَسْتُهُ فَمَا يُبْدِي بِضَاحِكَةٍ وَلَا يُرْدُ جَوَابًا هَانَ أَوْ صَعْبًا  
وَبَاتَ مُطْرَحًا فِي قَعْرِ مُوْحِشَةٍ غَبْرَاءَ مُصْطَفَقِ الأَحْشَاءِ مُسْتَلَبًا  
أَعْطَى يَدِيهِ لِذُنْيَاهُ بِمَا طَلَبْتَ إِذْ أَدْرَكَ الدُّودُ مِنْ جَنِّيهِ مَا طَلَبَا

اللهمَّ انظِمْنا في سِلْكِ جِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، واجعلنا مِنْ عِبادِكَ المُخْلِصِينَ  
وآمِنًا يَوْمَ الفَرَجِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الدينِ ، واحشُرنا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ  
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ  
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فَضْلٌ

واحتَضِرَ أَحَدَ العُبادِ فَقَالَ ما تَأْسِفُنِي عَلَى دارِ الهُؤُومِ وَالأنْكَادِ وَالأَحْزَانِ  
والخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَإِنَّمَا تَأْسِفُنِي عَلَى لَيْلَةٍ نَمَتُّهَا وَيَوْمَ أَفْطَرْتُهُ وَسَاعَةَ غَفَلْتُ فِيهَا  
عَنْ ذِكْرِ اللهِ ثُمَّ ماتَ رَحِمَهُ اللهُ .

ولما حضرت إبراهيم التَّحَمِي الوفاةُ بكى فقیل له في ذلك فقال إني أنتظرُ رسولاً يأتي من ربي لا أدري هل يُشّرني بالجنة أو بالنار .

ولما احتضِر سلمانُ الفارسي رضی الله عنه بكى ، فقیل له ما يبكيك ، فقال والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن عهدتُ تعهدهُ إني رسولُ الله ﷺ قال ليكنُ بلاغُ أحدكم كرادِ الرابكِ فلما ماتَ نظرُوا في جميع ما تركَ فإذا هو ثلاثون درهماً وكان أميراً على المدائن ، مدائن كسرى .

ويروى أن عمر بن العاص رضی الله عنه لما دنا منه الموتُ دعا بحرسه ورجاله فلما دخلوا عليه قال هل تُغنون عني من الله شيئاً قالوا لا قال فاذهبوا وتفرقوا عني .

ثم دعا بماءٍ فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال احمِلوني إلى المسجد ففعلوا وحمَلوه فقال استقبلوا بي القبلة ففعلوا .

فقال اللهم إنك أمرتني فعصيتُ وأتمنتني فحنتُ وحددت لي فتعدتُ اللهم لا بريء فأعتذرُ ولا قوي فانتصرُ بل مُذنبٌ مُستغفرٌ لا مُصرٌّ ولا مُستكبرٌ .

ثم قال : ( لا إلهَ إلا أنتُ سبحانَكَ إني كُنتُ مِنَ الظالمين ) فلم يزل يُردُّدها حتى مات .

ولما حضرت معاويةُ الوفاةُ رضی الله عنه قال أقعدوني فأقعده فجعَل يذُكرُ اللهَ ويُسبِّحُه ويُقدِّسُه .

ثم قال مُحاصِماً نفسه الآنَ تذكُرُ ربَّكَ يا معاويةُ بعد الإنحطامِ والإنهدامِ ألا كانَ ذلكَ وغصنُ الشَّبابِ نضيرَ ريانٍ وبكا حتى علا بُكاؤه ثم قال :



هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي أَخَذَرُ مِنْهُ الْمَوْتَ أَذْهَى وَفَطَعُ  
 ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ ارْحَمِ الشَّيْخَ الْعَاصِي ذَا الْقَلْبِ الْقَاسِي ، اللَّهُمَّ أَقِلْ الْعَثْرَةَ ،  
 وَاغْفِرِ الرَّثَّةَ ، وَجُدْ بِحِلْمِكَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ ، وَلَا وَثِقَ بِأَحَدٍ سِوَاكَ .  
 ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ يَزِيدَ يَا بُنَيَّ إِذَا وَفَى أَجْلِي فَاعْمِدْ إِلَى الْمُنْدِيلِ الَّذِي فِي الْخِزَانَةِ  
 فَإِنَّ فِيهِ ثَوْبًا مِنْ أَثْوَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُرْأَصَةَ مِنْ شَعْرِهِ وَأَطْفَارِهِ ، فَاجْعَلِ الثَّوْبَ  
 مِمَّا يَلْبَسِي جَسَدِي وَاجْعَلْ أَكْفَانِي فَوْقَهُ وَاجْعَلِ الْقُرْأَصَةَ فِي فَمِي وَأَنْفِي وَعَيْنِي .  
 فَإِنْ نَفَعَنِي شَيْءٌ فَهَذَا فَإِذَا جَعَلْتُمُونِي فِي قَبْرِي فَخَلُّوا مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمِ  
 الرَّاحِمِينَ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ  
 بِذِي طَوَى وَلَمْ أَلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا .

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ يُبْكِيَنِي بَعْدَ  
 الْمَفَازَةِ ، وَقِلَّةُ الرَّادِ ، وَضَعْفُ الْيَقِينِ ، وَالْعَقَبَةُ الْكَوْوُدُ الَّتِي الْمَهْبَطُ مِنْهَا إِمَّا إِلَى  
 الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِيِّ الْوَفَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ وَأَنَا  
 الْيَوْمَ أَرْجُوكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِجَرِي الْأَنْهَارِ  
 وَلَا لِغُرْسِ الْأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِظَمِّ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَمَكَابِدَةِ السَّاعَاتِ  
 وَمُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ فِي حَلْقِ الذِّكْرِ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ النَّزْعُ جَعَلَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ عَمْرَةٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يَا رَبِّ شَدِّدْ  
 شِدَاتِكَ وَاحْنِقْ حَنْقَاتِكَ فَوَعَزَّتْكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبُكَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ مَا أَبْكِي  
حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا وَلَا جَزَعاً مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنْ ظَمَأِ  
الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ .

وَيُرَوَى عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِمْرَأَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهَا  
قَالَتْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَمْرَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَحْفِ عَلَيْهِمْ مَوْتِي  
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِ قَرِيبٍ  
مِنْهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَابٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ  
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَمْ أَسْمَعْ لَهُ حَرَكَةً وَلَا كَلَاماً فَقُلْتُ لِوَصِيْفٍ عِنْدَهُ ( أَي  
خَادِمٍ ) أَنْظِرْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَنَعَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا صَاحَ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا  
هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ .

تَفَانُوا جَمِيعاً فَلَاحِ مَخْبِرٍ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْحَبِيرُ  
وَصَارُوا إِلَى مَالِكِ قَاهِرٍ عَزِيزٍ مُطَاعٍ إِذَا مَا أَمْرُ  
تُرُوحٍ وَتَعُدُّ بَنَاتُ الثَّرَى وَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ  
فِيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُومًا أَمَالِكُ فِيمَا تَرَى مُعْتَبِرُ  
لَقَدْ لَقِيَ الْقَوْمُ مَا قَدَّمُوا فِيمَا نَعِيمٍ وَإِنَّمَا سَقَرُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ  
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ سِرِينَ الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ أَبُوكِي  
لِتَفْرِيطِي فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَقِلَّةِ عَمَلِي لِلْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ وَمَا يُنْجِنِي مِنَ النَّارِ  
الْحَامِيَةِ .

وَلَمَّا حَضَرَ أَبَا عَطِيَّةَ الْمَوْتِ جَزَعَ فَقَالُوا لَهُ أَتَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ فَقَالَ وَمَا لِي  
لَا أَجَزَعُ وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَلَا أَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِي .

وَكَانَ الْجُنَيْدُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ وَيُصَلِّي فَخَتَمَ فَقِيلَ لَهُ فِي  
مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَالَ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِذَلِكَ وَهِيَ هِيَ ذَا تُطَوَّى  
صَحِيفَةُ عَمَلِي ثُمَّ كَبَّرَ وَمَاتَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِسَلِيمَانَ التَّيْمِيِّ قِيلَ أَبْشِرْ فَقَدْ كُنْتَ مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى فَقَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا فَإِنِّي لَا أَدْرِي مَا يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ قَالَ  
بَعْضُهُمْ عَمَلُوا أَعْمَالًا كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهَا حَسَنَاتٌ فَوَجَدُوهَا سَيِّئَاتٌ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ الْوَفَاةَ غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَالَ يَا بُعْدَ  
سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبُوكِي  
لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوَيْخُ نَفْسَهُ وَيَعْظُمُهَا ، يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ  
إِنْصِرَامِهَا ، وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيْلِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا .

فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ وَقَدْ تَشَقَّقْتُ ، ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ تَحَقَّقْتُ ، وَبِوَجْهِ الْمُتَّقِينَ  
وَقَدْ اشْرَقَتْ ، وَبِرُؤْسِ الْعُصَاةِ وَقَدْ أَطْرَقَتْ قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَوْ تَرَى

إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً  
 إنا موقنون ﴿ يا نفسُ أما الـورعـونَ فقد جئوا ، وأما الخائفون فقد استعدوا ،  
 وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الـوعظونَ فقد نصحوا وصاحوا العلمُ  
 لا يـحصـلُ إلا بالنـصـبِ والمال لا يـجمـعُ إلا بالتعب أيها العبدُ الحريص على  
 تخليص نفسه إن عزمْتَ فبادرْ وإن هممتْ فتأبر ، واعلم أنه لا يُدرك العز  
 والمفاخر من كان في الصف الآخر .

وقال آخر إذا أزدت اللحاق بالمجدين وأنت صادق فاجعل نصب عينيك  
 قول الله جل وعلا : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ من خير محضاً وما  
 عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْلُو  
 كُلُّ نَفْسٍ ما أسلفت ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واستمع يوم يناد المنادي من مكان  
 قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ وَتَفَكَّرْ فِي بَهْتِكَ  
 وَحَيْرَتِكَ وَذَلِكَ وَانكساركِ وافتقاركِ وَقَلْتِكَ وَقَلْقِكَ وانزعاجك يَوْمَ لا تَجِدُ  
 إلا عَمَلَكَ الذي عَمَلْتَ وَسَعْيِكَ الذي سَعَيْتَ .

ثُمَّ تَفَكَّرْ - بَعْدَ تَفَكَّرِ فِيمَا سَبَقَ - فِي الصِّرَاطِ ، الَّذِي هُوَ الْجَسْرُ  
 الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، خَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ زِيَادِ  
 الثَّمِيرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ : « الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشَّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنْجُونَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ جِبْرِيْلَ لآخِذٌ بِحُجْرَتِي ، وَأَنْتِي لِأَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ،  
 فَالزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً قَالَ فِيهِ « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ هَلَى جَهَنَّمَ ،  
 وَتَجِلُّ الشَّفَاعَةُ ، فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟  
 قَالَ : « دَحْضُ مَرَلَةٍ ، فِيهِ حَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ ، فِيهَا

شُوَيْكَةَ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرَّيْحِ ،  
وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ، فَجَاحِ مُسَلِّمٌ ، وَمَخْلُوشٌ مُرْسَلٌ ،  
وَمُكَرَّدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ « خَرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

شِعْرًا :

واذْكَرَ رُقَادَكَ فِي الثَّرَى	فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ بِهِمٍ
قَدْ نُحِيتَ تِلْكَ الْحُلَى	وَاسْتَبْدَلْتَ تِلْكَ الرُّسُومَ
وَتَرِكْتَ وَيْحَكَ مُفْرَدًا	لَا أَهْلَ فِيهِ وَلَا حَمِيمٍ
حَيْرَانَ تَفْزَعُ لِلْبُكَاءِ	لَهْفَانَ تَأْنَسُ بِالْغُمُومِ
حَتَّى يُنَادِيَ بِالْوَرَى	فَتَقُومُ أَسْرَعَ مَا تَقُومُ
عَرِيَانَ مُصْطَفِقَ الْحَشَا	هِيمَانَ مُجْتَمِعِ الْهُمُومِ
وَالنَّاسُ قَدْ رَجَفَتْ بِهِمْ	حَرْبٌ هُنَا لِكُمُومِ عَقِيمِ
فِي مَازِقِ تَهْفُؤِ بِهِ	لَفْحَاتِ نِيرَانِ السُّمُومِ
وَبَدَتْ هُنَاكَ سَرَائِرُ	قَدْ كُنْتَ قَبْلَ لَهَا كَتُومِ
وَرَأَيْتَ فِي مَحْضُولِهَا	مَا شِئْتَ مِنْ نُحْسِرٍ وَشُومِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَاذْخِلْنَا  
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَتَمَلِّنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا  
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ وَخَرِّجْ مُسَلِّمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي  
هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي مَالِكٍ ، عَنْ رَبِيعِي ، عَنْ حُذَيْفَةَ كِلَاهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشُّفَاعَةِ ، وَفِيهِ قَالَ : « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ ، وَيُؤَدِّنُ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ حَبْتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أُولُوكُمْ كَالْبَرْقِ « قَالَ قُلْتُ : يَا بَنِي أُمَّتِي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرُّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الطَّيْرِ ، وَأَشَدُّ الرَّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَمُجْزُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا « قَالَ : « فِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِأَخْذِهِ فَمُحَدِّثٌ نَاجٍ ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ « وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنْ فَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ حَرِيْفًا .

وَرَوَى أَبُو الزَّرْعَاءِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَأْمُرُ اللَّهُ بِالصِّرَاطِ فَيَضْرِبُ عَلَى مَجْهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمْرًا زُمْرًا ، أَوَائِلُهُمْ كِلْمَحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَمَرُّ الْبَهَائِمِ ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعِيًّا ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشِيًّا ، حَتَّى يَجِيءَ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ بَطَّأَتْ بَنِي ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَبْطِئْ بِكَ ، إِنَّمَا بَطَّأَ بِكَ عَمَلُكَ « ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُلُوكِهِ ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْهَدَايَةِ ، فَمَنْ اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَنْحَرِفْ عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا بَلْ انْحَرَفَ عَنْهُ إِمَّا إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ أَوْ إِلَى فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ كَانَ اخْتِطَافُ الْكَلَالِيْبِ لَهُ عَلَى صِرَاطِ جَهَنَّمَ ، بِحَسَبِ اخْتِطَافِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ لَهُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَفَكَّرْ فِي أَهْوَالِ الصِّرَاطِ وَعَظَائِمِهِ ، وَمَا يَحُلُّ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الدَّعْرِ وَالْخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ، وَوُقُوعِ بَصْرِكَ عَلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَمَاعِكَ

شَهيقَهَا وَتَعْيُظُهَا عَلَى الْكُفْرَةِ ، وَقَدْ اضْطَرَّتْ إِلَى أَنْ تَمْشِيَ عَلَى الصَّرَاطِ  
 الَّذِي مَرَّتْ صِفْتُهُ وَصِفَةُ الْمُرُورِ عَلَيْهِ ، مَعَ ضَعْفِ حَالِكَ ، وَكَوْنِكَ حَافِيًا  
 عَارِيًا ، وَثِقَلِ الظَّهْرِ بِالْأَوْزَارِ عَنِ الْمَشْيِ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ ، فَضْلًا عَنْ  
 الْمَشْيِ عَلَى الصَّرَاطِ ، فَتَصَوَّرَ وَضَعَكَ رِجْلَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَاسَكَ بِحِدَّتِهِ ،  
 وَأَنْتَ مُضْطَرُّ إِلَى أَنْ تَرْفَعَ رِجْلًا وَتَضَعَ الْأُخْرَى ، وَأَنْتَ مُنْدَهَشٌ مِمَّا تَحْتَكَ  
 وَأَمَامَكَ ، مِمَّنْ يَتَوَّنَ ، وَآخَرُونَ يَزِلُّونَ ، وَآخَرُونَ يُخْطِفُونَ بِالْحَطَّاطِيْفِ  
 وَبِالْكَلاَيْبِ ، وَالْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ تَسْمَعُ لَهُ تَتَابَعًا وَدَوِيًّا ، وَتَنْظُرُ الَّذِينَ يَنْتَكِسُونَ  
 عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَآخَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَتَعْلَمُوا الْأَرْجُلَ ، فَيَا لَهُ مَنْ مَنْظِرٌ  
 فَظِيْعٌ ، وَمُرْتَقَى مَا أَصْعَبُهُ ، وَمَجَازٍ مَا أَضْيَقُهُ ، وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلُهُ ، وَمَوْقِفٍ مَا  
 أَشَقُّهُ ، وَكَأَنَّيْ بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّعْبِ وَالذُّعْرِ ، تَلَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَى مَنْ  
 حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ ، وَتُجِئِلُ فِيهِمْ بَصْرَكَ ، وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ قَدَامَكَ فِي جَهَنَّمَ ،  
 وَالزَّرْعَقَاتُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورُ قَدْ ارْتَفَعَتْ مِنْ فَعْرِ جَهَنَّمَ ، لِكثْرَةِ مَنْ يَزِلُّ عَنْ  
 الصَّرَاطِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » فَتَصَوَّرَ لَوْ  
 زَلَّتْ قَدَمُكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُكَ نَدْمُكَ ، وَتَحَسَّرُكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَلَا ﴿ يَوْمَئِذٍ  
 يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ .

أَجْنَبٌ جِيَادًا مِنَ التَّقْوَى مُضْمَرَةٌ لِلْسَّبْقِ يَوْمَ يَفُوزُ النَّاسُ بِالسَّبْقِ  
 تَمُرُّ مَرَّ الرِّيَّاحِ الْهَوُوجِ عَاصِفَةً أَوْ لَمَحَةِ الْبَرْقِ إِذَا يَجْتَازُ بِالْأُفُقِ  
 وَارْكُضْ إِلَى الْعَايَةِ الْقُصْوَى وَحَلِّ لَهَا عِنَانَ صِدْقٍ رَمَى فِي فِتْنَةٍ صِدْقٍ  
 فَإِنَّ خَلْفَكَ أَعْمَالًا مُبْطِئَةً وَلَسْتَ تَنْهَضُ إِلَّا وَبِكَ بِالْعَتَقِ  
 كَمْ حَلَّ عَزْمَكَ مِنْ ذُنُوبٍ مُعْرَجَةٍ بِقَصْدِكَ الْيَوْمَ عَنْ مَسْلُوكَةِ الطَّرِيقِ  
 يَا غَافِلًا وَالْمَنَايَا مِنْهُ ذَاكِرَةٌ وَضَاحِكًا وَالرَّدَى مِنْهُ عَلَى حَنَقٍ  
 قَطَعْتَ عَمْرَكَ فِي سَهْوٍ وَفِي سِنَةٍ وَمِنْ أَمَامِكَ لَيْلٌ دَائِمٌ الْأَرْقِ

وَرَبِّ رَأْيٍ تَرَاهُ الْيَوْمَ فِي سَفَهٍ عَقْلًا تَرَاهُ غَدًا فِي غَايَةِ الْحَرْقِ  
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النَّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمَوْهَلَةِ لِذَارِ الْخُلْدِ وَأَنْ  
يُوفِّقَ وَلَا تَنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَوْلَاءِ الْمُجْرِمِينَ ، وَرَدْعِهِمْ وَالزَّمَامِهِمْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ  
إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى  
تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

إِعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ أَنْ جَمِيعَ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَشُرُورِهَا وَأَحْزَانِهَا كَأَحْلَامِ نَوْمٍ أَوْ  
كَظَلِّ زَائِلٍ .

إِنْ أَضْحَكْتَ قَلِيلاً أَبْكَتْ كَثِيراً وَإِنْ سَرَّتْ يَوْماً أَوْ أَيَّاماً سَاءَتْ أَشْهُراً أَوْ  
أَعْوَاماً وَإِنْ مَتَّعْتَ قَلِيلاً مَنَعْتَ طَوِيلاً .

وَمَا حَصَلَ لِلْعَبِيدِ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ إِلَّا أَعْقَبَهُ أَحْزَانٌ وَشُرُورٌ كَمَا قِيلَ « مَنْ سَرَّهُ  
زَمَنْ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقَلَّهَا مِنْ بُسِطٍ  
لَهُ فِيهَا وَأَعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا .

لَأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَفَةً تَعْلُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاخُهُ ، أَوْ عَلَى جَمْعِهِ فَتُفَرِّقُهُ ، أَوْ تَأْتِي  
سُلْطَانَهُ فَتُهْدِمُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ .



أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتَسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَمِينٌ بِهِ مِنْ أَحْبَابِهِ .  
فَالدُّنْيَا أَحَقُّ بِالذَّمِّ هِيَ الْآخِذَةُ لِمَا أُعْطِيَتْ ، وَالرَّاجِعَةُ لِمَا وَهَبَتْ .  
وَيَتِمَّا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا هِيَ تُضْحِكُ مِنْهُ غَيْرُهُ .  
وَيَتِمَّا هِيَ تَبْكِي لَهُ إِذَا بَكَتْ عَلَيْهِ .  
وَيَتِمَّا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذَا بَسَطَتْهَا بِالْإِسْتِرْدَادِ .  
تَعْقِدُ النَّجَّاحُ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ بِالْتَّرَابِ غَدًا .  
سِوَاءَ عَلَيْهَا ذَهَابُ مَا ذَهَبَ وَبَقَاءُ مَا بَقِيَ تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خَلْفًا  
وَتَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا .

شِعْرًا :

بَأَمْرِ دُنْيَاكَ لَا تَغْفُلْ وَكُنْ حَذِرًا      فَقَدْ أَبَانَتْ لِأَرْبَابِ النَّهْيِ عِبْرًا  
فَأَيُّ عَيْشٍ بِهَا شَابَهُ غَيْرٌ      وَأَيُّ صَفْوٍ تَنَاهَى لَمْ يَصِرْ كَدْرًا

آخِر :

أَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ      وَدَعْ الشَّاعِلَ بِالَّذِي لَا يَنْفَعُ  
كَمْ رَامَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ جَاهِلٍ      لِيَفُوزَ مِنْهَا بِالَّذِي هُوَ يَطْمَعُ  
وَيَكُونُ فِيهَا أَمِنًا فِي سِرِّهِ      لَا يَخْتَشِي رَيْبًا وَلَا يَتَوَقَّعُ

قَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ ، وَلَا مَحَلِّ إِقَامَتِكُمْ  
دَارٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا الْفَنَاءَ وَأَوْجَبَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِهَا الرَّحِيلَ فَكَمْ مِنْ عَامِرٍ  
مُؤْنِقٍ وَمُحَسِّنٍ عَمَّا قَلِيلٍ سَتَخْرُبُ عِمَارَتُهُ ، وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ مُعْتَبِطٍ سَيَّرَحَلَ إِلَى  
الْمَقْبَرَةِ .

فَأَحْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرَّحْلَةَ وَاحْمِلُوا خَيْرَ مَا يَحْضُرُكُمْ لِلثَّقَلَةِ ،  
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

إن الدنيا كظليلٍ قَلَصَ فَذَهَبَ بَيْنَمَا ابْنُ آدَمَ يُنَافِسُ فِيهَا وَعَلَيْهَا يُضَارِبُ إِذْ  
دَعَا اللَّهَ بِقُدْرَةِ وَوَفَاةِ يَوْمٍ حَتْفِهِ فَسَلَبَهُ آثَارَهُ وَدُنْيَاهُ ، وَصَيَّرَ لآخِرِينَ مَصَانِعَهُ  
وَمَغْنَاهُ ، أَنَّ الدُّنْيَا مَا تَسُرُّ بِمَقْدَارٍ مَا تَضُرُّ إِنَّهَا تَسُرُّ قَلِيلًا ، وَتُحْزِنُ حُزْنًا  
طَوِيلًا .

شِعْرًا :

عَرَّتْ زَمَانًا بِمِلْكٍ لَا دَوَامَ لَهُ      جَهْلًا كَمَا غَرَّ نَفْسًا مَنْ يُمَنِّيهَا  
وَصَبَّحَتْ قَوْمَ عَادٍ فِي دِيَارِهِمْ      بِمُفْطَعِ يَوْمٍ عَادَتْهُمْ عَوَادِيهَا  
وَتُبَعًا وَتَمُودَ الْحَجَرِ غَادَرَهُمْ      رَبِيبُ الْمُتُونِ رَمِيمًا فِي مَعَانِيهَا  
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الْأَحْدَاثِ غَابِرُنَا      كَأَنَّا قَدْ أَظْلَلْنَا دَوَاهِيهَا  
وَخَطَبَ بَعْضُهُمْ :

فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا  
وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا وَتَعَوَّضُوا عَنْهَا .

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ وَإِنَّ غَايَةَ  
تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةَ وَتَهْدِيمِهَا السَّاعَةَ لَجَدِيدَةٍ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ وَأَنَّ غَايَةَ يَحْدُوهُ  
الْجَدِيدَانِ لَجَدِيدٍ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ بِالشِّقْوَةِ لِمُسْتَحِقِّ  
بِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .

اتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ  
عَنْهُ وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، وَيُزَيِّنُ الْمُعْصِيَةَ  
لِيُرَكِّبَهَا حَتَّى تَهْجِمَ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا وَأَنْسَى مَا يَكُونُ لَهَا ، وَأَنَّ  
مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ .

فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً أَوْ أَنْ تُؤَدِّيَهُ

أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تُقْصِرُّ بِهِ عَنْ طَاعَةِ  
مَعْصِيَةٍ وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ حَسْرَةً إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَعَالَ لِمَا يَشَاءُ .

قال بعضُ العلماءِ كُلُّ يَجْرِي مِنْ عُمُرِهِ إِلَى غَايَةِ تَنْتَهِي إِلَيْهَا مُدَّةُ أَجَلِهِ  
وَتَنْطَوِي عَلَيْهَا صَحِيفَةٌ عَمَلِهِ ، فَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَقَسْ يَوْمَكَ  
بِأَمْسِكَ ، وَكُفَّ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَزِدْ فِي حَسَنَاتِكَ ، قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِي مُدَّةَ  
الْأَجْلِ وَتَقْصُرَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ .

وفي كلام بعضهم أَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ أَمَانِيكَ سَتَرْدُ عَلَيْكَ وَتَرْجِعُ حَائِبَةً  
إِلَيْكَ ، وَأَنَّ السَّاعَاتِ تَهْدِمُ فِي جَسَدِكَ ، وَرُبَّمَا عَاجَلَتْكَ الْمَنِيَّةُ فِي سَاعَاتِكَ ،  
أَوْ فِي يَوْمِكَ ، أَوْ فِي غَدِكَ فَوْقَفْتِكَ عَلَى غَشِّكَ ، وَظَلَمِكَ ، وَأَطَالَتْ فِي  
كَرْبِكَ ، وَزَادَتْ فِي غَمِّكَ وَأَرْثِكَ مَا لَمْ تَعْهَدْ ، وَأَشْهَدْتِكَ مَشْهَدًا مَا مِثْلُ  
مَشْهَدِ .

وما تَبَيَّنَ فِي دُنْيَاكَ هَذِي	سَتَلْقَاهُ مِنْ الْأَيَّامِ هَذُمُ
وَجِسْمُكَ وَيَكُ أَسْرَعُهُ أَنْهَدَامَا	وَهَلْ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ جِسْمُ
وَمَنْ تَتَّبَعُهُ تَابِعَهُ الْمَنَايَا	مُحَالٌ أَنْ تَبْقَى مِنْهُ رَسْمُ
وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَنُونٌ	يُضَاعَفُ بَيْنَهَا كَرْبٌ وَغَمٌ
وَلَكِنْ بَعْدَهَا يَوْمٌ عَصِيبٌ	طَوِيلُ الْكَرْبِ ذِكْرَاهُ تَصْمٌ
وَمَا تِلْكَ الْكُرُوبُ كَمَا عَهْدْنَا	وَلَا هِيَ مَا يُعْبَرُ عَنْهُمْ فَهَمٌ
وَلَا تَعْتَرِ بِالْأَسْمَاءِ جَهْلًا	قَرَّبَتْ مَعْنَيْنِ عَلَيْهِمَا اسْمٌ
يُسَمَّى الْكُوكَبُ الدَّرِّيُّ نَجْمًا	وَمُنْبَسِطُ النَّبَاتِ كَذَاكَ نَجْمٌ

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

خَطَبَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ حُطْبَةً بَلِيغَةً فَقَالَ : إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ  
بَعْدِ الْمَوْتِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
تُبْعَثُونَ ﴾ .

وَتُوقَفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتُجَزَّوْنَ بِهَا فَلَا تُعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا بِالْبَلَاءِ  
وَالْمَصَائِبِ مَخْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْقَدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى  
زَوَالٍ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوْلٌ وَسِجَالٌ .

لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلُمُ مِنْ شَرِّهَا نُزَالُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا وَرِخَاءُ وَسُرُورِ  
وَتَعْيِيرِ وَحُبُورِ إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورِ ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالرِّخَاءُ فِيهَا  
لَا يَدُومُ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهَا بِسِيَاهِمَا وَتَقْصِمُهُمْ  
بِحِمَامِمَا ، وَكُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْلُورٌ وَحِظَةٌ فِيهَا مَوْفُورٌ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى  
مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشاً وَأَعَمَرَ دِيَاراً  
وَأَبْعَدَ آثَاراً فَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةٌ حَامِدَةٌ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَقْلِبِهَا وَأَصْبَحَتْ  
أَجْسَادُهُمْ بِالِيَةِ وَدِيَارُهُمْ عَلَى عُرُوشِهَا خَاوِيَةٌ وَآثَارُهُمْ عَافِيَةٌ .

وَاسْتَبْدَلُوا الْقُصُورَ الْمُشَيَّدَةَ ، وَالسُّرُرَ ، وَالتَّمَارِقَ الْمُمَهَّدَةَ بِالتُّرَابِ  
وَالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمَسْنَدَةَ فِي الْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ  
وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّشِينَ .

لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُرْمَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْخَيْرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ وَالْجَوَارِ وَدُثُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصِلٌ وَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْجِنَادِلُ وَالثَّرَى وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا وَبَعْدَ نَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا .

فَجِعَ بِهِمُ الْأَحْبَابُ وَسَكَنُوا تَحْتَ التُّرَابِ ظَعْنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ فَكَانَ صِرْتُهُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَوْتِ وَارْتَهَنَتْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعِ .

فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمْ الْأُمُورَ بُعِثَرِ الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الدُّنُوبِ وَهَتَكَتِ الْحُجُبُ وَالْأَسْتَارَ وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ قَالَ اللَّهُ جَل جَلَالِهِ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا	كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سُرُورُهَا ضَرَّرَ	أَمَانُهَا غَرَّرَ أَنْوَارُهَا ظَلَمٌ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ	لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْأَنْكَادِ صَاحِبُهَا	لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضَمِنَتْ أَرْمٌ
فَحَلَّ عَنْهَا وَلَا تَرَكْنَ لِزَهْرَتِهَا	فَائِئِهَا نِعَمٌ فِي طَيْبِهَا نِقَمٌ
وَاعْمَلْ لِدَارِ نَعِيمٍ لَا تَفَادِلُهَا	وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ

وَمَا قَالَه أَحَدُ الْحُكَمَاءِ فِي الدُّنْيَا لِيَكُنْ نَظْرُكَ إِلَى الدُّنْيَا اعْتِبَارًا وَرَفْضُكَ لَهَا اخْتِيَارًا وَطَلْبُكَ الْآخِرَةَ ائْتِنَارًا .

وقال بعضُ العلماء من عَجِيب ما تَقَدَّتْ مِنْ أحوالِ الناسِ كثرة ما نأخُوا  
على خَرَابِ الدِيَارِ وَمَوْتِ الأَقَارِبِ والأَسْلَافِ والتَّحَسُّرِ على الأَرْزَاقِ بِذَمِّ  
الرِّمَانِ وَأَهْلِهِ وَذِكْرِ نَكِدِ العَيْشِ فِيهِ .

وَقَدْ رَأَوْا مِنْ أُنْهَادِ الإِسْلَامِ وَمَوْتِ السُّنَنِ وَظُهُورِ البِدْعِ وَارْتِكَابِ  
المَعَاصِي وَتَقْضِي العُمُرِ فِي الفَارِغِ الَّذِي لَا يُجِدِي والقَبِيحِ الَّذِي يُؤَبِّقُ  
وَيُؤْذِي .

فَلَا أَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ عَلَى دِينِهِ وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ عُمُرِهِ وَلَا آسَى عَلَى  
فَأْتِ دَهْرِهِ .

وَمَا أَرَى لِذَلِكَ سَبَبًا إِلَّا أَعْدَمَ مُبَالَاتِهِمْ فِي الأَذْيَانِ وَعِظَمَ الدُّنْيَا فِي عُيُونِهِمْ .  
ضِدًّا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بالبَلَاغِ وَيُؤُوحُونَ عَلَى الدِّينِ اهـ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ الفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، واجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِينَ الدِّينَ  
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا  
فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ البَلَايَا ، وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ  
وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ مَعَ الدِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ  
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

وقال رحمه الله واعلم رحمتنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا إذا عدم فلم يوجد .

فانتبه أيها الأهي قبل هجوم الموت ، المال تقتره والعمر ما يهتك ذهابه سهلاً ولا نسبة بين المال والعمر ولا تعرف قدر ضياع عمرك إلا بعدما تموت وتطوى صحيفتك فلا يزداد فيها ولا ينتقص وتندم ولات ساعة ندم .

يا أيها الساهون عن أخراهم إن الهداية فيكم لا تعرف  
المال بالميزان يُصرف عندكم والعمر بينكم جزافاً يُصرف

آخر :

مر الشباب ولم أقدر أرجعه ولم أحييه إلا بعد ما انصرفا  
والمرء يجهل قدر الشيء يمكنه حتى إذا فاته إمكانه عرفا

الأ ترى رحمتنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الصّحة لا يعرف قدرها على الحقيقة إلا المرضى ، والعافية لا يعرف مقدارها إلا المبتلى ، وكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا الموتى لأنهم قد ظهرت لهم الأمور وتبينت لهم الأشياء وانكشفت لهم الحقائق ، وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الأعمال الصالحة ، إذ ليس ينفق هناك إلا عمل صالح زكي ، ولا يرتفع هناك إلا عبد تقى .

وكلما ازداد هنا عملاً صالحاً كان هناك أرفع درجة وأشرف رتبة ، وأكثر وجاهة ، وكلما ازداد في الدنيا من الأعمال الصالحة فضيلة كان أقرب إلى الله وسيلة .

فَلَمَّا اسْتَبَانَ لَهُمْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا مِقْدَارَ مَا ضَيَعُوا وَبِقِيَمَةِ مَا فِيهِ فَرَطُوا نَدِمُوا  
وَأَسْفُؤًا وَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ إِلَى الدُّنْيَا رَجَعُوا وَإِلَى حَالَتِهِمُ الْأُولَى رُدُّوا وَكُلٌّ عَلَى  
حَالِهِ .

فَالَّذِي عَمِلَ صَالِحًا يَودُّ لَوْ رَجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَازْدَادَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَأَكْثَرَ  
مِنْ مَتَجَرِّهِ الرَّابِحِ ، وَالْمَقْصُرُ يَودُّ لَوْ رُدَّ فَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ وَنَظَرَ فِيمَا فَرَطَ فِيهِ .  
فَالْمُفْرَطُ الْمُهْمَلُ بِالْجُمْلَةِ يَكُونُ تَمَنِّيهِ الرَّجُوعُ أَكْثَرَ وَحِرْصُهُ عَلَى الْإِقَالَةِ  
أَشَدَّ كُلِّ يَتَكَلَّمُ عَنْ حَالِهِ وَيُخْبِرُ عَمَّا هُوَ فِيهِ حَتَّى قَالَ الشَّهِيدُ الَّذِي قُتِلَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا قِيلَ لَهُ مَا تَسْتَهَيِّ قَالَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى  
وَذَلِكَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ ﴿ رَبِّ ارْجِعْ لِي أَعْمَلْ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

وَقَالُوا : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ . قَالُوا وَمَا نَدَامَتُهُ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ إِزْدَادًا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ  
لَا يَكُونَ نَزْعًا » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى الْقُبُورِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ فَنَامَ  
فَرَأَى صَاحِبَ الْقَبْرِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ  
تَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ وَلَعَنَ تَكُونَ كَعَتَاكَ فِي صَحِيفَتِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا  
فِيهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مَاتَ أَخِي لِي فِي اللَّهِ فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ يَا فَلَانُ  
مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ عِشْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ لِي لِأَنَّ أَقْدِرَ يَعْنِي عَلَيَّ أَنْ  
أَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ تَرَ حَيْثُ  
كَانُوا يَدْفُنُونِي فَإِنَّ فَلَانًا جَاءَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لِأَنَّ أَكُونَ أَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ أَصْلِيهِمَا  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .



أَلَا تَرَى رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى نَدْمِهِمْ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَتَأْسُفِهِمْ عَلَى تَضْيِيعِهِمْ ،  
 نَدِمُوا وَاللَّهُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ وَطَلَبُوا مَا لَا يُمَكِّنُ ، وَسَأَلُوا فِيمَا لَا يَجُوزُ  
 عَلَى حَالِهِمْ ، وَلَمْ يُسْعَفُوا فِي سُؤَالِهِمْ وَبَقِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ .

شِعْرًا مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ :

أَيُّهَا الْمَاشِي بَيْنَ الْقُبُورِ      غَافِلًا عَنِ حَقِيقَةِ الْمَقْبُورِ  
 أَنَا مَيِّتٌ كَمَا تَرَانِي طَرِيحٌ      بَيْنَ أَطْبَاقِ رَضْمَةٍ وَصُحُورِ  
 أَذُنٌ مِنِّي أَنْبِيكَ عَنِّي      وَلَا يُنَبِّئُكَ عَنِّي مِثْلُ خَبِيرِ  
 أَنَا فِي بَيْتِ غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ      مَعَ قُرْبٍ مِنْ جَبْرَةٍ وَعَشِيرِ  
 لَيْسَ فِيهِ مُؤَنِّسٌ غَيْرَ سَعْيِي      مِنْ صِلَاحِ سَعْيَتِهِ أَوْ فُجُورِ  
 وَكَذَا أَنْتَ فَاتَّعِظْ بِي وَإِلَّا      فَعَذِيرِي مِنْكَ الْعِدَّةَ عَذِيرِ

فَمَنْ رَأَى قَبْرًا فَإِنَّمَا رَأَى وَأَعْظَا صَامِتًا يَعْظُهُ وَمُذَكَّرًا يُذَكِّرُهُ فَإِن كَانَ الْقَبْرُ  
 سَاكِنًا فَإِنَّهُ نَاطِقٌ وَوَاعِظٌ بِلِسَانِ الْحَالِ وَمُفْصِحٌ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي الْمَالِ فَكَأَنَّ  
 الَّذِي يُحَاطَبُكَ إِنْسَانٌ وَيُبَيِّنُ لَكَ عَاقِبَتَكَ وَيَقُولُ لَكَ يَا هَذَا كُنْتَ حَيًّا مِثْلَكَ  
 وَقَدْ مُتَ وَكَذَلِكَ أَنْتَ تَمُوتُ فَتَاهِبُ .

تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ :

يَا رَبِّ يَا مَنْ هُوَ الْعَلَامُ فِي الْأَزَلِ      بِالسِّرِّ وَالْجَهْرِ مِنْ قَوْلِي وَمِنْ عَمَلِي  
 ثَبَّتْ بِفَضْلِكَ قَلْبِي يَا رَحِيمُ وَجُدْ      لِي بِالرِّضَا وَاعْفُ يَا رَحْمَنُ عَن زَلِّي  
 ( جَرَّائِمِي لَسْتُ أَحْصِيهَا لِكَثْرَتِهَا      أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي عَنْهَا تَجَاوَزْ لِي  
 حَسْبِي رِضَاكَ وَلَا أَرْجُو سِوَاكَ وَلَا      أَحْصِي ثَنَّاكَ وَإِنِّي فِيكَ ذُو أَمَلٍ )  
 خَلَقْتَنَا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ      وَسَوْفَ تَبْعَثُنَا لِلْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ  
 ذَنْبِي عَظِيمٌ وَقَلْبِي خَائِفٌ وَجِلٌّ      وَمِنْكَ يُرْجَى أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

رَبِّ اكْفِنِي شَرَّ نَفْسِي وَاللَّعِينِ وَهَبْ  
زَادَتْ عُيُوبِي فَاَمَنْ رَوْعَتِي وَأَقِلْ  
سَهْلٌ بِفَضْلِكَ رِزْقِي وَاعْغِيبْ أَبَدًا  
شُغْلْتُ بِاللَّهِوِ عَنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ وَلَمْ  
صَبَّأْتِي عَظُمْتَ إِذْ مُقَلَّتِي حُرِمْتَ  
ضَيَّعْتَ عُمْرِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ  
أَرْجُوكَ عَفْوَكَ يَا مَنْ قَدْ تَنَزَّهُ عَنْ  
ظَنِّي جَمِيلٌ بِهِ أَرْجُو النَّجَاةَ غَدًا  
عَامَلْتَنِي مِنْكَ بِالْأَلطَافِ وَالْمِنَنِ  
عَطَى الصَّدَا قَلْبِي الصَّادِي فَعَنَّهُ أَرْلُ  
فَإِنَّ لِي فِيكَ ظَنًّا لَمْ يَزَلْ حَسَنًا

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ  
لِيُبْلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا  
مُنْجِيَ الْهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ إِذْفَنَّا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَثَلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرَّرُ  
بِهِ عُيُوبُنَا مِنْ رُؤُوسِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

### فوائد ومواعظ وحكم وقصص

قال بعض العلماء رحمه الله من ملك من الدنيا شيئاً فتناوله وأمسكه ليُقومَ  
به في حقوق الله تعالى فهو ماجور .

وإنما هرب منها من هرب لضعف قلبه وقلة يمينه خاف من نفسه أن يفتتن

بِهَا وَتُصَيَّبُهُ حَلَاوُثُهَا وَأَفْرَاحُهَا حَتَّى تُثْلِيَهُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ .

فَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةَ .

وَالصِّدِّيقُونَ أَهْلَهُمْ حُبِّ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ .

فَلَمْ يُلْهِهِمُ الْمَالُ لِأَن حَلَاوَةَ حُبِّ اللَّهِ غَالِبَةٌ عَلَى حُبِّ الْمَالِ .  
وَمَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ عَظَمَةُ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ لَمْ يَبْقَ لِلْمَالِ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ السُّلْطَانِ مَا يَغْلُبُ عَلَى قَلْبِهِ مَا فِيهِ مِنْ عِلْمِهِ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ .

وَقَالَ آخَرَ : الْعَجَبُ أَن تَعْرِفَ اللَّهَ ثُمَّ لَا تُحِبُّهُ .

وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيَهُ ثُمَّ تَتَأَخَّرَ عَنِ الْإِجَابَةِ .

وَأَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ الرَّبِّحِ فِي مُعَامَلَتِهِ ثُمَّ تُعَامِلَ غَيْرَهُ .

وَأَنْ تَذُوقَ أَلَمَ الْوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَا تَطْلُبُ الْأَنْسَ بِطَاعَتِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، وَأَنَّكَ أَخْرَجَ شَيْءًا إِلَيْهِ وَفِيهَا

يُبْعِدُكَ عَنْهُ رَاغِبٌ .

شِعْرًا :

بِأَفْلَاسِي وَذُلِّي وَأَنْفِرَادِ	أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ
زَمَانًا مَا بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِ	وَهَا أَنَا وَقِفْتُ بِالْبَابِ أَبْكِي
فَقَدْ بَعْدَ الطَّرِيقِ وَقَلَّ زَادِ	عَسَى عَفْوٌ يُبَلِّغُنِي الْأَمَانِي
وَفِيكَ تَأَلَّهِي وَبِكَ اعْتِمَادِي	فَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انْتِصَارِي
وَمِنْكَ عَلَى الْمَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي	وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي
وَحَقِّكَ مَا أَحْوَلُ عَنِ الْوِدَادِ	وَلَوْ أَقْصَيْتَنِي وَقَطَعْتَ حَبْلِي

فَجُدْ بِالْعَفْوِ يَا مَوْلَايَ وَارْحَمْ عُنَيْدًا ظَلَّ عَنْ طَرِقِ الرَّشَادِ  
وَقَدْ وَافَى بِبَابِكَ مُسْتَجِيرًا يَخَافُ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْبِعَادِ  
وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ الْبَرِّ حَقًّا شَفِيعِ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ

قال بعضهم إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن بالله وإذا فرحوا بالدنيا فافرح  
أنت بالله وبفضله ورحمته قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ  
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله وطاعته وإذا تعرفوا إلى ملوكهم  
ورؤسائهم وكبرائهم وتقرّبوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى  
الله وتودّد وتضرّع إليه تنل غاية العزة والرفعة .

من نتائج المعاصي قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد  
القلب ، وعمى البصيرة ، وحمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق ،  
والوحشة مع الرب ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق بركة  
العمر ، ولباس الذل ، وضيق الصدر .

لا تُحَدِّثِ مَنْ تَخَافُ تَكْذِيبَهُ وَلَا تَسْأَلِ مَا تَخَافُ مَنَعَهُ وَلَا تَعُدْ  
مَا لَا تَمَكِّنُ مِنْ إِنْجَارِهِ وَلَا تَضْمَنْ مَا لَا تَثِقُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَلَا تُقَدِّمِ عَلَى أَمْرٍ  
تَخَافُ الْعَجْزَ عَنْهُ .

وتوكل على الله في كل أمورك .

لا تشاور مشغولاً وإن كان فطيناً حازماً لا يحتاجه إلى التفكير ،  
ولا جائعاً وإن كان فهماً لودعياً ، ولا محتسب البول أو الريح أو الغائط ،  
ولا خائفاً وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان فطيناً لأن هؤلاء أفكارهم  
عليها تشويش .

لا تُجَالِسُ إِلَّا الْعُقَلَاءَ الْعُلَمَاءَ فَإِنَّ الْعُقُولَ تُلْفَحُ الْعُقُولُ وَانظُرْ إِلَى مَنْ نَشَأُ  
عِنْدَ النِّسَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالْعَوَامِ ، وَقَارِنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ نَشَأُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ  
الْعِلْمِ ، تَجِدُ بَيْنَهُمْ بُونٌ كَمَا بَيْنَ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ .

قال بعضُ العلماءِ مُجَالِسةُ الْعُقَلَاءِ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ مَعْنِينِ إِمَّا تُذَكِّرُ  
الْحَالَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْعَاقِلُ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ لَهَا ، أَوْ الْإِفَادَةَ بِالشَّيْءِ الْخَطِيرِ الَّذِي  
يَحْتَاجُ الْإِنْسَانَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

وسئِلُ آخَرَ : أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال : مَنْ إِذَا حَاوَرْتَهُ وَجَدْتَهُ  
حَكِيمًا ، وَإِذَا غَضِبَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَهَرَ كَانَ كَرِيمًا ، وَإِذَا اسْتَمْنَحَ مَنْحَ  
جَسِيمًا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدُ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ إِلَيْهِ وَجَدَ  
رَجِيمًا .

### مَوْعِظَةٌ

اخْوَانِي انكُم فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيقُ  
كَثِيرَةٌ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزُودُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَدَارِكُوا هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ  
الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنْ  
الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنْ  
الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِي بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِعَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ،  
قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْأَيْنُ وَالزَّفْرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتِ ،  
قَبْلَ أَنْ يَعْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْعَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تَزْعُجُوا مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ  
أَنْ تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهِيَ هَاتِ .

شعرا :

مَا دَارُ دُنْيَاً لِلْمُقِيمِ بِدَارٍ وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيْسَةُ الْأَقْدَارِ

مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ  
 طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا  
 وَالْعَيْشُ يَعْقُبُ بِالْمَرَارَةِ حُلُوهُ  
 وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بِنِيَّاتِ الرَّدَى  
 وَالْمَرْءُ كَالطَّيْفِ الْمُطِيفِ وَعُمُرُهُ  
 خَطْبٌ تَضَاءَلَتْ الْخَطُوبُ لَهُوْلَهُ  
 نَلْقَى الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلَهُ  
 إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا مَشِيداً وَانْتَهَوْا  
 سُلِبُوا النَّصَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا  
 تَرَكُوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ  
 خَلَطَ الْحِمَامُ قَوِيَّهُمْ بِضَعِيفِهِمْ  
 وَالْحَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ  
 وَتَعَاقَبَ الْمَلُوفِينَ فِينَا نَائِرٌ

ثُمَّ إَعْلَمْ يَا أَحْيَى أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُمُ لِذَاتِهَا وَكَيْفَ يُدْمُ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ  
 وَمَا هُوَ ضَرُورَةٌ فِي بَقَاءِ الْآدَمِيِّ وَسَبَبٌ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ  
 مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْجِدٍ يُصَلِّي فِيهِ وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَخَذَ الشَّيْءَ مِنْ  
 غَيْرِ حِلِّهِ أَوْ تَنَاوَلَهُ عَلَى وَجْهِ السَّرْفِ لَا عَلَى مِقْدَارِ الْحَاجَةِ وَيُصَرِّفُ النَّفْسَ  
 فِيهِ بِمُقْتَضَى رُعُونَاتِهَا لَا بِإِذْنِ الشَّرْعِ فَالْعَاقِلُ يَجْعَلُهَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فَيَنْفِقُهَا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْمَشَارِيعِ الدِّينِيَّةِ مِنْ طِبَاعَةِ مَصَاحِفٍ وَكُتُبِ دِينِيَّةٍ وَعِمَارَةِ مَسَاجِدِ  
 وَبَذْلِ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ وَتَفَقَّاتٍ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يُسَبُّ الدُّنْيَا فَقَالَ  
 لَهُ : إِنَّهَا لَدَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غَنَى لِمَنْ  
 تَزَوَّدَ مِنْهَا .

مَسْجِدُ أَحْبَابِ اللَّهِ ، وَمَهْبِطُ وَحْيِهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ .  
اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّ الدُّنْيَا وَقَدْ آذَنْتِ  
بِفِرَاقِهَا ، وَنَادَتْ بِعَبِيهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَمَثَلَتْ بِيَلَائِهَا وَشَوَّقَتْ  
بِسُرُورِهَا إِلَى أَهْلِ السَّرُورِ .

فَذَمَّهَا قَوْمٌ عِنْدَ النَّدَامَةِ وَمَدَحَهَا آخَرُونَ ، حَدَّثْتَهُمْ فَصَدَقُوا وَذَكَرْتَهُمْ  
فَذَكَّرُوا .

فِيهَا أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِالدُّنْيَا الْمُعْتَرُّ بِغُرُورِهَا ، مَتَى اسْتَلَامَتْ إِلَيْكَ الدُّنْيَا ، بَلِ  
مَتَى غَرَّتْكَ أِبْمِضَاجِعُ آبَائِكَ تَحْتَ الثَّرَى ، أَمْ بِمَصَارِعِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى .  
كَمْ قَلْبٌ بِكَفَيْكَ وَمَرَّضَتْ بِيَدِكَ تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ وَتَسْأَلُ لَهُ الْأَطِبَاءَ فَلَمْ  
تَظْفُرْ بِحَاجَتِكَ وَلَمْ تُسْعَفْ بِطَلْبَتِكَ قَدْ مَثَلَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ  
غَدًا وَلَا يُغْنِي عَنْكَ بُكَاءُكَ وَلَا يَنْفَعُكَ أَحْبَابُكَ .

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
فَبَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تُذَمُّ مُطْلَقًا وَأَنَّهَا تُحَمَدُ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى مَنْ تَزُودُ مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَأَنَّ فِيهَا مَسَاجِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ .  
وَهِيَ دَارُ التِّجَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا بِهَا الْجَنَّةَ فَهِيَ نِعَمَ  
الدَّارِ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ .

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهَا تَغْرُ وَتَخْدَعُ فَإِنَّهَا تُنَادِي بِمَوَاعِظِهَا وَتَنْصَحُ بِعِبَرِهَا  
وَتُبْدِي عُيُوبَهَا بِمَا تُرَى مِنْ أَهْلِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْهَلَكَى .

وَتَقْلِبُ الْأَحْوَالَ مِنَ الصِّحَّةِ إِلَى السُّقْمِ وَمِنَ الشَّيْبَةِ إِلَى الْهَرَمِ وَمِنَ الْغِنَى  
إِلَى الْفَقْرِ وَمِنَ الْعِزِّ إِلَى الذُّلِّ وَلَكِنْ مُحِبِّهَا قَدْ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ حُبُّهَا . انتهى اهـ .

وقال بعض العلماء :

إِعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا يَشْعَلُ عَنِ اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَكُلَّمَا لَكَ فِيهِ حَظٌّ وَغَرَضٌ وَنَصِيبٌ وَشَهْوَةٌ وَلَذَّةٌ فِي عَاجِلِ الْحَالِ قَبْلَ الْوَفَاةِ فَهِيَ الدُّنْيَا .  
وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ بَلِ الْمَذْمُومُ الْمَنْهِيُّ عَنِ مَحَبَّتِهِ هُوَ كُلُّ مَا فِيهِ حَظٌّ عَاجِلٌ وَلَا ثَمَرَةٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

وَإِذَا سَمِعْتَ بِذَمِّ الدُّنْيَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ رَاجِعاً إِلَى زَمَانِهَا الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْمُتَعَاقِبَانِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَهُمَا خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا .  
وَلَيْسَ الذَّمُّ رَاجِعاً إِلَى مَكَانِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْأَرْضُ وَلَا إِلَى مَا أَنْبَتَهُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ .

فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِمَا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالَ بِذَلِكَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ .

قَالَ جَلُّ وَعَلَا : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ .

وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَفْعَالُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْمَعَاصِي الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ كَالشِّرْكِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَتَرْكِ الزَّكَاةِ أَوْ الصُّومِ أَوْ الْحَجِّ وَكَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ كِرَاهَاةِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بَغَيْرِ حَقٍّ أَوْ ظَلَمٍ أَوْ شَهَادَةِ زُورٍ وَكَذَا الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .



شِعْرًا :

مِنْ يَدُمُ الدُّنْيَا فِي بِي  
وَعَطَّتْنَا بِكُلِّ شَيْءٍ لَوَانًا  
نَصَحْتَنَا فَلَمْ نَرِ النَّصِيحَ نَصِيحًا  
أَعْلَمْتَنَا أَنَّ الْمَالَ يَقِينًا  
كَمْ رَأَيْنَا مَصْرَعَ الْأَهْلِ وَالْ  
وَلَكُمْ مُهْجَةً بِزَهْرَتِهَا اغْدُ  
أُتْرَاهَا أَبْقَتْ عَلَى سَبَابِ مِنْ  
يَوْمٍ بُوسٍ لَهَا وَيَوْمٍ رَحَاءِ  
وَيَقِينُ زَوَالِ ذَلِكَ وَهَذَا  
دَارُ زَادٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا  
مَهْبِطُ الْوَحْيِ وَالْمُصَلَّى الَّتِي كَمْ  
مَتَجَّرُ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ رَبِحُوا الـ  
رَغَبْتُ ثُمَّ رَهَبْتُ لِيَرَى كُ  
فَإِذَا أَنْصَفَتْ تَعَيَّنَ أَنْ يُثـ

بِطَرِيقِ الْإِنْصَافِ أَثْنِي عَلَيْهَا  
حِينَ جَادَتْ بِالْوَعْظِ مِنْ مُصْطَفِيهَا  
حِينَ أُبِدَتْ لِأَهْلِهَا مَا لَدَيْهَا  
لِللَّيْلِ حِينَ جَدَّدَتْ عَصْرِيهَا  
أَحْبَابٍ لَوْ نَسْتَفِيقُ بَيْنَ يَدَيْهَا  
تَرَّتْ فَادَمَّتْ نَدَامَةً كَفَيْهَا  
قَبْلَنَا حِينَ بَدَلَتْ جَنَّتِيهَا  
فَتَزَوَّدَ مَا شِئْتَ مِنْ يَوْمِيهَا  
تَسْأَلُ عَنِ مَا تَرَاهُ مِنْ حَادِثِيهَا  
وَعُرُورٍ لِمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهَا  
عَفَرَتْ صُورَةَ بِهَا حَدِيثِيهَا  
حَجَّةَ فِيهَا وَأُورِدُوا عَيْنِيهَا  
لِ لَيْبِ عُقْبَاهُ مِنْ حَالَتِيهَا  
سَنِي عَلَيْهَا الْبَارُّ مِنْ وَلَدِيهَا

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا  
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا  
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا  
مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ  
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ تُبْذُورُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْمُوَآخَذَةِ .

وَلَمَّا نَزَلَتْ بِكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ﴾ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسِبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ وَالشَّرِيكَانِ يَتَحَاسَبَانِ بَعْدَ الْعَمَلِ .

وقال الحسنُ المؤمنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ يُحَاسِبُهَا اللَّهُ وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ عَلَى قَوْمٍ حَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ . وَفِي حَدِيثٍ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا شَعَلَهُ الطُّيْنُ فِي صَلَاتِهِ فَتَدَبَّرَ شُغْلُهُ .

فَجَعَلَ حَائِطَهُ صَدَقَةً لِلَّهِ تَعَالَى نَدْمًا وَرَجَاءً لِلْعَوَاضِ مِمَّا فَاتَهُ وَتَأْدِيبًا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أعدى عدو له نفسه التي بين جنبيه وقد خلقت أماراً بالسوء أماراً بالشر فرارة من الخير .

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِتَرْكِهَا وَتَقْوِيمِهَا وَقَوْدِهَا بِسَلْسِلِ الْعَبْرِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا وَمَنْعِهَا عَنْ لَذَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُهْلِكَةِ .

فَإِنْ أَهْمَلَهَا شَرِدَتْ وَجَمَحَتْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ لَازَمَهَا بِالتَّوْبِخِ وَالتَّقْرِيعِ وَالمُعَابَةِ وَالعَدْلِ وَالمَلَامَةِ وَلَمْ يَغْفُلْ عَنْ تَذَكِيرِهَا وَعِتَابِهَا اعْتَدَلَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُمِهَلَتْ سَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطِمَتْهُ يَنْفِطِمِ .

ثم يقول لنفسه فمالك تفرحين وتضحكين وتشتعلين باللهو وأنت مطلوبة  
لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وبين يديك إحدى منزلتين الجنة أو النار  
فكيف يهنؤك نوم أو يلد لك مأكول أو مشروب وأنت لا تدرين في أي الفريقين  
تكونين ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ .

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المكانين تنزل  
وقل لها أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس آت .  
أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة  
وأنة لا يأتي في شتاء دُونَ صيف ولا في صيف دُونَ شتاء ولا في نهار دُونَ ليل  
ولا في ليل دُونَ نهار ولا يأتي في الصبأ دُونَ الكبر ولا في الكبر دُونَ الصبا .  
بل كل نفس يمكن أن يأتيها الموت بغتة فإن لم يأت الموت بغتة  
جاء المرض لا محالة ثم المرض يُفضي إلى الموت فمالك يا نفس لا تستعدين  
والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فَهَكَذَا مُعَامَلَةُ الزَّهَادِ وَالْعِبَادِ فِي تَوْيِخِ أَنْفُسِهِمْ وَعِتَابِهَا فَإِنَّ مَطْلَبَهُمْ مِنَ  
الْمُنَاجَاةِ الْاسْتِرْضَاءِ وَمَقْصُودُهُمْ مِنَ الْمُعَاتَبَةِ التَّنْبِيهِ وَالِاسْتِرَاعَاءِ .  
فَمَنْ أَهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وَتَوْيِخَهَا وَأَهْمَلَ مُنَاجَاتَهَا لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيًا  
فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ أَحْوَالِ أَنْفُسِنَا وَغُرُورِهَا .

شِعْرًا تَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ :

أَتَيْتُكَ رَاجِيًا يَا ذَا الْجَلَالِ	فَفَرَّجْ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي
عَصَيْتُكَ سَيِّدِي وَوَلِيِّي بِجَهْلِي	وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي
إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا	إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي
لَعَمْرِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي	وَلَمْ أُغْضِبْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي
فَهَا أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَقِيرٌ	إِلَى رَحْمَاكَ فَاقْبَلْ لِي سُؤَالِي

فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تُعَاقِبْ مُحِقاً بِالْعَذَابِ وَبِالتَّكَاثُرِ  
قَالَ بَعْضُهُمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا تَرْحَمُهُ ، وَوَلَدٌ يَعْقُهُ وَلَا يَعْذُرُهُ ،  
وَجَارٌ سُوءٌ لَا يَأْمَنُهُ ، وَصَاحِبٌ مُتَمَلِّقٌ لَا يَنْصَحُهُ ، وَشَرِيكَ لَا يَنْصِفُهُ ،  
وَعَدُوٌّ حَسُودٌ لَا يَهْدُوٌّ عَنِ عِدَاوَتِهِ وَأَذِيَّتِهِ .

وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَتَهَيُّ عَنِ الْخَيْرِ ، وَدُنْيَا مُتَزَيِّنَةٌ ، وَهَوَىٌّ مُهْلِكٌ ،  
وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ لَهُ ، وَغَضَبٌ قَاهِرٌ ، وَشَيْطَانٌ مُغْوِيٌّ مُزَيِّنٌ لَهُ الْمَعَاصِيَ وَضَعْفٌ  
مُسْتَوَلٌّ عَلَيْهِ .

فَإِنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَلَطَفَ بِهِ وَأَنْقَذَهُ أَنْفَهَرَتْ لَهُ هَذِهِ كُلُّهَا وَإِنْ تَخَلَّى عَنْهُ  
وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَأَهْلَكَتَهُ .

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَرَى إِلَى فِرَاشِهِ وَيَنْظُرُ مَا  
كَسَبَ فِي يَوْمِهِ مِنْ حَسَنَةٍ فَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا .

وَمَا اكْتَسَبَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُهَا مِنْهَا وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ وَيُرْتَّبُ  
أَعْمَالَهُ الْمُسْتَقْبَلَةَ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا مُسْتَغْرَقَةً فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ وَيُكْثِرُ سُؤَالَ اللَّهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

شِعْرًا :

لَيْبِكِ عَلَى الشَّيْبَةِ مَنْ بَكَاهَا	كَمَا أَبْكِي عَلَيْهَا مِلءَ جَفْنِي
وَمَنْ يَكُ بَاتَ ذَا حُزْنٍ عَلَيْهَا	فَمِثْلِي فَلَيْبِتُ فِي فَرْطِ حُزْنِ
وَمَنْ يَكُ سَالِيًا يَوْمًا فَإِنِّي	قَطَعْتُ عِلَاقَ السُّلْوَانِ عَنِي
عَجِبْتُ لِبَاكِي رَسْمًا لِلدَّارِ	عَفْتُ آثَارَهَا أَوْ سِيرَ ظَعْنِ
وَيَتْرُكُ نَفْسَهُ يَبْكِي عَلَيْهَا	وَقَدْ جُبِلَتْ عَلَى ضَعْفٍ وَوَهْنِ

وَقَدْ صَاحَ الْحِمَامُ بِهَا أَجِيبِي      إِلَامَ وَفِيمَ وَيَلِكُ ذَا التَّانِي  
 وَمِنْ بَعْدِ الْحِمَامِ لَهُ حَدِيثٌ      يُرِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ كُلِّ فَن  
 حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ      يُبَيِّنُ لَهُ الْيَقِينَ مِنَ التَّظَنِّي  
 وَعُمُرٌ يَنْقُضِي فِي غَيْرِ شَيْءٍ      وَلَكِنْ فِي الْمُحَالِ مِنَ التَّمَنِّي  
 وَيَعْدُلُنِي إِذَا أُرْسَلْتُ دَمْعاً      عَلَى وَجَنَاتِ ذِي حُسْرِ وَغَبْنِ  
 يَا صَاحِ وَالْبَلَوَى ضُرُوبٌ      وَدَعْتُكَ لِلَّذِي تَهْوَى فَدَعْنِي  
 إِذَا أَنَا لَمْ أَبْكِ ذَهَابَ عُمْرِي      فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَبْكِيهِ عَنِّي

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَجْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْنَا مِنَ الْفَرَعِ  
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالرِّزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ  
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

## فصل

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ حِرْصُهَا عَلَى عِمَارَةِ الدُّنْيَا وَالتَّكْثُرِ مِنْهَا .  
 وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 وَالْعَاقِلُ مَنْ يَعْمَلُ لِدَارِ قَرَارِهِ لَا لِمَرَاجِلِ سَفَرِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ لِلدَّارِ  
 الْآخِرَةِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعَبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ  
 يَبْتَنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْآخِرَةُ  
 خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ  
 الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ومن عُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلَى أَنْ يَقْسَى الْقَلْبُ ،  
وَعِلَاجُهَا كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالتَّوْبَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَمُدَاوَمَةُ  
التَّهَجُّدِ ، وَالصِّيَامِ وَمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ .

ومن عُيُوبِهَا سُرُورُهَا بِمَدْحِهَا وَطَلَبُهَا الرَّاحَةَ ، وَهِيَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَقْلِ .  
وعلاجها التِّيَقُّظُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَعِلْمُهَا بِتَقْصِيرِهَا فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ وَارْتِكَابِهَا  
مَا نُهِىَ عَنْهُ وَتَوَطُّينَهَا بِأَنَّ الدُّنْيَا لَا سُرُورَ فِيهَا وَلَا رَاحَةَ .

وَأَنَّهَا سَجَنٌ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ  
الْكَافِرِ » فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَيْشُهُ فِيهَا عَيْشَ الْمَسْجُونِينَ .

ومن عُيُوبِهَا الْإِعْجَابُ بِطَاعَاتِهَا وَالْمَنَّةُ بِهَا وَنِسْيَانُ الْمُنْقِصَاتِ لِلْأَعْمَالِ  
وَمُدَاوَأَتِهَا أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَفْعَالَهَا وَإِنْ أَخْلَصَتْهَا فِيهَا مَعْلُومَةٌ بِأَنَّ أَفْعَالَهَا لَا تَخْلُو مِنْ  
الْعِلَلِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فِي إِسْقَاطِ رُؤْيَا اسْتِحْسَانِهِ مِنْ أَفْعَالِهَا .

ومن عُيُوبِهَا قِلَّةُ الْإِعْتِبَارِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ أَمْهَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِي ذُنُوبِهِ ، وَمُدَاوَأَتِهَا  
دَوَامُ الْحَشِيَّةِ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِمْهَالَ لَيْسَ بِإِمْهَالٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسَائِلُهُ .

شعرا :

فِيَا رَبِّ إِنَّ الْعَبْدَ يُخْفِي عُيُوبَهُ فَاسْتُرْ بِحِلْمِكَ مَا بَدَأَ مِنْ عَيْبِهِ  
وَلَقَدْ أَتَاكَ وَمَالَهُ مِنْ شَافِعٍ لِدُنُوبِهِ فَاقْبَلْ شَفَاعَةَ شَيْبِهِ

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ الْعَقْلَةُ وَالتَّسْوِيفُ وَالتَّوَانِي وَالِإِصْرَارُ ، وَتَقْرِيبُ  
الْأَمَلِ ، وَتَبْعِيدُ الْأَجَلِ ، وَمُدَاوَأَتِهَا بِتَوْبَةٍ تَحِلُّ الْإِصْرَارَ وَخَوْفِ يُزِيلُ  
التَّسْوِيفَ وَرَجَاءٍ يَبْعَثُ عَلَى قَصْدِ مَسَالِكِ الْعَمَلِ وَذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى  
اِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَإِهَانَةِ النَّفْسِ بِتَقْرِيبِهَا مِنَ الْأَجَلِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْأَمَلِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ رُؤْيُهَا الشَّفَقَةَ عَلَيْهَا وَمُدَاوَاتُهَا رُؤْيَهُ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي  
جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ تَأَلُّفُ الْحَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ فَتَسْتَحْكِمَ عَلَيْهَا الْمَخَالَفَاتِ .  
وَمُدَاوَاتُهَا رَدُّ تِلْكَ الْحَوَاطِرِ فِي الْإِبْتِدَاءِ لِئَلَّا تَسْتَحْكِمَ وَذَلِكَ بِالذِّكْرِ  
الدَّائِمِ وَمُلَازِمَةِ الْحَوْفِ بِالْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَعْلَمُ مَا فِي سِرِّكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ  
وَعَلَا : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :  
﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ .

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى  
وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ اشْتِغَالُهَا بِإِصْلَاحِ الظَّاهِرِ لِزِينَةِ وَغَفْلَةُ عَنِ إِصْلَاحِ  
الْبَاطِنِ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَعَلَّاجُهَا أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُكْرِمُونَهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي  
قُلُوبِهِمْ .

وَيَعْلَمُ أَنَّ بَاطِنَهُ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِصْلَاحِ مِنَ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ  
مَوْضِعُ نَظَرِ الْخَلْقِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى  
قُلُوبِكُمْ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَاءِ تَبَارَكَتْ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي  
إِلَهِي لَيْنُ أَبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي  
إِلَهِي لَيْنُ جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي  
إِلَهِي لَيْنُ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا  
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُرِغْ  
إِلَهِي فَانْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي  
إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا  
وَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ شَفَاعَةِ أَحْمَدٍ  
وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوحِّدٌ

إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْرَعُ  
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشْفَعُ  
فَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ  
فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أُرْتَعُ  
فُوَادِي فَأَيْتِي خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ  
إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ  
بُنُونَ وَلَا مَالَ هُنَاكَ يَشْفَعُ  
وَصُحْبَةَ أَحْيَارِ هُنَاكَ خُضَّعُ  
وَنَاجَاكَ أَقْوَامٌ بِبَاكَ تُحْشَعُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ ،  
وَأَمَّا يَوْمَ الْفِرَاقِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ  
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

## فَضْلٌ

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ مَحَبَّتُهَا الْخَوْضِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَحَدِيثِهَا ، وَمُدَاوَاتُهَا  
الِاسْتِغْثَالَ بِالْفِكْرِ الدَّائِمِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ ،  
وَالْكُرُوبِ ، وَالْأَهْوَالِ ، وَالْبَغْثِ ، وَالنُّشُورِ ، وَالْحِسَابِ ، وَالْمِيزَانِ ،  
وَالصِّرَاطِ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

فَفِي التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا يُشْغِلُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَالْخَوْضِ فِيمَا  
هُمُ ضَائِعُونَ فِيهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْينُهُ فَيَتْرُكُهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْينُهُ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .



وَمِنْ عُيُوبِهَا إِظْهَارُ الطَّاعَاتِ وَمَحَبَّةُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ أَوْ يَرَوْهُ .  
وَعَلَّاجُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ نَفْعُهُ وَلَا ضَرُّهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا :  
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ  
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ  
يَمْسَسْكَ بَخِيرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَيَجْتَهِدُ فِي مُطَالَبَةِ نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِئُرِيَلَ عَنْهُ هَذَا الْعَيْبُ  
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال تعالى :  
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلِلَّهِ الدِّينَ الْخَالِصُ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾  
الآية .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ  
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : « أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ  
عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهَ » رواه مسلم .

وعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
يَقُولُ أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ  
إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ » أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ .

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ  
الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغْيَ بِهِ وَجْهَهُ » رواه أبو داود والنسائي .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجهه » أخرجه الطبراني بإسناد لا  
 بأس به .

سُئِلَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ مَا أَخْلَصَ الْعَمَلِ وَمَا أَصَوَّبُهُ قَالَ إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ  
 خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى  
 يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ .

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا وَتَنْجُوَ مِنْ يَوْمٍ مَهُولٍ عَصَبَصِبِ  
 وَتُحْطَى بِجَنَاتٍ وَحُورٍ خَرَائِدِ وَتَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجِبِ  
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا عَزِيزًا حَمِيدًا نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبِ  
 فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْئَلْكَ سَبِيلَهَا هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَهْلِ التَّقَرُّبِ  
 فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالَ الَّذِي لَهُ يُوَالِي وَأَنْغِضْ فِي الْإِلَهِ وَأَحْبِبِ  
 فَمَنْ لَمْ يُعَادِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ يُوَالِي وَلَمْ يُنْغِضْ وَلَمْ يَتَحَبَّبِ  
 فَلَيْسَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدِ وَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبِ  
 وَأَخْلَصْ لِمَوْلَاكَ الْعِبَادَةَ رَاغِبًا إِلَيْهِ مُنِيبًا فِي الْعِبَادَةِ مُدْتَبِ  
 مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا مُتَكْرِهًا وَلَا مُبْغِضًا أَوْ سَالِكًا مِنْهَجًا وَبِ  
 وَكُنْ سَلِسًا سَهْلًا لَيْسًا مُهْدَبًا كَرِيمًا طَلِيقَ الْوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ  
 إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْنُو إِلَى مِنْهَجِ التُّقَى فَخَيْرِ الْوَرَى أَهْلُ التُّقَى وَالتَّقَرُّبِ  
 وَمَنْهَجُهُمْ خَيْرُ الْمَنَاجِحِ كُلِّهَا وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبِ  
 فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى لِكُلِّ مُوَحِدِ وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصِبِ  
 وَذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوَلِهِ لَبِتَّ لِعَمْرِي سَاهِدًا إِذَا تَقَلَّبِ  
 وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بِالْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا وَأَصْبَحْتَ فِيهَا خَائِفًا إِذَا تَرَقَّبِ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ

وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

وقال رحمه الله :

فَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ فَقْدَانُ لَذَّةِ الطَّاعَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ سُقْمِ الْقَلْبِ ،  
وَمُدَاوَاتُهَا أَكْلُ الْحَلَالِ وَمُدَاوَمَةُ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ طَلَبُ الرِّئَاسَةِ بِالْعِلْمِ وَالتَّكَبُّرِ وَالاِفْتِخَارِ بِهِ وَالمُبَاهَاةِ  
بِهِ ، وَمُدَاوَاتُهَا رُؤْيَةُ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لِأَحْكَامِهِ .

وَرُؤْيَةُ تَقْصِيرِ شُكْرِهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالحِكْمَةِ ، وَالتِّزَامِ  
التَّوَاضُعِ وَالإِنْكَسَارِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّصِيحَةِ لِعِبَادِ اللَّهِ .

فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ  
بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلَتَبَّوْا مَقْعَدَهُ مِنَ  
النَّارِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ إِزْدَادَ عِلْمًا فَلْيَزِدْ حَشْيَةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ أَيُّهَا الْعَالِمُ فَقَالَ إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ .

شعرا :

يَا رَبِّ حَقَّقْ تَوْبَتِي بِقَبُولِهَا وَاشْفِ الْقُلُوبَ بِأَمْرِكَ الْفَعَالِ

وَأَمَحُ الشَّقَاوَةَ بِالسَّعَادَةِ وَأَكْفِنِي  
 أَرْجُوكَ فِي الدَّارَيْنِ قَطَعَ عَلَائِقِي  
 عَوَّدْتَنِي اللَّطْفَ الْجَمِيلَ تَكْرُمًا  
 ثُمَّ أَكْسَبْنِي سِتْرَ الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ  
 وَبِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ يَا مَوْلَى الْوَرَى  
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ  
 بِكِفَايَةٍ يَرْتَأِحُ مِنْهَا بَالِي  
 عَمَّنْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوْلَى وَالْي  
 فَاجْعَلْهُ دَوْمًا يَا عَظِيمُ نَوَالِي  
 تِ وَبَعْدَهُ وَاشْمِلْ بِذَلِكَ عِيَالِي  
 إِجْعَلْ خِتَامَ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ  
 أَهْلَ الْوَفَا وَالصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ

ومما يعالج به العُجب والكِبَر والافتخار ما يلي :

أولاً : أن يَعْتَقِدَ وَيَجْزِمَ بِأنَّ التَّوْفِيقَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى  
 التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا اسْتَعْلَى بِشُكْرِ اللَّهِ .

الثاني : أن يَنْظُرَ إِلَى النِّعَمَاءِ الَّتِي تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِيهَا اسْتَعْلَى  
 بِشُكْرِ الْمُنْعَمِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

الثالث : أن يَخَافَ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ ، فَإِذَا اسْتَعْلَى بِخَوْفِ عَدَمِ الْقَبُولِ  
 ذَهَبَ عَنْهُ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ .

الرابع : أن يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ وَرَبْمَا أَنْ  
 يَكُونَ صَدَرَ مِنْهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يُحْبِطُ الْعَمَلَ ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ هَذَا خَافَ وَذَهَبَ  
 عَنْهُ عُجْبُهُ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ اسْتِكْشَافَ الضَّرِّ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُهُ ، وَرَجَاؤُهُ النَّفْعَ مِمَّنْ  
 لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَاهْتِمَامَهُ بِالرِّزْقِ وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ .

وَمُدَاوَنَةُ الرُّجُوعِ إِلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ  
 وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا  
 رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَمَا مِنْ  
 دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ .  
 وَمُدَاوَاتُهَا تَحْقِيقُهُ بِأَنَّهُ مَأْخُودٌ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ  
 قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا  
 تَفْعَلُونَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .  
 وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾  
 وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ  
 إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ الْآيَةَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ  
 فِي النَّارِ عَلَى مَنْأَخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ » .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ التَّمَنِّيِ ، وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا  
 يَعْقِبُ التَّمَنِّيَ أَيْجُرُّهُ إِلَى خَيْرٍ وَهُوَ مَا يُرْضِيهِ أَوْ يَجُرُّهُ إِلَى مَا يُسْخِطُهُ .  
 فَإِذَا أَتَقَنَ إِتِّهَامَ عَاقِبَةِ تَمَنِّيِهِ اسْقَطَ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى الرِّضَا  
 وَالتَّسْلِيمِ .

فَيَسْتَرِيحُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ  
 لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فَائِدَةٌ نَفِيْسَةٌ : يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَأَمَّلَهَا وَيَأْخُذَ لِمُسْتَقْبَلِهِ فِكْرَةً  
 قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَمْ أَزَلْ بُرْهَةً مِنْ عُمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ وَالتَّمَسُّسُ الْمُنْهَاجَ  
 الْوَاضِحَ وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ وَأَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَاسْتَدِلُّ عَلَى طَرِيقِ  
 الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ .

وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِ الْفُقَهَاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ  
 الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لِي .

ورأيت إختلافهم بحرًا عميقًا غرق فيه ناسٌ كثيرٌ وسَلِمَ مِنْهُ عِصَابَةٌ  
قليلة .

ورأيتُ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاةَ لِمَنْ تَبِعَهُمْ وَأَنَّ الْمَهَالِكَ لِمَنْ  
خَالَفَهُمْ .

ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ أَصْنَافًا مِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ  
عَزِيزٌ .

وَهُوَ مَنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ .

ومِنْهُمُ الْجَاهِلُ فَالْبُعْدُ مِنْهُ غَنِيمَةٌ .

ومِنْهُمُ الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرٌ لَهَا .

ومِنْهُمُ حَامِلُ عِلْمٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتَمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمِ وَالْعُلُوِّ .

يَنَالُ بِالدِّينِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

ومِنْهُمُ حَامِلُ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .

ومِنْهُمُ الْمُتَشَبِّهُ بِالنَّسَاكِ مُتَحَرِّجٌ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَادَ لِعِلْمِهِ وَلَا

مُعْتَمَدًا عَلَى رَأْيِهِ .

ومِنْهُمُ الْمُنْسُوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالِدَّهَاءِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .

ومِنْهُمُ مُتَوَادُونَ عَلَى الْهَوَى وَاقْفُونَ وَلِلدُّنْيَا يَدْلُونَ وَرِيَّاسَتَهَا يَطْلُبُونَ .

ومِنْهُمُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ عَنِ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالَبُونَ وَإِلَى

جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ وَفِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .

فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ وَفِي الْعُرْفِ مَوْتَى .

فَتَفَقَّدْتُ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضِيقْتُ بِذَلِكَ دَرْعًا فَفَقَّصَدْتُ إِلَى هُدَى

الْمُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاسْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ وَأَطَلْتُ

النَّظْرَ .

فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ  
أَتْبَاعَ الْهَوَى يُعْمِي عَنِ الرَّشْدِ وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى .  
فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَنْ قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًا  
لِطَلْبِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

حَدَّرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّزًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ  
الْبَيَانِ وَالتَّمَسُّسِ سَبِيلِ النِّجَاةِ لِنَفْسِي .

ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي  
التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ .  
وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .  
وَالْإِحْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

وَالْتَأْسِي بِرَسُولِهِ ﷺ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي  
الْأَشَارِ فَرَأَيْتُ إِجْتِمَاعًا وَاخْتِلَافًا وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ  
الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الْعَامِلِينَ  
بِرِضْوَانِهِ .

الْوَرَعِينَ عَنِ مَحَارِمِهِ الْمُتَأْسِينَ بِرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا  
أَوْلَيْكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .

فَالْتَمَسْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ  
بِأَثَرِهِمْ وَاقْتَبَسْتُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَائِضَهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ .

وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرَسًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا  
وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ وَهُمْ الْمُتَفَرِّدُونَ بِدِينِهِمْ .

فَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَخَشِيتُ بَعْتَةَ الْمَوْتِ أَنْ  
يَفْجَأَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عُمْرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ .

فَانْكَمَشْتُ فِي طَالِبِ عِلْمٍ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بُدْأً وَلَمْ أَقْصُرْ فِي  
الإِحْتِيَاظِ .

فَقَيَّضَ لِي الرَّءُوفُ بِعِبَادِهِ قَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِمْ دَلَائِلَ التَّقْوَى وَأَعْلَامَ  
الْوَرَعِ وَإِثَارَ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا .

وَوَجَدْتُ إِرْشَادَهُمْ وَوَصَايَاهُمْ مُوَافِقَةً لِأَفَاعِيلِ أُمَّةِ الْهُدَى .

وَوَجَدْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُصْحِ الْأُمَّةِ لَا يُرْجُونَ أَبَدًا فِي مَعْصِيَتِهِ وَلَا  
يُقَنْطُونَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَتِهِ .

يَرْضُونَ أَبَدًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى  
النِّعْمَاءِ يُجَبِّونَ اللَّهَ إِلَى الْعَبْدِ بِذِكْرِهِمْ أَيَادِيهِ وَإِحْسَانِهِ وَيَحْتَوْنَ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِنَابَةِ  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عُلَمَاءَ بَعْظَمَتِهِ تَعَالَى عُلَمَاءَ بَعْظِيمِ قَدْرَتِهِ وَعُلَمَاءَ بَكْتَابِهِ وَسُنَّتِهِ  
فُقَهَاءَ فِي دِينِهِ عُلَمَاءَ بِهَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَرِعِينَ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ تَارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ  
وَالْإِغْلَاءِ مُبْغِضِينَ لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ مُتَوَرِّعِينَ عَنِ الْاِغْتِيَابِ وَالظُّلْمِ مُخَالِفِينَ  
لِأَهْوَائِهِمْ مُحَاسِبِينَ لِأَنْفُسِهِمْ مَالِكِينَ لِجَوَارِحِهِمْ وَرِعِينَ فِي مَطَاعِمِهِمْ  
وَمَلَابِسِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مُجَانِبِينَ لِلشُّبُهَاتِ تَارِكِينَ لِلشَّهَوَاتِ مُجْتَرِّبِينَ بِالْبُلْغَةِ  
مِنَ الْأَقْوَاتِ مُتَقَلِّلِينَ مِنَ الْمُبَاحِ مُشْفِقِينَ مِنَ الْحِسَابِ وَجَلِيلِينَ مِنَ الْمَعَادِ عُلَمَاءَ  
بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَقَاوِيلَ الْقِيَامَةِ رَاجِينَ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَانَ جَزِيلِ الثَّوَابِ وَخَائِفِينَ  
مِنَ الْيَمِّ الْعِقَابِ وَذَلِكَ أَوْرَثَهُمُ الْخَوْفَ الدَّائِمَ وَالْهَمَّ الْمُقِيمَ فَشَغَلُوا عَنِ  
سُرُورِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَتَبَيَّنَ لِي فَضْلُهُمْ وَاتَّضَحَ لِي نَصْحُهُمْ وَأَيَقُنْتُ أَنَّهُمْ  
الْعَامِلُونَ بِطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَالْمَتَأَسُّونَ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْمَصَابِيحَ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِمْ  
وَالْهَادُونَ لِمَنْ اسْتَرَشَدَ أ . ه . قُلْتُ فَبِمَثَلِ هَؤُلَاءِ إِنْ وَجَدُوا فَلْيَقْتَدِ  
المقتدون .



ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا لَلْفَنَّا خُلِقْتَ      ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا دَارٌ مِضْمَارٍ  
 يا رَبِّ نُورٌ قُلُوباً طَالَمَا غَفَلْتَ      ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا عَبْرٌ أَسْفَارٍ  
 وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا      كَأَنَّا غَنَمٌ فِي يَتِّ جَزَارٍ  
 نَلْهُو وَنَلْعَبُ فِي دَارِ العُرُورِ وَمَا      فِي القَلْبِ مِنْ وَاِعِظْ نَاهِ بِإِنْدَارٍ  
 فَخُذْ لِنَفْسِكَ زَاداً لِلرَّحِيلِ إِلَى      دَارِ البِقَاءِ وَلَا تَرْحَلْ بِأَوْزَارٍ  
 أَيْنَ المُلُوكِ وَأَبْنَاءِ المُلُوكِ وَمَنْ      شَادُوا المِصَانِعَ مِنْ بَرٍّ وَجِبَارٍ  
 أَتَى عَلَى الكُلِّ مَا أودَاهُمْ وَسَطَا      رَبِيبُ المُنُونِ بِهَا امضَاءُ نَهَارٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الإِيمَانَ هَادِماً لِلسَّيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِماً  
 لِلحَسَنَاتِ ، وَوَقِنَا للأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ،  
 وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ  
 الأَحْيَاءِ مِنْهُمِ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النِّفْسَ لِأَمْرَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾  
 وقال جل وعلا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ  
 هِيَ المَأْوَى ﴾ .

فعلى الإنسان العاقل أن يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيَتَفَقَّدَهَا وَلَا يَغْفُلَ عَنْهَا وَيَنْظُرَ فِي  
 عُيُوبِهَا بِدِقَّةٍ وَيُصْلِحُهَا وَيُعَالِجُهَا بِالأَدْوِيَةِ النَافِعَةِ لَهَا مِمَّا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ .

وقال بعضُ العُلَمَاءِ أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَشَهْوَةِ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ لِأَنَّهُ أَصْلُ  
 جَمِيعِ الصِّفَاتِ المَذْمُومَةِ وَعَدَمُ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ أَصْلُ الصِّفَاتِ المَحْمُودَةِ ،

وذلك لأن الرضا عن النفس يُوجبُ تَعْطِيةَ عُيُوبِهَا وَمَسَاوِيهَا وَقَبَائِحِهَا فَيَصِيرُ قَبِيحًا حَسَنًا عِنْدَهُ كَمَا قِيلَ :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنِ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا

وَعَدَمُ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَاكَ يَتَّبِعُهُ نَفْسَهُ وَيَتَطَلَّبُ عُيُوبَهَا وَلَا يَغْتَرُّ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِتْقَانِ كَمَا فِي الشُّطْرِ الْأَخِيرِ مِنْ بَيْتِ الشَّعْرِ :

كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا

آخر : وَلَسْتُ بِرَاءِ عَيْبِ ذَاوَدِ كَلِيلَةٍ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا

وَأَعْلَمُ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ مَنْ رَضِيَ عَنِ نَفْسِهِ اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ اسْتَحْسَنَ حَالَ نَفْسِهِ وَسَكَنَ إِلَيْهَا اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ .

وَبِالْعَقْلَةِ يَنْصَرِفُ قَلْبُهُ عَنِ التَّفَقُّدِ وَالْمُرَاعَاةِ لِخَوَاطِرِهِ فَتَثُورُ جِنْتُهُ دَوَاعِي الشَّهْوَةِ عَلَى الْعَبْدِ .

وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ وَالْمَلَاظَمَةِ وَالتَّذْكِيرِ مَا يَدْفَعُهَا بِهِ وَيَهْرُسُهَا . فَتَصِيرُ الشَّهْوَةُ غَالِبَةً لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَمَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ فِي الْمَعَاصِي . وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ رِضَاهُ عَنِ نَفْسِهِ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ عَنِ نَفْسِهِ لَمْ يَسْتَحْسِنِ حَالَهَا وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهَا .

وَمَنْ كَانَ بِهَذَا الْوَصْفِ كَانَ مُتَيَقِّظًا مُنْتَبِهًا لِلطَّوَارِقِ وَبِالتَّيَقُّضِ وَالتَّنْبِيهِ يَتِمَكَّنُ مِنَ تَفَقُّدِ خَوَاطِرِهِ وَمُرَاعَاتِهَا .

وَعِنْدَ ذَلِكَ تَحْمُدُ نِيرَانُ الشَّهْوَةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا عَلَيْهِ غَلْبَةٌ وَلَا قُوَّةٌ فَيَضَعُ الْعَبْدُ جِنْتَهُ بِصِفَةِ الْعَقْلَةِ .

فإذا صار غنيماً كان مُجْتَنِباً لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ مُحَافِظاً عَلَى جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَصْلُ هَذَا عَدَمُ الرِّضَا عَنِ نَفْسِهِ .

فإذا جِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ عَدَمُ الرِّضَا عَنْهَا وَبِقَدْرِ تَحَقُّقِ الْعَبْدِ فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ يَصْلِحُ لَهُ حَالُهُ وَيَعْلُو مَقَامُهُ .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الْمُخْلِصُونَ يَذْمُونَ نَفْسَهُمْ وَيَتَهَمُونَهَا وَلَا يَرْضُونَ عَنْهَا .

قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالَفْهَا وَلَمْ يَجْرَهَا إِلَى مَكْرُوهِهَا فَهُوَ مَغْرُورٌ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانٍ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا .

وَكَيفَ يَرْضَى عَنْهَا عَاقِلٌ وَهِيَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا تَسْكُنْ إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ دَامَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرٌ : مَا رَضِيْتُ عَنْ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا الْعَبْدُ حَاسِبِ نَفْسَكَ فِي خَلَوَاتِكَ وَتَفَكَّرْ فِي انْقِضَاءِ مُدَّتِكَ ، وَذَهَابِ أَوْقَاتِكَ ، وَاعْمَلْ فِي زَمَانِ فَرَاغِكَ ، لَوْ قَتِ شِدَّتِكَ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » .

وَتَذَبَّرْ ، وَاحْرَصْ عَلَى مَا تَمَلَّأُ بِهِ صَحِيفَتِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَانظُرْ هَلْ نَفْسَكَ مَعَكَ أَوْ عَلَيْكَ فِي مُجَاهَدَتِكَ لَقَدْ سَعِدَ مَنْ حَاسَبَهَا ، وَفَازَ وَاللَّهِ مَنْ حَارَبَهَا وَقَامَ بِاسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ مِنْهَا ، وَطَالَبَهَا ، وَكَلَّمَهَا وَتَتَّ وَتَكَاسَلَتْ عَائِبَهَا وَوَبَّخَهَا وَكَلَّمَهَا تَوَقَّفَتْ جَذَبَهَا وَكَلَّمَهَا مَالَتْ إِلَى آمَالِ هَوَاهَا رَدَّهَا وَغَلَبَهَا .  
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا

وَطَالِبُوهَا بِالصُّدَقِ فِي الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تُطَالَبُوا وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا  
فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ  
لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ .

شِعْرًا :

تَجَهَّزِي بِجَهَازِ تَبْلُغِينَ بِهِ  
وَسَابِقِي بَعْتَةَ الْأَجَالِ وَأَنْكَمِشِي  
وَلَا تُكْذِي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي  
وَإِخْشِي حَوَادِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ  
عَنْ مُدْيَةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ  
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ  
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ  
فِي قَعْرِ مُوَحِّشَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ

يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبْنًا  
قَبْلَ اللِّزَامِ فَلَا مَلَجًا وَلَا غَوْنًا  
إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ الْبَاقِي وَمَا وَرَثًا  
وَاسْتَيْقِظِي لَا تَكُونِي كَالَّذِي بَحْنًا  
فَوَافَتْ الْحَرثَ مَحْرُوثًا كَمَا حُرِثًا  
أَوْ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْنًا  
فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنًا  
يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبْنًا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيُّقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ  
وَنُبِّهْنَا لِأَعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَقَّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَأَعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا  
وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ  
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ  
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

### مَوَاعِظُ وَفَوَائِدُ وَنِصَائِحُ

فِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ أَحْيَى قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ  
وَأَمْتُهُ بِالزُّهَادَةِ وَقُوَّةَ بِالْيَقِينِ وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ وَذِكْرَ الْمَوْتِ وَقَرُّرَهُ بِالْفَنَاءِ  
وَبَصْرَهُ بِفَجَاعِ الدُّنْيَا وَحَذْرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ ثَقَلْبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ  
وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَذَكْرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوْلِيَيْنِ وَسِرِّي فِي  
دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ وَأَنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ  
قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَجْبَةِ وَحَلُّوا فِي دَارِ غُرْبَةٍ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ هَبْرَتْ  
كَأَحْدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ إِلَى أَنْ قَالَ - يَا بُنَيَّ ، أَكْثَرَ  
مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرٍ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ  
أَخَذْتَ حِذْرَكَ وَشَدَّدْتَ لَهُ إِزْرَكَ وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ فَيَهْزُكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَ بِمَا  
تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَكَالِبُهُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ تَبَّأكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتْكَ لَكَ  
نَفْسُهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا فَإِنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يُهْرُ  
بَعْضُهَا بَعْضًا أَيْ يَنْبَحُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيْزَهَا ذَلِيلَهَا وَيَقْهَرُ كَبِيرَهَا  
صَغِيرَهَا نَعْمَ مُعَقَلَةٌ وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحَ  
عَاهَةٍ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا وَلَا مُقِيمٌ يَسِينُهَا سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى  
وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي خَيْرَاتِهَا وَعَرَفُوا فِي نِعْمَتِهَا  
وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ  
مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ  
مُقِيمًا .

وقال بعضُ السلفِ لَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصَى اللهُ ، تَمَنَيْتَ أَنْ لَا يَبْقَى فِي  
هَذَا الْمَصْرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِيَّ وَاعْتَابَنِي .

فَأَيُّ شَيْءٍ أَهْنَا مِنْ حَسَنَةٍ يَجِدُهَا الرَّجُلُ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَعْمَلْهَا  
وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا .

وقال يحيى بنُ معاذٍ لَسْتُ أَمْرُكُمْ بِتَرْكِ الدُّنْيَا أَمْرُكُمْ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ ، تَرَكُ  
الدُّنْيَا فَضِيلَةٌ وَتَرَكُ الذُّنُوبَ فَرِيضَةٌ وَأَنْتُمْ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِيضَةِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى  
الْحَسَنَاتِ .

وقال لا تَكُنْ مِنْ مَنْ يَفْضُحُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ مِيرَاثُهُ ، وَيَوْمَ حَشْرِهِ مِيرَاثُهُ .

وقال إبراهيمُ الخَوَّاصُ دَوَاءُ الْقَلْبِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ  
بِالتَّدْبِيرِ ، وَخَلَاءِ الْبَطْنِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَالتَّضَرُّعِ عِنْدَ السَّحْرِ ، وَمُجَالَسَةِ  
الصَّالِحِينَ .

وقال عليٌّ قَدَرِ إِعْزَازِ الْمَرْءِ لِأَمْرِ اللهِ يُلبَسُهُ اللهُ مِنْ عِزِّهِ ، وَيُقِيمُ لَهُ الْعِزَّ فِي  
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال يوسفُ بنُ الحسينِ عليٌّ قَدَرِ خَوْفِكَ مِنَ اللهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدَرِ  
حُبِّكَ اللهُ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدَرِ شُغْلِكَ بِأَمْرِ اللهِ يُشْغَلُ الْخَلْقُ بِأَمْرِكَ .

وقال آخَرُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الصُّحْبَةِ فَقَالَ مَعَ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ بِحُسْنِ الْأَدَبِ  
وَدَوَامِ الْهَيِّبَةِ وَالْمِرَاقِبَةِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ الرَّسُولِ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَتُرُومِ ظَاهِرِ الْحُكْمِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللهِ بِالْإِحْتِرَامِ وَالْخِدْمَةِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْإِخْوَانِ بِدَوَامِ الْبِشْرِ لَهُمْ وَالْإِنْبِسَاطِ مَعَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا .

وَالصَّحْبَةُ مَعَ الْجُهَّالِ بِالذُّعَاءِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ وَرُؤْيَا نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ  
عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَقِيتُ رَجُلًا فِي بَرِيَّةٍ فَقُلْتُ مَنِ أَيْنَ ، فَقَالَ مِنْ قَوْمٍ  
﴿ لَا تَلْهَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قُلْتُ وَإِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى قَوْمٍ  
﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ .

يَا هَذَا مِثْلُ لِنَفْسِكَ صِرْعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ وَقَتِ  
الْأَسْرِ فَاغْلُظْ وَقَتِ الْإِطْلَاقِ .

وَمِثْلُ نَفْسِكَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَاوِيَا جَهَنَّمَ وَأَنْتِ تَبْكِي أَبَدًا وَأَبْوَابُهَا مُغْلَقَةٌ  
وَسُقُوفُهَا مُطْبَقَةٌ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ .

لَا رَفِيقَ تَأْنَسُ بِهِ وَلَا صَدِيقَ تَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا نَوْمَ يُرِيحُ وَلَا نَفْسَ وَلَا طَعَامَ  
إِلَّا الرِّقُومَ وَلَا شَرَابَ إِلَّا الْحَمِيمَ .

قَالَ كَعْبٌ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَأْكُلُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاقِبِ مِنَ النَّدَامَةِ عَلَى  
تَفْرِيطِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ .

فَانْتَبِهْ يَا غَافِلٌ لِإِغْتِمَامِ عُمَرِكَ وَازْرَعْ فِي رَيْبِ حَيَاتِكَ قَبْلَ جُدُوبِ أَرْضِ  
شَخْصِكَ .

وَأَذِخْرٍ مِنْ وَقْتِ قُدْرَتِكَ لِرَمَنِ عَجَزِكَ وَاعْتَبِرْ رَحْلَكَ قَبْلَ رَحِيلِكَ .  
فَكَأَنَّكَ بِحَرْبِ التَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَانْهَزَمَتْ جُيُوشُ الْأَمَلِ .  
وَإِذَا بِمَمْلِكِ الْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْتَذِبُهَا بِحَطَايِيفِ الشَّدَائِدِ مِنْ تِيَارِ  
العُرُوقِ .

وَقَدْ أوثق كِتَافَ الدُّنْيَا وَحَارَ البَصْرَ لِشِدَّةِ الهَوْلِ .  
وَلَا تَسْأَلْ عَنِ حَالِ الْمُحْتَضِرِّ وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الكُرُوبِ وَالسَّكْرَاتِ .

فَتَيْقِظْ يَا مَسْكِينُ وَتَهَيِّأْ لِتِلْكَ السَّاعَةِ وَحَصِّلْ زَاداً قَبْلَ الْعَوْرِ .

سَتْنَدُّمُ إِنْ رَحَلَتْ بَعِيرٍ زَادٍ      وَتَشْتَقِي إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِي  
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَعْمَلُ فِيكَ وَغَظٌّ      وَلَا زَجْرٌ كَأَنَّكَ مِنْ جَمَادٍ  
فَلَا تَأْمَنْ لِيذَى الدُّنْيَا صَلاَحاً      فَإِنَّ صَلاَحَهَا عَيْنُ الفَسَادِ  
وَلَا تَفْرَحْ بِمَالٍ تَقْتَنِيهِ      فَإِنَّكَ فِيهِ مَعْكُوسُ المُرَادِ  
وَتُبَّ عَمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ      وَكُنْ مُتَيَقِّضاً قَبْلَ الرُّقَادِ  
أُتْرَضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ      لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَعِيرٍ زَادٍ

وقال أحدُ العلماء أن من الناس ناسٌ لو مات نصفُ أحدهم ما انزجرَ النصفُ الآخرُ ولا أحسبني إلا منهم .

وقال آخرُ : فائدةُ الصُّحْبَةِ إنما هي للزِّيَادَةِ في الحالِ وَعَدَمِ التَّقْصَانِ فيها فَإِنَّكَ وَصُحْبَةً مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ وَلَا يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .  
فَصُحْبَةٌ مَنْ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ عَالِماً شَرًّا مَحْضٌ وَلَا فائِدَةٌ فِيهَا لِأَنَّ عِلْمَهُ فِي الغَالِبِ غَيْرٌ نَافِعٌ لَهُ .

وجهلُهُ الذي أَوْجَبَ رِضَاءَهُ عَنْ نَفْسِهِ صَارَ غَايَةَ الضَّرَرِ لِأَنَّهُ فَاتَهُ العِلْمُ الذي يُرِيهِ عَيْبَهُ حَتَّى لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ الأَمَارَةَ بالسُّوءِ .

فعلى العاقلِ اللَّيِّبِ مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائِماً وَالْمُحَاسَبَةُ هِيَ مَطَالَعَةُ القَلْبِ وإِعْمَالُ اللِّسَانِ وإِعْمَالُ الجَوَارِحِ .

فاجْعَلْ ذُنُوبَكَ نَصَبَ عَيْنِيكَ فَإِنْ غَفَلْتَ عَنْهَا اجْتَمَعَتْ بِسُرْعَةٍ وَكَثُرَتْ .

وتأمل وفكرٌ فلو أنك وضعت في كل معصيةٍ تُحْدِثُهَا حَجَراً في دَارِكَ

لا امْتَلَأَ بَيْنُكَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ .



فمثلاً عندك غيبة أو عندك كذب أو عندك رياء أو عندك عقوق أو قطعة

رحم .

أو ظلم لمسلم أو لنفسك أو لأهلك أو لأولادك أو لجيرانك أو تعامل  
معاملة لا تجوز .

أو عندك كفار خدام أو سواقين أو عندك ملاهي كالتلغاز والفيديو أو  
عندك صور أو تشرب الدخان أو حلق لحية أو إسبال أو تشبه بكفار أو سفر  
لبلادهم .

أو لك أولاد يدرسون عند الكفار برضا منك أو أكلك وشربك ولبسك  
من شركات تتعامل بالربا أو أن عمالك لا تؤديه كاملاً مُكَمَلاً وتأخذ ما عليه  
كاملاً .

وأنت تقرأ : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾  
الآية .

أولاً تَتَسَخَّجُ مِنَ الزَّكَاةِ إِنْ نَحُو ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدُوُّ .

فَيَقْطُ وَحَاسِبِ نَفْسِكَ وَفَتَشْ عَلَيْهَا بِدِقَّةٍ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ  
يَتَجَاوَزَ عَنْكَ .

فَيَا وَيْحَ أَهْلِ الظُّلْمِ وَاللَّهْوِ وَالْغِنَا إِذَا أَقْبَلَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ جَهَنَّمُ  
وَرَاعَهُمْ مِنْهَا نَعْيٌ مُحْنَقٌ لِحُوفِ عَذَابٍ فِي لَظَاهَا يُحَطَّمُ  
إِذَا مَرَّآهَا الْمُجْرِمُونَ وَأَيَّقُنُوا بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا شَرَابٌ وَمَطْعَمٌ  
ضَرِيْعٌ وَرَقُومٌ وَيَتَلَوُّهُ مَشْرَبٌ حَمِيمٌ لِأَمْعَاءِ الشَّقِيِّينَ يَهْزِمُ  
وَمَنْ قَطْرَانِ كَسُوهُ قَدْ تَسَّرَ بَلُّوا وَسَيُّقُوا لِمَا فِيهِ الْعَذَابُ الْمَحِيْمُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ  
بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ  
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .  
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الْعُرِّ الْمُحَجِّلِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبِّلِينَ وَاللَّهِ  
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

## فَصْلٌ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سِمْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا  
يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا .  
وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ إِنَّهُ أَتَانِي آتِيَانِ فَقَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا  
فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَأَتَيْتَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ .  
وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْتَلِعُ رَأْسَهُ  
فَيَنْدَهْدُهُ الْحَجْرُ هَهُنَا فَيَتَّبِعُ الْحَجْرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا  
كَانَ ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .

قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْتَا عَلَى رَجُلٍ  
مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ  
وَجْهِهِ فَيَشْرُ شِرُّ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ .

ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا  
يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبِ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ  
مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .

قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْتَا عَلَى مِثْلِ الشُّورِ فَإِذَا

فيه لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ فَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ  
مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا .

قُلْتُ مَا هُوَ لَآءٍ قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأْتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلَ الدَّمِ وَإِذَا  
فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا  
ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا سَبَحَ ثُمَّ يَأْتِي الَّذِي جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْعَرُ لَهُ فَاهُ  
فَيَلْقِمُهُ حَجْرًا فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ  
حَجْرًا .

قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَ انْطَلِقْ فَأْتِنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ كَأَكْرَهٍ مَا  
أَنْتَ رَائٍ وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَقُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَا لِي  
انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأْتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ . وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي  
الرَّوْضَةَ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ  
أَكْثَرِ الْوِلْدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ .

قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأْتِنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُ أَعْظَمَ مِنْهَا  
وَلَا أَحْسَنَ قَالَا لِي إِرْقُ فِيهَا فَارْتَقِنَا فَانْتَهَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ  
وَلَبَنِ فِضَّةٍ فَأْتِنَا بَابَ الْمَدِينَةِ .

فَاسْتَفْتَحْنَا فَفَتَحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَانَا رِجَالٌ شَطْرَ مَنْ خَلَقَهُمْ مِنْ أَحْسَنِ مَا  
أَنْتَ رَائٍ وَشَطْرَ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَائٍ .

قَالَا لَهُمْ إِذْهَبُوا فَفَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ  
الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ السُّوءُ عَنْهُمْ  
فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .

قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ فَسَمَّا بَصْرِي صُعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ

مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَا لِي هَذَا مَنَزِلُكَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي  
فَادْخُلْهُ قَالَا لِي أَمَا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلُهُ .

قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ .  
قَالَا أَمَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُلْتَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ  
الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَتَأَمُّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَأَمَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَا عَلَيْهِ يُشْرُ شُرَّ شِدْقِهِ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ  
إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعُدُّ مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ .

وَأَمَا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ التَّنُورِ فَإِنَّهُمْ الرُّنَاةُ وَالرَّوَانِي .  
وَأَمَا الرَّجُلُ أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرَّبَا .  
وَأَمَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمِرَاةُ الَّذِي عِنْدَهُ النَّارُ يَحْشُهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ نَخَارِنُ  
جَهَنَّمَ .

وَأَمَا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوَضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَأَمَا الْوُلْدَانُ الَّذِينَ حَوَّلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ  
وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ « وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ » .

وَأَمَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَطَ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ  
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَا جَبْرِيْلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ .

وَأَخْرَجَ بَنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَهُ : فَمَضَيْتُ وَإِذَا بَتَلٌ اسْوَدَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ  
مُحِبُّونَ تَنْفُخُ النَّارِ فِي أَدْبَارِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَنَاخِرِهِمْ وَأَذَانِهِمْ  
وَأَعْيُنِهِمْ .

إلى أن قال : وأما صاحب الكؤب الذي رأيت فأولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة فيفسدون بينهم فهم يعدّون بها حتى يصيروا إلى النار .  
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَحَسِنَ عَاقِبَتِنَا وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## فصل

ولللخطيب عن أبي موسى مرفوعاً رأيت رجلاً تفرض جلودهم بمقارض من نار قلت ما شأن هؤلاء قال هؤلاء الذين يتزيّنون إلى ما لا يحل لهم ورأيت جباءً حيث الرّيح فيه صياح قلت ما هذا قال هن نساء يتزيّنن إلى ما لا يحل لهن .

ولللبيهقي عن أبي سعيد في حديث الإسراء قال : « ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأخوتة عليها مشرّح ليس يقربه أحد وإذا أنا بأخوتة عليها لحم قد أروح وتتن ، عندها أناس يأكلون منها قلت يا جبريل ما هؤلاء قال قوم من أمّتك يتركون الحلال ويأثون الحرام .

ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم حرّ يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطأهم فسمعتهم يضجون إلى الله .

قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمّتك الذين يأكلون الرباء ثم

مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ فَتَمْتَحُ أَفْوَاهِهِمْ وَيُلْقَمُونَ  
مِنَ ذَلِكَ الْجَمْرُ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، ثُمَّ  
مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقَطِّعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمَ فَيُلْقَمُونَ فَيَقَالُ كُلُّ كَمَا  
كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ اللَّمَّازُونَ .

وله عن عدي عن أبي هريرة في حديث الإسراء ثم أتى على قوم على أقبالهم  
رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ وَالغَنَمُ وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيْعَ  
وَالرَّقُومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَهَا .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ ثُمَّ أَتَى عَلَى  
قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ يَنْضِجُ فِي قِدْرٍِ وَلَحْمٌ آخَرُ خَبِيثٌ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مَنْ  
النَّبِيِّ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ الرَّجُلُ يَقُومُ مِنْ عِنْدِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْخَبِيثَةَ  
فَيَبْسُتُ مَعَهَا حَتَّى يُصْبِحَ وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فَتَأْتِي الرَّجُلَ  
الْخَبِيثَ فَتَبْسُتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُرْمَةَ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمَلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا  
فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ  
يَحْمِلُ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا  
قَرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ قَالَ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ  
حُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ولابي داوود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا  
عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ  
قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي  
أَعْرَاضِهِمْ .

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان عن أبي أمامة وسنده جيد قال خرج علينا  
رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا وَهِيَ حَقٌّ  
فَاعْقِلُوهَا أَتَانِي رَجُلٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَاسْتَبَعَنِي حَتَّى أَتَى جَبَلًا وَعَرَا فَقَالَ لِي إِرْقَهُ  
فَقُلْتُ لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ إِنِّي سَأَسْهَلُهُ لَكَ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا رَفَعْتُ قَدَمِي وَضَعْتُهَا  
عَلَى دَرَجَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتُ إِلَى سَوَاءِ الْجَبَلِ .

فانطلقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُشَقَّقَةٌ أَشَدَّاقُهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ  
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُسَمَّرَةٌ أَعْيُنُهُمْ وَأَذَانُهُمْ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ  
قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرُونَ أَعْيُنَهُمْ وَيُسْمِعُونَ آذَانَهُمْ مَا لَا يَسْمَعُونَ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بنساءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِيهِنَّ مُصْجِبَةٌ رُؤُوسُهُنَّ تَنْهَشُ  
أَقْدَامَهُنَّ الْحَيَّاتُ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْآتِي يَمْنَعُنْ أَوْلَادَهُنَّ الْبَانَهُنَّ .

فانطلقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ مُصْجِبَةٌ رُؤُوسُهُمْ  
يَلْحَسُونَ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ وَحَمًا قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصُومُونَ ثُمَّ  
يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ أَقْبَحَ شَيْءٍ مَنظَرًا وَأَقْبَحَهُ لُبُوسًا وَأَنْتَهُ  
رِيحًا كَانَ رِيحُهُمُ الْمَرَاخِضُ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الرَّائُونَ وَالرَّائَةُ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بِمَوْتِي أَشَدَّ شَيْءٍ إِنْتِفَاحًا وَأَقْبَحَهُ رِيحًا قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ  
قَالَ هَؤُلَاءِ مَوْتِي الْكُفَّارِ .

ثم انطلقنا فإذا نحن برجالٍ تحت الشجر قلت من هؤلاء قال هؤلاء موتى المسلمين .

ثم انطلقنا فإذا نحن بـغلمانٍ وجوارٍ يلعبون بين نهريْن قلت من هؤلاء قال هؤلاء ذرية المؤمنين .

ثم انطلقنا فإذا نحن برجالٍ أحسنَ شيءٍ وجوهاً وأحسنه لبوساً وأطيبه ريحاً كأن وجوههم القراطيس قلت ما هؤلاء قال هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون .

ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة يشربون حمراً لهم ويتعنون قلت من هؤلاء قال زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَوَاحَة .

وللترمذي وصححه عن عمارة بن عمير قال لما قتل عبيد الله بن زياد أتى برأسه ورؤس أصحابه فألقيت في الرحبة فجاءت حية عظيمة فتفرق الناس من فرعها فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منحر عبيد الله بن زياد .

ثم خرجت من فيه ثم دخلت من فيه وخرجت من أنفه ففعلت به مراراً ثم ذهب ثم عادت ففعلت به مثل ذلك مراراً من بين الرؤوس ولا يدرون من أين جاءت ولا أين ذهبت .

وقال ابن القيم رحمه الله وحدثنا أبو عبد الله محمد بن الحراني أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بستان فلما كان قبل غروب الشمس توسط القبور وإذا قبر منها وهو جمرة نارٍ مثل كور الزجاج والميث في وسطه قال وسألت عن صاحب القبر فإذا هو مكاس قد توفي في ذلك اليوم .

وللبیهقي في الشعب عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال كنتُ جالساً



عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا خرجنا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذا الصفاح فمات فهيناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا له فلما فرغنا من لحده فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد وحفرنا له مكاناً آخر فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فقال ابن عباس ذلك عمله الذي كان يعمل انطلقوا فإذفونوه في بعضها فوالذي نفسي لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها فانطلقنا فدفنناه في بعضها « نسال الله أن يوفقنا للأعمال الصالحة وحسن الخاتمة إنه جواد كريم .

قصيدة فيها تضرع إلى رب العزة والجلال والكبرياء والعظمة :

يا ذا الجلال ويا ذا الجود والكرم	قد جئتك خائفاً من زلة القدم
ذنبى عظيم وأرجو منك مغفرة	يا واسع العفو والغفران والكرم
دعوت نفسي إلى الخيرات فامتنت	وأعرضت عن طريق الخير والنعم
خسرت عمري وقد فرطت في زمني	في غير طاعة مولاي فبا ندمي
حملت ثقلاً من الأوزار في صغري	يا حجلي في غد من زلة القدم
راح الشباب وولى العمر في لعب	وما تحصلت من خير ولم أقم
زمان عزمي قد ضيعته كسلاً	والعمر مني انقضى في غفلة الحلم
قد انقضت عيشتي بالذل وأسفي	إن لم تجد خالقي بالعفو والكرم
ذي حالي وانكساري لا تحيبي	إذا وقعت ذليلاً حافي القدم
أئت بالذل والتقصير والندم	أرجو الرضا منك بالغفران والكرم
سار المجنون في الخيرات واجتهدوا	يا فوزهم غنموا الجنات والنعم
شفاء قلبي ذكر الله خالقنا	يا فوز عبد إلى الخيرات يستقم
صفت لأهل التقى أوقاتهم سعدوا	نالوا الهنا والمنى بالخير والكرم
ضيعت عمري ولا قدمت لي عملاً	أنجو به يوم هول الخوف والزحم

طُوبَى لِعَبْدٍ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ  
ظَهْرِي ثَقِيلٌ بِدَنِي آهٍ وَأَسْفِي  
أَرْجُوكَ يَا ذَالِعِلًّا كَرِي تَفْرِجُهُ

غَفَلْتُ عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي وَطَاعَتِهِ  
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِدَنَا  
قَدْ أَثْقَلْتَنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أَحَدٌ  
كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاغْفِرْ عَن زَلَلِي  
لَاخَ الْمَشِيبُ وَوَلِيَّ الْعُمُرُ فِي لَعِبِ  
مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ  
نَامَتْ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا  
قَامُوا إِلَى ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ  
وَلَيْسَ لِي غَيْرَ رَبِّ الْخَلْقِ مِنْ سِنْدِ  
لَا أَرْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الزَّحَامِ سِوَى  
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِّ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسْتَا خَلَعَ الْإِيمَانَ وَالْبِقِينَ ، وَحَصَّنَا مِنْكَ  
بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَقَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَعِهِ ، وَكُنْ لَنَا  
مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا  
وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ  
دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ  
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## ( فَضْلٌ )

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم اني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دُعي وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول « مَنْ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلا وهو يقول ( ياذا الجلال والاكرام ) فقال « قد استجيب لك فسل » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكثِرِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عِنْدَكَ .  
رَاضِينَ فِي كُلِّ أَمُورِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ .

يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ ، وَيَأْمُرُ بِهِمَا أَعْفُ عْنَا ،  
وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا .  
فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ  
أَهْلٌ مِنْ عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتى  
لا نَرْجُوا غَيْرَكَ ولا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِإِيَاكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ  
الْأَكْرَمِينَ .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ،  
والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .  
اللهم أغننا بها وفقنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا  
بالتقوى وجملنا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وارزُقنا طاعتك وطاعة  
رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ  
بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن  
شهادة الأعداء .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ،  
وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره ، أهل الحمد والثناء أنت ،  
لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب ، واعصمنا  
فيما بقى من أعمارنا ، ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا .  
اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ،  
يا من لا تشبهه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح  
البرهان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت  
الغفور الرحيم .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ،  
يا ذا الجلال والاکرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .  
اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تُشغلنا بما  
تكفلت لنا به ، واجعلنا ممن يؤمن بقلائك ، ويرضى بقضائك ،  
ويقنع بعطائك ، ويخشاك حقَّ خشيتك .

اللهم اجعل رزقنا رغداً ، ولا تشمت بنا أحداً .  
اللهم رغبنا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يفنى ، وهب لنا اليقين  
الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه .  
اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام  
وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم  
به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز  
والكبرياء يا من تَعْنُوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك  
عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع  
بها شملنا ، وتلمم بها شعثنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ،  
وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء  
يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ  
علينا ديننا وصحة أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين وياراحم المذنبين ، ومُقِيلَ عثرات  
العائرين ، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت  
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب  
العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب  
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .  
نسألك أن تديقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم  
الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغتقنا من رِقِّ الذنوب ، وخَلِّصْنَا مِنْ أَسْرِ النُّفُوسِ ،  
وأذهب عنا وحشة الإساءة ، وطهرنا من دنس الذنوب ، وباعد  
بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيِّبْنَا لِلقَائِكَ ، وَأَهْلْنَا لِوَلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُومِينَ  
مِنَ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .  
اللهم أعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ  
كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ  
الْمَنْصُورِينَ ، وَارزُقْنَا مُرَافِقَةَ الذِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يَا فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الأَجْسَادِ بَعْدَ البَلَى  
يَا مُؤَيِّ المُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ المَتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعِ الرَّجَاءُ إِلَّا  
مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الِاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ  
نَسْأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرِّكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا  
لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَّؤُوفٌ غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَلًا ،  
وَنَسْأَلُكَ بَرَكَهَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحَيَاةِ ، وَشَرِّ  
الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَغْرَّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ  
الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .  
وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ أَكْرَمِ الوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ  
الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ ، يَا ذَا  
الجَلَالِ وَالأَكْرَامِ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ المَلِكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ ،  
وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، واسعدنا بتقواك ،  
ولا تُشقنا بمعصيتك .

اللهم إنك تسمع كلامنا ، وترى مكاننا ، وتعلم سِرِّنا ،  
وعَلَانِيَتِنَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نحن البؤساء الفقراء  
إليك ، المُسْتَعِينُونَ المُسْتَجِيرُونَ الوَجُلُونَ المَشْفُقُونَ المَعْرُفُونَ  
بذُنُوبِنَا .

نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المَسْكِينِ ، وَنَبْتَهَلُ إِلَيْكَ إِبْتِهَالَ المَذْنِبِ  
الدَّيْلِ ، وَنَدْعُوكَ دُعَاءَ الخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللهم يَا مَنْ خَضَعْتَ لَهُ رِقَابِنَا ، وَفَاضَتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا ،  
وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا ، وَرَغِمَتْ لَهُ أَنْفُسُنَا لا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ ،  
وَكَنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ المَسْئُولِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى  
بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ  
صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .  
اللهم اجعلنا مِنْ عِبَادِكَ المُخْبِتِينَ ، الغُرِّ المُحْجَلِينَ الوَفِدِ  
المُتَقَبِّلِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ،  
وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن  
المؤيدين بنصرِكَ وتأييدِكَ ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن



تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ياوَدُّوْذُ يَاذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدِ يَا فَعَالُ مَا تُرِيدُ  
نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ  
بِهَا عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ تَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ  
رَوْوْفٌ رَحِيمٌ .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا  
وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .  
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، ، ،

عبدالعزیز بن محمد بن سلمان

